كيد الشيطان

لنفسه قبل خلق آدم عليه السلام

ومعه بيان

مذاهب الفرق الضالة

تصنيف

العلامة ابن الجوزي

رحمه الله

المتوفى سنة ٥٩٧ هـ

تحقيق

أبي الأشبال الزهيري

عفا الله عنه

مكتبة ابن تيمية

القاهرة

الطبعة الأولى

١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م

مكتبة ابن تيمية

القاهرة - ٢٥ ش أبو عميرة بالطالبية - الهرم

جمهورية مصر العربية

هاتف: ٥٨٦٤٢٤٠

بسم الله الرحمن الرحيم

□ ترجمة الإمام ابن الجوزي □

ذكر اسمه ونسبه :

هو جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله بن عبد الله بن حمادي بن أحمد بن محمد بن جعفر بن عبد الله بن القاسم بن النضر بن القاسم بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق ، القرشي ، التيمي ، البكري ، الفقيه الحنبلي ، الحافظ ، المفسر ، الواعظ ، المؤرخ ، الأديب ، من أعلام القرن السادس ، اشتهر شهرة فائقة بفصاحته وجودة خطابته ، وكان يجتمع في مجلسه آلاف من الناس من الرجال والنساء ، والحكام والمحكومين .

مولده :

ولد ببغداد بدرب حبيب سنة ٥٠٨ هـ ١١١٤ م ، أو ٥١٠ هـ ١١١٦م ، كما حكاه تلميذه المنذري في « التكملة لوفيات النقلة » (٢/٢٩٢) ، وكان أهله يعملون تجارًا في النحاس ، ولهذا يوجد في بعض سماعاته القديمة : عبد الرحمن بن علي بن الجوزي الصفار (نسبة إلى النحاس) . كما في « تذكرة الحفاظ » (١/١٣٣) ، و« ذيل طبقات الحنابلة » (١/٤٠١) .

نشأته :

مات والده وله من العمر نحو ثلاث سنين ، فلم يؤثر هذا اليتم المبكر في تنشئته ، بل نشأ نشأةً صالحةً ، وتوجه إلى طلب العلم ، رغم أن عائلته ليست كذلك ، بل كانوا على جانب كبير من الثراء ، كما قال هو في « لفتة الكبد » : « اعلم يا بني أننا من ولد أبي بكر الصديق- رضي الله عنه- ثم تشاغل سلفنا بالتجارة والبيع والشراء ، فما كان من المتأخرين من رُزق همَّة في طلب العلم غيري » .

وقد حكى ابن الجوزي عن نفسه أنه تربى تربيةً مترفةً نأت به عن ممارسة نوع خشونة العيش، إذ قال: «فمن ألف الترف فينبغي أن يتلطف في أمره إذا أمكنه، وقد عرفت هذا من نفسي؛ فإني رُبيت في ترفٍ، فلما ابتدأت في التقلل وهجر المشتهى، أثر معي مرضًا قطعني عن كثير من التعبد - إلى أن قال -: فالعاقل يعطي بدنه من الغذاء ما يوافقه». إلخ. ما جاء في صيد الخاطر له.

ولذا كان ابن الجوزي - رحمه الله - ينصح بعدم التوسع في المشتهيات، ويحذر من التقلل المضر بالبدن، ويحث على التوسط والاعتدال، وكان من أشد الناس اعتناءً بحفظ صحته، يأكل الطيب، ويلبس الحسن، ويعتاض عن الفاكهة بالمشروبات والمعجونات. انظر «تذكرة الحفاظ» (١٣٦/٤).

طلبه للعلم:

لما ترعرع ابن الجوزي حملته عمته - وكانت صالحة - إلى مسجد الحافظ أبي الفضل محمد بن ناصر السلامي، وهو خاله، فاعتنى به، وأسمعه الحديث، وحفظ القرآن على جماعة من أئمة القراء.

وكان ابن الجوزي مجدًا في طلب العلم، منكبًا على تحصيله، يستعذب العذاب في سبيله، ولا يضيع أوقاته، واشتهر بين أقرانه بكثرة سماعه للحديث، وسيرة النبي ﷺ وشمائله، ومعرفة أحوال الصحابة والتابعين.

قال عن نفسه: «ولقد كنت في حلاوة طلبي للعلم ألقى من الشدائد ما هو عندي أحلى من العسل، لأجل ما أطلب وأرجو، كنت في زمن الصبا آخذ معي أرغفةً يابسةً، فأخرج في طلب الحديث، وأقعد على نهر عيسى، فلا أقدر على أكلها إلاَّ عند الماء، فكلما أكلت لقمة شربت عليها، وعين همَّتي لا ترى إلاَّ لذة تحصيل العلم، فأثمر ذلك عندي أني عُرِفْتُ بكثرة سماعي لحديث رسول الله ﷺ وأحواله وآدابه، وأحوال أصحابه وآدابهم وتابعيهم.. وأثمر ذلك عندي من المعاملة ما لا يدرى إلا بالعلم، حتى إنني أذكر في زمن

الصبوة ووقت الغلمة والغربة قدرتي على أشياء ، كانت النفس تتوق إليها توقان العطشان إلى الماء الزلال ، ولم يمنعني عنها إلا ما أثمر عندي العلم من خوف الله عز وجل» . «صيد الخاطر» (ص ٢٣٥) .

□ ابن الجوزي واغتنام الزمان .. وكلمات مضيئة في العزلة □

وضرب ابن الجوزي أروع الأمثلة في علو الهمة في طلب العلم والدعوة إليه والحفاظ على أوقات حياته واغتنامها ، فقال في «الصيد» (٢٢٧، ٢٢٨) :

«لقد رأيت خلقًا كثيرًا يَجْرون معي فيما اعتاده الناس من كثرة الزيارة ، ويُسمُّون ذلك التردد خدمةً ، ويطلبون الجلوس ، ويُجْرُون فيه أحاديث الناس وما لا يعني ، وما يتخلله غيبة ، وهذا شيءٌ يفعله في زماننا كثيرٌ من الناس ، وربما طلبه المزور وتشوَّق إليه واستوحش من الوحدة ، وخصوصًا في أيام التهاني والأعياد ، فتراهم يمشي بعضهم إلى بعض ، ولا يقتصرون على الهناء والسلام ؛ بل يمزجون ذلك بما ذكرته من تضييع الزمان ، فلما رأيت أن الزمان أشرف شيء ، والواجب انتهازه بفعل الخير ، كرهت ذلك وبقيت منهم بين أمرين : إن أنكرت عليهم وقعت وحشة لموضع قطع المألوف ، وإن تقبلته منهم ضاع الزمان ، فصرتُ أدافع اللقاء جهدي ، فإذا غلبت قصرتُ في الكلام لأتعجَّل الفراق ، ثم أعددتُ أعمالاً تمنع[1] من المحادثة لأوقات لقائهم لئلا يمضي الزمان فارغًا ، فجعلتُ من المُسْتَعَدِّ للقائهم قَطعُ الكاغد - الورق - وبريُ الأقلام وحَزْم الدفاتر ، فإن هذه الأشياء لا بد منها ، ولا تحتاج إلى فِكْرٍ وحضور قلب ، فأرصدتُها لأوقات زيارتهم لئلا يضيع شيء من وقتي» .

وقال : «ولقد شاهدت خلقًا كثيرًا لا يعرفون معنى الحياة ، فمنهم مَن أغناه الله عن التكسب لكثرة ماله ، فهو يقعد في السوق أكثر النهار ينظر إلى

---

(١) كذا بالأصل ، ولعلها : «أعمالاً لا» .

الناس ، وكم تمر به من آفة ومنكر ، ومنهم من يخلو يلعب الشطرنج ، ومنهم من يقطع الزمان بكثرة الحوادث من السلاطين ، والغلاء والرخص .. إلى غير ذلك » .

وقال : « من أراد اجتماع همِّه ، وإصلاح قلبه فليحذر من مخالطة الناس في هذا الزمان ؛ فإنه قد كان يقع الاجتماع على ما ينفع ذكرهُ ، فصار الاجتماع على ما يضر ، وقد جربت على نفسي مرارًا أن أحصرها في بيت العزلة ، فتجتمع همتي ، ويضاف إلى ذلك النظر في سير السلف ، فأرى العزلة حِمْيةً ، والنظر في سير القوم دواء ، واستعمال الدواء مع الحمية عن التخليط نافع ، فإذا فسحت لنفسي في مجالسة الناس ولقائهم تشتت القلب المجتمع ، ووقع الذهول عما كنت أراعيه ، وانتقش في القلب ما قد رأته العين ، وفي الضمير ما تسمعه الأُذن ، وفي النفس ما تطمع في تحصيله من الدنيا ، وإذا جمهور المخالطين أرباب غفلة ، والطبع بمجالستهم يسرق من طباعهم ، فإذا عُدت أطلب العلم لم أجده ، وأروم ذلك الحضور فأفقده ، فيبقى فؤادي في غمار ذلك اللقاء للناس أيامًا حتى يسلو الهوى ، وما فائدة تعريض البناء للنقض ؟ فإن دوام العزلة كالبناء ، والنظر في سير السلف يرفعه ، فإذا وقعت المخالطة انتقض في لحظة ما بُني في مُدَّةٍ ، وصعب التلافي ، وضعف القلب » . « الصيد » (٣٥٣) .

وقال : « فليس في الدنيا أطيب عيشًا من منفردٍ عن العالَم بالعِلم ، فهو أنيسه وجليسه ، قد قنع بما سَلِمَ به دينه من المباحات الحاصلة ، لا عن تكلف ولا تضييع دين ، وارتدى بالعز عن الذل للدنيا وأهلها ، والتحف بالقناعة باليسير إذ لم يقدر على الكثير ، بهذا الاستعفاف يسلم دينه ودنياه ، واشتغاله بالعلم يدله على الفضائل ، ويفرجه في البساتين ، فهو يسلم من الشيطان والسلطان والعوام بالعزلة ، ولكن لا يصلح هذا إلاَّ للعالِم ، فإنه إذا اعتزل الجاهل فاته العلم فتخبط » . « الصيد » (٣٧٣) .

* قلت : كلام ابن الجوزي في فضل الاعتزال عن الخلق ، وأنه سببٌ لجمع القلب وصرف الوقت إلى تحصيل العلم والعمل ، وما ينجم عن المخالطة من ضد ذلك كلام جميل ومتين ولا يصدر إلاَّ عن مجرِّب ، وأجمل من ذلك أنه ألزم الجاهل بالتعلم أولاً ، وإلاَّ تخبط وتحير وضلَّ بسبب جهله .

□ ابن الجوزي .. ونصيحة إلى طلاب العلم □

قال في « الصيد » (٢٠٥، ٢٠٦) :

« ينبغي لطالب العلم أن يكون جُلَّ همته مصروفًا إلى الحفظ والإعادة ، فلو صحَّ صرف الزمان إلى ذلك كان الأولى ، غير أن البدن مطية ، وإجهاد السير مظنة الانقطاع ، ولما كانت القوى تكلُّ فتحتاج إلى تجديد ، وكان النسخ والمطالعة والتصنيف لا بد منه مع أن المهم الحفظ ، وجب تقسيم الزمان على الأمرين ؛ فيكون الحفظ في طرفي النهار وطرفي الليل ، ويوزع الباقي بين عمل بالنسخ والمطالعة ، وبين راحة للبدن وأخذٍ لحَظِّهِ ، ولا ينبغي أن يقع الغبن بين الشركاء ؛ فإنه متى أخذ أحدهم فوق حقه أثر الغبن وبان أثره ، وأن النفس لتهرب إلى النسخ والمطالعة والتصنيف عن الإعادة والتكرار ؛ لأن ذلك أشهى وأخف عليها ، ومع العدل والإنصاف يتأتى كل مراد ، ومَنِ انحرف عن الجادة طالت طريقه ، ومن طوى منازل في منازل أوشك أن يفوته ما جدَّ لأجله ، على أن الإنسان إلى التحريض أحوج ؛ لأن الفتور ألصق به من الجد ، وبعد فاللازم في العلم طلب المهم » .

□ ابن الجوزي .. وكلمات في علو الهِمَّة □

قال في « الصيد » (ص ١٥) :

« من علامة كمال العقل علو الهمة .. والراضي بالدون دني » .

وقال (ص ٢٣٨، ٢٣٩) :

« ما ابتلي الإنسان قط بأعظم من علو همته ، فإن مَنْ علتْ همتُه يختار المعالي ، وربما لا يساعد الزمان ، وقد تضعف الآلة فيبقى في عذاب ، وإني أعطيتُ من علوٍّ الهمةِ طرفًا فأنا به في عذاب ، ولا أقولُ : ليته لم يكن ، فإنه لا يحلو العيش بقدر عدم العقل ، والعاقل لا يختار زيادة اللذة بنقصان العقل .. ونظرت إلى علو همتي فرأيت عجبًا ، وذلك أنني أروم من العلوم ما أتيقن أني لا أصل إليه ؛ لأنني أحب نيلَ كُلِّ العلوم على اختلاف فنونها ، وأريد استقصاءَ كلِّ فنٍ ، وهذا أمر يعجز العمر عن بعضه ، فإن عرض - ظهر - لي ذو همَّةٍ في فن قد بلغ منتهاه رأيتُه ناقصًا في غيره ، فلا أعدُّ همته تامة » .

وقال الذهبي في « تذكرة الحفاظ » (ص ١٣٤٦) :

« وقد قرأ بواسط وهو ابن ثمانين سنة بالعشر على ابن الباقلاني ، وتلا معه ولده يوسف » .

* قلتُ : وهذا قد تم في الآونة الأخيرة من حياته ، بعد النكبة التي حلَّت به حينما نفي إلى واسط ، فتشفعت أم الخليفة فيه فأطلق ، فقرأ ذلك قبل دخوله إلى بغداد .

وقال في « الصيد » (٢٤٠) :

« غير أني قد استسلمت لتعذيبي ، ولعلَّ تهذيبي في تعذيبي ؛ لأن علو الهمة تطلُّبُ المعالي المقربة إلى الحق عز وجل » .

وقال (ص ٢٥٠، ٢٥١) :

« خلقت لي همة عالية تطلب الغايات ، بلغتُ الستين وما بلغت ما أملت ، فأخذتُ أسأل اللَّه تطويل العمر ، وتقوية البدن ، وبلوغ الآمال ، فأنكرت عليَّ العادات وقالت : ما جرتْ عادة بما تطلبُ . فقلتُ : « إنما أطلبُ من قادر على تجاوز العادات » .

وقال في «الصيد» (٤٥٦، ٤٥٧) :

«من رزق همة عالية يُعذَّب بمقدار علوها .. وبيان هذا أن من علت همته طلب العلوم كلَّها، ولم تقتصر على بعضها، وطلب من كلِّ علمٍ نهايته، وهذا ما لا يحتمله البدن، ثم يرى أن المراد العمل، فيجتهد في قيام الليل وصوم النهار، والجمع بين ذلك وبين العلم صَعْبٌ، ثم يرى ترك الدنيا ويحتاج إلى ما لا بد منه، ويحب الإيثار، ولا يقدر على البخل، ويتقاضاه الكرم والبذل، ويمنعه عز النفس عن الكسب من وجوه التبذل، فإن هو جرى على طبعه من الكرم احتاج وافتقر، وتأثر بدنه وعائلته، وإن أمسك فطبعُه يأبى ذلك، وفي الجملة يحتاج إلى معاناةٍ وجمعٍ بين أضداد، فهو أبدًا في نَصَبٍ لا ينقضي، وتعب لا يفرغ، ثم إن حقَّق الإخلاص في الآمال زاد تعبه وقوي وصبُه.

ودنيء الهمة إن كان فقيهًا فسئل عن حديث قال : لا أعرفه، وإن كان محدِّثًا فسئل عن مسألة فقهية فقال : ما أدري، ولا يبالي إن قيل عنه : مقصِّر .. والعالي الهمة يرى التقصير في بعض العلوم فضيحة قد كشفت عيبه، وقد أرت الناس عورته.

والقصير الهمة لا يبالي بمنن الناس عليه، ولا يستقبح سؤالهم، ولا يأنف من ردٍّ، والعالي الهمة لا يحمل ذلك، ولكن تعب العالي الهمة راحة في المعنى، وراحة قصير الهمة تعب وشين، إن كان ثَمَّ فهم، والدنيا دار سباق إلى أعلى المعالي، فينبغي لذي الهمة العالية أن لا يقصر في شوطه، فإن سبق فهو المقصود، وإن كبا جوادُه مع اجتهاده لم يُلَمْ».

□ ابن الجوزي .. شيخ الوعاظ □

اتجه ابن الجوزي إلى الوعظ منذ نشأته، فوعظ في صغره حتى فاق جميع الأقران، وكانت له في ذلك ملكة عجيبة وسرعة بديهة، وتاب على يديه الآلاف، وحضر مجالسه الوزراء والأمراء والسلاطين.

ذكر ابن رجب في «الذيل على طبقات الحنابلة» (٣/٤٠٩):

«إن ابن القطيعي قال: سمعت من أثق به قال: لما سمع أمير المؤمنين المستضيءُ ابن الجوزي ينشد تحت داره:

ستنقلك المنايا عن ديارك ويُبدلك الردى دارًا بدارك
وتترك ما عنيت به زمانًا وتُنقل من غناك إلى افتقارك
فدُودُ القبر في عينيك يرعى وترعى عينُ غيرك في ديارك

فجعل المستضيء يمشي في قصره ويقول: إي والله: وترعى عين غيرك في ديارك. ويكررها ويبكي حتى الليل.

فمجالسه الوعظية لم يكن لها نظير، ولم يُسمع بمثلها في التاريخ، وكانت عظيمة النفع، يتذكر بها الغافلون، ويتعلم منها الجاهلون، ويتوب فيها المذنبون، ويسلم فيها المشركون.

وذكر هو في «تاريخه» أنه تكلم مرة، فتاب في المجلس على يده نحو مائتي رجل، وقطعت شعور مائة وعشرين منهم.

وقال في آخر كتاب «القصاص والمذكرين» له: «ما زلت أعظ الناس وأحرضهم على التوبة والتقوى، فقد تاب على يدي - إلى أن جمعت هذا الكتاب - أكثر من مائة ألف رجل، وقد قطعت شعور الصبيان اللاهين أكثر من عشرة آلاف طائلة، وأسلم على يدي أكثر من مائة ألف».

وقال الحافظ الدبيثي في «الذيل على تاريخ ابن السمعاني»:

«شيخنا ابن الجوزي كان من أحسن الناس كلامًا، وأتمهم نظمًا، وأعذبهم لسانًا، وأجودهم بيانًا، وبورك في عمره وعمله فروى الكثير، وسمع الناس منه أكثر من أربعين سنة، وحدَّث بمصنفاته مرارًا، قال: وأنشدني بواسطٍ لنفسه:

يا ساكن الدنيا تأهب وانتظر يوم الفراق

وأعـــدَّ زادًا للـــرحيـــل ... فســوف يحـدى بالــرفــاق
وابـك الـذنـوب بـأدمـع ... تنـهـل مـن سحـب المـآق
يـا مـن أضـاع زمـانـه ... أرضيـت مـا يفنـى ببـاق

وأنشدني :

إذا رضيت بميسور مـن القـوت ... أصبحت في الناس حُـرًّا غير ممقوت
يـا قـوت نفسي إذا ما درَّ خلقك لي ... فلسـتُ آسـى علـى دُرٍّ ويَـاقـوت

* ومن بديع كلامه : «من قنع طاب عَيْشُه ، ومن طمع طال طيشه» .

ووعظ السلطان مرة فقال :

«يا أمير المؤمنين ، إن تكلمت خِفْتُ منك ، وإن سكت خفت عليك ؛ فأنا أقدِّم خوفي عليك على خوفي منك ، أقول قول الناصح : اتق اللّه ، خير من قول القائل : أنتم أهل بيت مغفورٍ لكم» .

وهذا يدل على أن ابن الجوزي كان بعيدًا عن ظل السلطان ، جريئًا في الحق ، لا يخشى في اللّه لومة لائم ، ولا يداهن أحدًا بعلم أو عمل أو يرائي في القول والعمل .

كما قال لولي الأمر ذات مرة :

«اذكر عند القدرة عدل اللّه فيك ، وعند العقوبة قدرة اللّه عليك ، وإياك أن تشفي غيظك بسقم دينك» .

وقال : «يفتخر فرعون بملك مصر وبنهر ما أجراه .. ما أجرأه !» .

وقال : «عقارب المنايا تلسع ، وخَدَرَان جسم الأمل يمنع الإحساس ، وماء الحياة في إناء العمر يرشح بالأنفاس» .

وانظر إلى عظيم تقديره لإخوانه وحسن ظنه بهم ، قال لصاحب له :

«أنت في أوسع العذر من التأخير عني لثقتي بك ، وفي أضيقه من شوقي إليك» .

ثم انظر إلى ذكائه الحاد وفطنته القوية وهو في بلد يغلب عليه الفتن - بغداد - في كل زمان، اختلف الشيعة وأهل السنة في تفضيل عليٍّ على أبي بكر أم العكس، فقام إليه رجل فقال : يا سيدي، نريد كلمة ننقلها عنك أيهما أفضل : أبو بكر أو عَلي ؟ فقال : أفضلهما من كانت ابنته تحته . فألقى هذا القول في أودية الاحتمال ورضي الفريقان بجوابه .

وسأله آخر فقال : أيما أفضل أُسبِّح أم أستغفر ؟ فقال : الثوب الوسخ أحوج إلى الصابون من البخور .

ووعظ ابنه يومًا فقال : « إياك أن تتشاغل بالتعبد من غير عِلْمٍ ؛ فإن خلقًا كثيرًا من المتزهدين والمتصوفة ضلوا طريق الهدى إذ عَملُوا بغير علم، واستر نفسك بثوبين جميلين، لا يشهرانك بين أهل الدنيا برفعتهما، ولا بين المتزهدين بضعتهما، وحاسب نفسك عند كل نظرة وكلمة وخطرة، فإنك مسئول عن ذلك . وعلى قدر انتفاعك بالعلم ينتفع السامعون، ومتى لم يعمل الواعظ بعلمه زلت موعظته عن القلوب كما يزل الماء عن الحجر، فلا تعظن إلا بنية، ولا تمشين إلا بنية، ولا تأكلن لقمة إلا بنية، ومع مطالعة أخلاق السلف تنكشف لك الأمور » .

إلى أخبار أخرى كثيرة من زهده ووعظه، وذكر ثقافته، ومحبته، وسرد مصنفاته وكتبه البالغ عددها ألف مصنَّف، وموقفه من الفلاسفة وقصاص زمانه والمتصوفة، نترك القارئ يطلع عليها، ويتعرف على عظيم شخصية الإمام من خلال مظان ترجمته المذكورة في ثنايا المقدمة، والذي يعنينا هنا هو :

□ عقيدة الإمام ابن الجوزي - رحمه الله - □

نقل الحافظ الذهبي في «السير» (٢١/٣٨٢، ٣٨٣):

قال موفق الدين عبد الله بن أحمد المقدسي: «ابن الجوزي إمام أهل عصره في الوعظ، وصنف في فنون العلم تصانيف حسنةً وكان صاحب فنون، كان يصنف في الفقه، ويدرِّس، وكان حافظًا للحديث، إلاَّ أننا لم نرض تصانيفه في السنة - يعني في الاعتقاد - ولا طريقته فيها، وكانت العامة يعظمونه، وكانت تنفلت منه في بعض الأوقات كلمات تنكر عليه في السنة، فيستفتى عليه فيها، ويضيق صدره من أجلها».

وكان أبو المظفر ابن حمدي ينكر عليه كثيرًا كلمات يخالف فيها السنة.

وعاتبه أبو الفتح ابن المَنِّي في أشياء، ولما بان تخليطه أخيرًا، رجع عنه أعيان أصحابنا وأصحابه.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٤/١٦٩):

«إن أبا الفرج نفسه متناقض في هذا الباب - يعني الصفات - لم يثبت على قدم النفي ولا على قدم الإثبات، بل له من الكلام في الإثبات نظمًا ونثرًا ما أثبت به كثيرًا من الصفات، فهو في هذا الباب مثل كثيرين من الخائضين من أنواع الناس، يثبتون تارة وينفون أخرى في مواضع كثيرة من الصفات، كما هو حال أبي الوفاء بن عقيل وأبي حامد الغزَّالي».

وقال ابن رجب الحنبلي:

«نقم عليه جماعة من مشايخ أصحابنا ميله إلى التأويل في بعض كلامه، واشتد نكيرهم عليه في ذلك، ولا ريب أن كلامه في ذلك مضطرب مختلف، وهو وإن كان مطلعًا على الأحاديث والآثار، فلم يكن خبيرًا بحل شبه المتكلمين وبيان فسادها، ثم علل اضطرابه بأنه، كان معظمًا لأبي الوفاء بن

عقيل متابعـًا لأكثر ما يجده من كلامه، وإن كان قد ردَّ عليه في بعض المسائل، وكان ابن عقيل بارعًا في الكلام، ولم يكن تام الخبرة بالحديث والآثار؛ لهذا يضطرب في هذا الباب وتتلون فيه آراؤه، وأبو الفرج تابع له في هذا التلون». انظر «ذيل طبقات الحنابلة» (٣/٤١٤).

وانظر على سبيل المثال إلى تخبطه في هذا الباب رده على الحافظ ابن عبد البر الأندلسي في إثبات العلو والفوقية للّه عز وجل، قال في «صيد الخاطر» (٩٧): «ولقد عجبت لرجل أندلسي يُقال له: ابن عبد البر صنف كتاب «التمهيد» فذكر فيه حديث النزول إلى السماء الدنيا، فقال: هذا يدل على أن اللّه تعالى على العرش؛ لأنه لولا ذلك لما كان لقوله: ينزل، معنى. قال ابن الجوزي ردًّا عليه بزعمه: وهذا كلام جاهل بمعرفة اللّه عز وجل؛ لأن هذا استسلف من حِسِّه ما يعرفه من نزول الأجسام، فقاس صفة الحق عليه».

ونجده تارة يرد - بل يشنع - على أهل الكلام والفلسفة فيقول:

«أهل الكلام يقولون: ما في السماء رب، ولا في المصحف قرآن، ولا في القبر نبي، ثلاث عورات لكم»!!

ورد على الفلاسفة ردًّا جميلاً في كتاب «تلبيس إبليس» فقال: «إن المتبعين لهم لا مستند لكفرهم إلاَّ علمهم بأن الفلاسفة كانوا حكماء، أتراهم ما علموا أن الأنبياء كانوا حكماء وزيادة، وذكر قول الشافعي - رحمه اللّه -: «لأن يبتلى العبد بكل ما نهى اللّه عنه - ما عدا الشرك - خيرٌ له من أن ينظر في الكلام»، وعن أحمد بن حنبل قوله: «لا يفلح صاحب كلام أبدًا، علماء الكلام زنادقة».

ورد على ابن عقيل قوله: «أنا أقطع أن الصحابة ماتوا وما عرفوا الجوهر والعرض، فقال: فإن رضيت أن تكون مثلهم فكن، وإن رأيت أن طريقة المتكلمين أولى من طريقة أبي بكر وعمر فبئس ما رأيت».

ثم قال : «وقد زعم أرباب الكلام أنه لا يتم الإيمان إلاَّ بمعرفة ما رتبوه ، وهؤلاء على الخطأ ؛ لأن الرسول ﷺ أمر بالإيمان ولم يأمر ببحث المتكلمين» .

وخلاصة القول : أن ابن الجوزي كان مضطربًا - خاصة - في باب الأسماء والصفات ، فلم يثبت على قدم واحدة ، بل ذهب إلى ما هو أبعد من ذلك ، أن نسب هذا التخبط وذاك التأويل إلى إمامه أحمد بن حنبل - رحمه الله !!

ولذا قال الذهبي في «السير» (٣٦٨/٢١) :

«فليته - أي ابن الجوزي - لم يخض في التأويل ، ولا خالف إمامه» .

كما شنع على القاضي أبي يعلى الحنبلي لخبر - غير صحيح - جاء عنه ، فقيض الله له شيخ الإسلام ابن تيمية ليرد عليه في كتابه العظيم «درء تعارض العقل والنقل» (٢٣٧/٥) .

«وشنع عليه أعداؤه بأشياء هو منها بريء .. ومع هذا ففي كلامه ما هو مردود نقلاً وتوجيهًا» . اهـ بتصرف .

ونحن إذ نقول هذا الكلام ، ونذهب هذا المذهب ، نوقن بالفرق الكبير بين مَنْ تحرى الحق فأخطأه ، وبين مَنْ تعمد الباطل ، فالأول أصله الاستقامة على منهج السلف علمًا وعملاً ، وإن أخطأ منهج السلف في مسألة أو أكثر ، فهي زلة لا تخرجه عن حدِّ الاستقامة ، وخطؤه مغفور له ، ولا يتابع عليه ، بل يُجتنب ويُبين ، فليس كل من وقع في الكفر كافرًا ، ولا كل من وقع في البدعة أو تلبس بها مبتدعًا أو فاسقًا ، كما أنها لا تنسب إلى مذهب السلف أهل السنة والجماعة ؛ ولذا قال إمام الأئمة ابن خزيمة - رحمه الله -: «ولو أن كل

من أخطأ في اجتهاده مع صحة إيمانه وتوخيه لاتباع الحق أهدرناه وبدعناه ؛ لقلَّ من يسلم من الأئمة معنا » . « السير » (١٤/٣٧٦) .

وأما الثاني الذي تعمد الباطل ، واتخذ التأويل له منهجًا واعتقادًا يدافع وينافح عنه ، ونبذ الكتاب والسنة وراء ظهره ، وقدم كلام الخلف على معتقد السلف من الصحابة والتابعين وأئمة الدِّين المشهود لهم بالعلم والاستقامة ؛ كمالك ، والشافعي ، وأحمد بن حنبل ، والثوري ، وابن عيينة ، وغيرهم - وهم بحمد الله - كثير ، بل أخذ في الرد عليهم ، ووصفهم بالمشبهة تارة ، والمجسمة تارة أخرى ، فلا شك أن من كان هذا حاله فلا بد من إلحاقه بإحدى الفرق الضالة بعد قيام الحجة الرسالية عليه ، ودفع الشبهة التي كانت سببًا في انحرافه عنه .

وابن الجوزي - رحمه الله وغفر له - وقع في شيء من هذا كثير ، وصرف النصوص عن ظاهرها المراد لله عز وجل ، فوافق - ولا بد - كلام الخلف من الأشاعرة وغيرهم ، ولم يكن له معرفة حقيقية بمذهب السلف ، ومن طالع كتابه « دفع شبه التشبيه » - وهو من أردى الكتب المصنَّفة لمناوأة مذهب السلف - عرف هذا .

لذا تصدى لنصحه عصريُّه العلامة القدوة إسحاقُ بن أحمد العُلثي السَّلفي ، فكان مما جاء فيها :

« .. اعلم أنه قد كثر النكير عليك من العلماء والفضلاء ، والأخيار في الآفاق بمقالتك الفاسدة ، وقد أبانوا وَهَاءَ مقالتك ، وحَكَوْا عنك أنك أبيت النصيحة ، فعندك من الأقوال التي لا تليق بالسنة ما يضيق الوقت عن ذكرها .. ثم تعرضت لصفات الخالق تعالى ، كأنها صدرت لا من صَدْرٍ سَكَن فيه احتشام العلي العظيم ، ولا أملاها قلبٌ مُليءَ بالهيبة والتعظيم ، بل من واقعات النفوس البهرجيَّةِ الزُّيوف .. وزعمت أن طائفة من أهل السنة والأخيار تلقوها

وما فهموا .. وحاشاهم من ذلك ، بل كفُّوا عن الثرثرة والتشدق ، لا عجـزًا - بحمد اللّه - عن الجدال والخصام ولا جهلاً بطريق الكلام ، وإنمـا أمسكوا عـن الخوض في ذلك عن علمٍ ودراية ، لا عن جهل وعماية .

والعجب ممن ينتحل مذهب السلف ولا يرى الخوض في الكـلام ، ثـم يُقـدِمُ على تفسير ما لـم يره أوَّلاً ، ويقول : إذا قلنا : كذا ، أدى إلى كذا ، ويقيس ما ثبت من صفات الخالق علـى مـا لـم يثبـت عنـده ، فهـذا الـذي نهيت عنه ، وكيف تنقض عهدك وقولك بقول فلان وفلان من المتأخرين ؟ فلا تُشمت بنـا المبتدعة ، فيقولون : تنسبونا إلى البدع وأنتـم أكثر بدعـًا منا ، أفلا تنظـرون إلى قول من اعتقدتـم سلامة عقده ، وتثبتون معرفته وفضله ؟ وكيف يجوز أن تتبـع المتكلمين في آرائهم ، وتخوض مع الخائضين فيما خاضوا فيه ، ثم تنكر عليهم ؟ هذا من العجب العجاب ، ولو أن مخلوقـًا وصف مخلوقـًا مثله بصفات من غـير رؤيـة ولا خـبر صـادق ؛ لكـان كاذبـًا في إخبـاره ، فكيـف تصفـون اللّـه - سبحانه - بشيء مـا وقفتـم علـى صحتـه ، بـل الظنـون والواقعـات ، وتنفـون الصفات التي رضيها لنفسه ؛ وأخبر بها رسولُه ، بنقل الثقات الأثبات ؛ بيحتمل ويحتمل ؟!!

ثم تدعي أن الأصحاب خلطوا في الصفات ؛ فقد قبَّحت أكثر منهـم ، ومـا وسعتك السنة ، فاتق اللّه سبحانه ، ولا تتكلم فيه برأيك ، فهذا خبرُ غيـب ، لا يُسمع إلاَّ من الرسول المعصـوم ، فقـد نصبتـم حربـًا للأحـاديث الصحيحـة ، والذين نقلوها نقلوا شـرائع الإسـلام .. لقـد آذيـت عبـادًا وأضللتهـم ، وصـار شغلك نقل الأقوال فحسب .. وأنا وافدة العلماء والناس والحفاظ إليـك ، فإمـا أن تنتهي عن هذه المقالات وتتـوب التوبـة النصـوح ، كمـا تـاب غـيرك ، وإلاَّ كشفوا للناس أمرك ، وسيروا ذلك في البلاد وبيِّنوا وجه الأقـوال الغثـة ، وهـذا أمرٌ تُشُووِرَ فيه ، وقضي بليل ، والأرض لا تخلو من قائم للّه بحجة ، والجَـرْحُ لا

شك مقدَّم على التعديل (قُلْتُ : إذا كان مبيَّن السبب وإلاَّ فلا ، أو أنه ليس غيرُه ولا معارض له فإعماله هنا خير من إهماله) . واللّه على ما نقول وكيل ، وقد أعذر من أنذر .

وإذا تأوَّلت الصفات على اللغة ، وسوَّغته لنفسك ، وأبيتَ النصيحة ، فليس هو مذهب الإمام الكبير أحمد بن حنبل - قدَّس اللّه روحه - فلا يمكنك الانتساب إليه بهذا ، فاختر لنفسك مذهبًا ، إن مُكنت من ذلك ، ومازال أصحابنا يجهرون بصريح الحق في كل وقت ولو ضُربوا بالسيوف ، لا يخافون في اللّه لومة لائم ، ولا يبالون بشناعة مشنِّع ، ولا كذب كاذب ، ولهم من الاسم العذب الهني ، وتركهم الدنيا وإعراضهم عنها اشتغالاً بالآخرة : ما هو معلوم معروف .

ولقد سوَّدت وجوهنا بمقالتك الفاسدة ، وانفرادك بنفسك ، كأنك جبار من الجبابرة ، ولا كرامة لك ولا نعمى ، ولا نمكنك من الجهر بمخالفة السنة ، ولو استُقبل من الرأي ما استُدْبِر لم يُحك عنك كلام في السهل ولا في الجبل ، ولكن قدَّر اللّه وما شاء فعل ، بيننا وبينك كتاب اللّه وسنة رسوله ، قال اللّه تعالى : ﴿ **فإن تنازعتم في شيء فردُّوه إلى اللّه والرَّسول** ﴾ ، ولم يقل : إلى ابن الجوزي .

وترى كل من أنكر عليك نسبته إلى الجهل ، ففضل اللّه أوتيته وحدك ؟! وإذا جَهَّلتَ الناس فمن يشهد لك أنك عالم ؟ ومن أجهل منك حيث لا تصغى إلى نصيحة ناصح ؟! وتقول : من كان فلان ؟ ومن كان فلان ؟ مِنَ الأئمة الذين جاء العلم إليك عنهم ، من أنت إذًا ؟

فلقد استراح من خاف مقام ربه ، وأحجم عن الخوض فيما لا يعلم لئلا يندم .

فانتبه يا مسكين قبل الممات ! وحسِّن القول والعمل فقد قَرُبَ الأجل ، للّه الأمر من قبل ومن بعد ، ولا حول ولا قوة إلاَّ باللّه العظيم » . انتهى . انظر « ذيل طبقات الحنابلة » (٢/٢٠٩- ٢١١) .

وقد حذفت بعض الفقرات التي فيها مناقشة ابن الجوزي في بعض تأويلاته، ومن أراد الوقوف على ذلك فسيجده في معظم كتبه، خاصة «التفسير»، و«دفع الشبه»، وغيرها.

□ الأسباب التي دعت الفرق الضالة إلى الانحراف عن منهج النبوة □

١- خطؤهم في أن السلف الصالح لما أخذوا بظاهر النصوص في صفات الباري، أن ذلك يستلزم المماثلة بين صفات الخالق وصفات المخلوق: وغاب عنهم أن السلف إنما آمنوا بهذه الصفات وأمروها كما جاءت دون تحريف أو تعطيل، وهذه حقيقة الانقياد، وعلامة الإيمان الصادق الكامل (إثبات بلا تمثيل، وتنزيه بلا تعطيل). وأن مذهب السلف وسط بين المشبهة والمعطلة، مع العلم بأن لفظة «الظاهر» عند السلف لها مدلول يخالف مدلولها عند الخلف أهل الكلام، فالظاهر من قوله تعالى: ﴿**الرحمن على العرش استوى**﴾ عند السلف يعني علو الرحمن وفوقيته، سبحانه وتعالى بذاته كيف شاء، وعند الخلف ﴿**استوى**﴾ بمعنى: استولى!!! وهذا القول لا تشهد له لغةٌ، ولا شرع، ولا عقل.

٢- أهل التعطيل لا يفهمون من صفات الخالق إلا ما يفهمونه من صفاتهم البشرية!!! مما حدا بهم إلى تعطيل صفات الباري تعالى، فأصبح عندهم ذاتًا بلا صفات من باب تنزيهه - زعموا -!!!

وشيخ الإسلام ابن تيمية يرد على المعطلة في «التدمرية» (٣/٤٨، ٤٩):

«إن كثيرًا من الناس يتوهم في بعض الصفات، أو كثير منها، أو أكثرها، أو كلها أنها تماثل صفات المخلوقين، ثم يريد أن ينفي ذلك الذي فهمه، فيقع في أربعة أنواع من المحاذير:

(أحدها) : كونه مثَّل ما فهمه من النصوص بصفات المخلوقين، وظن أن مدلول النصوص هو التمثيل.

(الثاني) : أنه إذا جعل ذلك هو مفهومها، وعطَّلَهُ، بقيت النصوص معطلة عما دلَّت عليه من إثبات الصفات اللائقة بالله، فيبقى مع جنايته على النصوص، وظنه السيئ الذي ظنه بالله ورسوله - حيث ظن أن الذي يُفهم من كلامهما هو التمثيل الباطل - قد عطل ما أودع الله ورسوله في كلامهما من إثبات الصفات لله، والمعاني الإلهية اللائقة بجلال الله تعالى.

(الثالث) : أنه ينفي الصفات عن الله - عز وجل - بغير علم، فيكون معطلاً لما يستحقه الرب تعالى.

(الرابع) : أنه يصف الرب بنقيض تلك الصفات من صفات الأموات والجمادات أو صفات المعدومات، فيكون قد عطل به صفات الكمال التي يستحقها الرب، ومثَّله بالمنقوصات والمعدومات، وعطَّل النصوص عما دلَّت عليه من الصفات، وجعل مدلولها هو التمثيل بالمخلوقات، فيجمع في كلام الله وفي الله بين التعطيل والتمثيل، فيكون ملحدًا في أسماء الله وآياته ..».

٣- تشبثهم ببعض التأويلات التي وردت عن بعض أئمة السلف، ولا حجة لهم فيها؛ لأن هذه النقولات :

أ- إما واهية جاءت من طريق الضعفاء والكذابين، كما ورد عن مالك، وأحمد، وغيرهما - رحمها الله تعالى - تأويل الإتيان والمجيء وغيرها.

ب- أو أن القائل بهذا التأويل قد رجع عنه وتاب منه؛ كأبي الحسن الأشعري - رحمه الله - فإنه قد انسلخ من باطله وانخلع منه كما يُسل السيف من غمده، ولكن المتعصبين لمذهبه لا يزالون على أصل المذهب الفاسد، فاتبعوه في الباطل وخالفوه في الحق، والله الهادي إلى سواء السبيل.

ولذا قال ابن القيم - رحمه الله - في «مختصر الصواعق» (ص ٣٩١) :

«.. إذا ثبت عن مالك، وأحمد، وغيرهما تأويل شيء في موارد النزاع لم يكن فيه أكثر من أنه وقع بينهم نزاع في معنى الآية أو الحديث.. والحُجَّة هي التي تفصل بين الناس». اهـ.

وهكذا يقرر ابن القيم - رحمه الله - تلك القاعدة الجليلة، وهي على فرض صحة وثبوت التأويل عن أحد من السلف، فلا حجة في قوله، وإنما الحجة في الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة على ترك التأويل الباطل، ووجوب إثبات الصفات لله - تعالى - على الوجه اللائق له - سبحانه - ثبوتًا بلا تمثيل، وتنزيهًا بلا تعطيل، وأن الحق يؤخذ من كل مَنْ جاء به، والباطل يرد على كل من جاء به مهما بلغ علمه واجتهاده، قال تعالى: ﴿**فإن تنازعتم في شيء فردُّوه إلى الله والرسول**﴾ [النساء: ٥٩]، والردُّ إلى الله هو الرجوع إلى كتابه، واستنباط الحكم للقضية محل النزاع، والرد إلى الرسول ﷺ هو الرد والتحاكم إلى سنته المطهرة الصحيحة بعد مماته.

٤- تقديمهم العقل على النقل:

بمعنى أنهم يسلكون في المطالب الإلهية مسلك الفلاسفة وعلماء الكلام في الاستدلال بالعقل وحده، وتقديسه والاكتفاء به، بل وتقديمه على كلام الله وكلام رسوله، وهم يعلمون يقينًا أن هذا منهج الفلاسفة الذين لا يثبتون النبوات، ولا يرون أن الله أرسل الرسل وأنزل عليهم الكتب وغيرها، ويؤكدون أن كل ذلك ليست حقائق ثابتة، ومع هذا فقد أقبل الخلف على تقديم العقل على السمع والنقل؛ فما أثبته العقل فهو الثابت، وما نفاه العقل فهو المنفي، فالعقل عندهم حاكم وليس محكومًا!!

٥- تفريقهم بين الكتاب والسنة:

لقد زعمت تلك الفرق الضالة، خاصة المعتزلة والجهمية أن حديث الآحاد لا ينهض لصحة الاعتماد عليه في باب العقيدة وإثبات الغيبيات، وأن هذا لا يصح فيه إلا آية في كتاب الله أو حديث متواتر!!

وأبعد منهم نجعة الرافضة الغلاة مع إخوانهم الملاحدة والزنادقة ، الذين ذهبوا إلى وجوب الاكتفاء بالقرآن فحسب ، والاستغناء عن السنة مطلقًا في أصول الدين وفروعه .

قال ابن أبي العز الحنفي في « شرح الطحاوية » :

« فسدوا على القلوب معرفة اللَّه - تعالى - وأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله من جهة الرسول ﷺ ، وأحالوا الناس على قضايا وهمية ومقدمات خيالية سموها قواطع عقلية ، وبراهين يقينية ، وهي في الحقيقة كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً » .

وقال في (٢/٥٠١- ٥٠٤) :

« وخبر الواحد إذا تلقته الأمة بالقبول ، عملاً بقوله وتصديقًا له يفيد العلم اليقيني عند جماهير الأمة ، ولم يكن بين سلف الأمة في ذلك نزاع ، وكان رسول اللَّه ﷺ يُرسل رُسله آحادًا ، ويرسل كُتُبه مع الآحاد ، ولم يكن المُرسل إليهم يقولون : لا نقبله ؛ لأنه خبر واحدٍ ، وقد قال تعالى : ﴿ **هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله** ﴾ [التوبة : ٣٣] ، فلا بد أن يحفظ اللَّه حججه وبيناته على خلقه ؛ لئلا تبطل حججه وبيناته ؛ ولهذا فضح اللَّه من كذب على رسوله في حياته وبعد مماته ، وبيَّن حاله للناس .

قال سفيان بن عيينة : ما ستر اللَّه أحدًا يكذب في الحديث .

وقال عبد اللَّه بن المبارك : لو هَمَّ رجلٌ في السَّحَر أن يكذب في الحديث ، لأصبح والناس يقولون : فلان كذاب » .

وخبر الواحد وإن كان يحتمل الصدق والكذب ، ولكن التفريق بين صحيح الأخبار وسقيمها لا يناله أحدٌ إلا بعد أن يكون معظمُ أوقاته مشتغلاً بالحديث ، والبحث عن سيرة الرواة ، ليقف على أحوالهم وأقوالهم ، وكانوا بحيث

لو قتلوا لـم يسامحوا أحدًا في كلمة يتقوَّلها على رسول اللَّه ﷺ، وقد نقلوا هـذا الدِّين إلينا كما نُقل إليهم، فإذا أوقف المرء على هذا من شأنهم، وعرف حـالهم، وخَبَرَ صدقهم وورعهم وأمانتهم، ظهرَ له العلمُ فيما نقلوه ورَوَوْه». اهـ.

وليس المقـام هنـا لـلرد علـى مَزاعمهـم - الفـرق الضالـة - الباطلـة وتفنيـد شبههم الواهية، بقدر ما هو إثبات لمنهـج السـلف الذيـن كـانوا يحتكمـون إلى النصوص في كل شـيء كتابـًا وسـنةً، ويكتفـون بهـا ولا يعارضونهـا بالأدلـة العقلية، كما أنهم يعتقدون أن السنة صنو القـرآن، بـل هـي المفسـرة لـه بعـد القرآن، ويحسن بي أن أحيل - للمزيد - إلى رسـالتي شـيخنا الألبـاني - فسـح اللَّه في مدَّته وعافَاه من مرضه بقدرته -: «منزلة السنة في الإسلام وبيان أنـه لا يُستغنى عنها بالقرآن»، «وجوب الأخذ بحديث الآحاد في العقيدة والرد علـى شبه المخالفين».

* * *

□ ذِكْرُ القواعد السلفية في فهم النصوص الواردة في إثبات الصفات الربانية □

لقد عصم الله أهل السنة والجماعة في أعظم باب من أبواب أصول الدين، وهو «الصفات الربانية» التي ضلت وتحيرت فيه جميع الفرق، وخالفوا فيه ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه الكرام، بأن قعَّد أهل السنة قواعد لفهم هذه النصوص على مراد اللّه ورسوله، وأصَّلُوا أصولاً لا يكاد ينحرف عنها منحرف إلاَّ ولا بد أن يدخل في غياهب العمى ويتشبه بأحد هذه الفرق، من هذه الأصول:

أولاً: «توحيد اللّه - عز وجل - في إلهيته وربوبيته، وأسمائه وصفاته، وأفعاله عمن سواه»:

قال تعالى: ﴿**قل هو اللّه أحد * اللّه الصمد * لم يَلد ولم يُولد * ولم يكن له كفوًا أحد**﴾ [الإخلاص: ١ - ٤]، وقال تعالى: ﴿**ألا له الخلق والأمر**﴾ [الأعراف: ٥٤]، وقال تعالى: ﴿**وما أمروا إلاَّ ليعبدوا اللّه مخلصين له الدين**﴾ [البينة: ٥]، وقال تعالى: ﴿**ليس كمثله شيء وهو السميع البصير**﴾ [الشورى: ١١]، وقال تعالى: ﴿**هل تعلم له سميًّا**﴾ [مريم: ٦٥]؛ أي شبيهًا ومناظرًا ومماثلاً ؟!

ثانيًا: «أثبتوا للّه ما أثبته لنفسه في كتابه، أو أثبته له رسوله في صحيح سنته من غير تحريف ولا تعطيل»:

وذلك لأن اللّه - تعالى - أعلم بنفسه من غيره، ورسوله ﷺ أعلم الخلق بربه، والتوحيد يستلزم إثبات الصفات، وإلاَّ فكيف يكون الإله واحدًا في صفاته - التي تليق بكماله وجلاله - مع نفي المعطلة لتلك الصفات، وكذا نفى اللّه - تعالى - المشابهة والمماثلة، فقال: ﴿**ليس كمثله شيء**﴾،

وأثبت لنفسه اللائق من الصفات فقال : ﴿ **وهو السميع البصير** ﴾ ، فهو سبحانه سميع بسمع ، بصير ببصر ، يليق بجلاله وعظمته ، لا يشبه أحدًا من خلقه ، ولا يُشبهه أحدٌ من خلقه .

ثالثًا : « **نفوا عن اللّه ما نفاه عن نفسه في كتابه ، وما نفاه عنه رسوله في صحيح سنته** » .

رابعًا : « **كفُّهُم وعدم خوضهم في إدراك حقيقة الكيفية لصفات اللّه وأفعاله ، وفوَّضوا علم ذلك إلى اللّه تعالى** » ؛ لقوله تعالى : ﴿ **ولا يحيطون به علمًا** ﴾ [طه : ١١٠] .

خامسًا : « **صفات اللّه تعالى توقيفية** » :

فلا يثبتون للّه صفة زائدة عما في الكتاب والسنة ، ولا ينفون عن اللّه - عز وجل - إلا ما نفاه عن نفسه ونفاه عنه رسوله ﷺ .

سادسًا : « **منهج السلف في نفي النقص عن اللّه اعتقادهم ثبوت كمال ضده للّه - عز وجل -** » :

فنفي الموت عنه يتضمن كمال الحياة ، ونفي النوم يتضمن كمال قيوميته ، كما في قوله تعالى : ﴿ **لا تأخذه سنة ولا نوم** ﴾ ، ونفي الظلم يتضمن كمال عدله، كما في قوله تعالى : ﴿ **ولا يظلم ربك أحدًا** ﴾ [الكهف : ٤٩] .

سابعًا : « **اتفاقهم على مراعاة الألفاظ الواردة في إثبات الأسماء والصفات للرب - تبارك وتعالى - وتوقفهم في الألفاظ التي لم يرد بها نص نفيًا ولا إثباتًا** » ؛ فلا يأتون بلفظ محدث مبتدع في هذا ؛ لأن الألفاظ المبتدعة ليس لها ضابط ، بل كل قوم يريدون بها معنًى غير المعنى الذي أراده الآخرون ، كلفظ « الجهة » ، و« الجسم » ، و« الحيز » ، و« الحد » ، و« الجبر » ، و« الحركة » ، و« الانتقال » ، وغير ذلك ، بخلاف ألفاظ الرسول ﷺ ، فإن مراده بها يُعلم كما يعلم مراده بسائر ألفاظه .

فأما معنى هذه الألفاظ المجملة فيُسأل عنها من قال بها ، فإن أُريد بها باطل رُدَّ ، وإن أريد بها حق لا يمتنع عن اللّه قُبل ، مع بيان ما يدل على المعنى الصواب من الألفاظ الشرعية والدعوة إلى استعمالها مكان هذه الألفاظ المحدثة المبتدعة كلفظ « الجهة » مثلاً ، فإن أراد مكانًا يحويه ، رددناه وأبطلناه ، وإن أراد « العلو والفوقية والاستواء » للّه - عز وجل - قبلناه ، ولكن الواجب على كل مسلم ألاَّ يتكلم إلاَّ بما جاء من الألفاظ في الكتاب والسنة ، وأن يترك تلك الألفاظ المحدثة التي تورث الشكوك ، ولو كان في ذكرها خير لما تركها النبي ﷺ ولا أصحابه الكرام ، فعدولهم عنها وتمسك القائلين بها يدل على إحداثها في الدين ، وكل محدثة ضلالة .

ثامنًا : « كل صفة ثبتت بالنقل الصحيح ؛ وافقت العقل الصريح - ولا بد - بلا تعارض » :

ومن أجل ذلك صنَّف شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه اللّه - كتابه القيم « درء تعارض العقل والنقل » ، ولو فرضنا وجود التعارض بين العقل والنقل فلا بد أن يكون مردُّ ذلك إلى سببين :

أ- عدم ثبوت النقل ، وحينئذ تسقط حجة مدعي التعارض ، حيث لا ينهض الدليل هنا - مع ضعفه - للاحتجاج به ، وضعفه حينئذ كافٍ في رده .

مثال ذلك حديث : « **إن أوَّل ما خلق اللّه القلم ، فقال له : اكتب . فجرى بما هو كائن إلى الأبد** » . مع حديث : « **أول ما خلق اللّه العقل ، فقال له : أقبل ، ثم قال : وعزتي وجلالي ما خلقت خلقًا أشرف منك** » .

فإذا نظر العقل الصريح إلى هذين الحديثين تحير ، أيهما خلق أولاً ؟! فإذا علم بأن الثاني منهما موضوع ، والأول صحيح زال عين الإشكال حينئذ .

ب- وإما أن العقل قَصُر عن فهم نصوص الكتاب والسنة ، فمشكاة الوحي واحدة ، فكيف يتصور التعارض مع اتحاد المصدر ؟! ولذا كان إمام الأئمة ابن خزيمة - رحمه الله - يتحدى إدعاء التعارض بين النصوص الشرعية ، وما جيء له بنصين ظاهرهما التعارض إلاَّ ألَّف بينهما ، فيرد الجاهل عالمًا ، ويرد المبطل صاحب الهوى خاسئًا خاسرًا .

تاسعًا : « **منهج السلف في إثبات الصفات هو النفي المجمل لصفات النقص ، والإثبات المفصل لصفات الكمال** » . ففي باب النفي قوله تعالى : ﴿ **ليس كمثله شيء** ﴾ [الشورى : ١١] . وقال تعالى : ﴿ **ولم يكن له كفوًا أحد** ﴾ [الإخلاص : ٤] . وفي باب الإثبات المفصل لصفات الكمال قوله تعالى : ﴿ **وهو السميع البصير** ﴾ [الشورى : ١١] ، وقوله تعالى : ﴿ **هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم * هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أين ما كنتم والله بما تعملون بصير** ﴾ [الحديد : ٣، ٤] .

وخالف أهلَ السنة في ذلك المعتزلةُ والأشعريةُ ، فإنهم قد أثبتوا إجمالاً ونفوا تفصيلاً ، فأثبتوا وجود ذات الله فحسب ، ونفوا عنه الصفات تفصيلاً ، فقالوا في مدحه سبحانه : ليس بجسم ، ولا صورة ، ولا لحم ، ولا دم ، ولا بذي لون ، ولا طعم ، ولا رائحة ، إلى غير ذلك من الألفاظ المبتدعة المحدثة التي يستحي القلم أن يسطرها هنا ، ولولا أن الله حكى عن أهل الكفر والإلحاد مقالتهم الشنيعة ، ما تجرأنا على نقل كلمة واحدة من مقالة أصحاب البدع ، وصدق فيهم هم وإخوانهم من المشبهة قول شيخ الإسلام ابن تيمية : « الممثل يعبد صنمًا ، والمعطل يعبد عدمًا » .

عاشرًا : « كل اسم ثبت للّه – عز وجل – فهو متضمن لصفة من غير عكس » :

مثال : اسم اللّه الرحمن متضمن لصفة الرحمة ، واسم اللّه السميع متضمن لصفة السمع ، واسم اللّه الكريم متضمن لصفة الكرم .. إلخ ، فهو سبحانه سميع بسمع ، عليم بعلم ، قدير بقدرة ، وهكذا جميع أسمائه سبحانه . أما صفاته فلا تشتق منها الأسماء ؛ كالإرادة ، والإتيان ، والمجيء ، والانتقام من المجرمين ، وغيرها . فلا نقول : المريد ، والآتي ، والجائي ، والمنتقم ؛ لأن هذه ليست أسماءً للّه تعالى .

الحادي عشر : « صفات اللّه – تعالى – كلها صفات كمال وجلال ، لا نقص فيها بوجه من الوجوه » . وصفات النقص لا تليق إلا بالمخلوق .

الثاني عشر : « صفات اللّه – عز وجل – (ذاتية) : كاليد ، والعين ، والساق ، والرجل ، والأصابع ، وغيرها . **(وفعلية)** : كالإتيان ، والمجيء ، والنزول ، والاستواء ، والغضب ، والضحك ، والرضا ، والسخط . وغيرها ، وصفاته الفعلية متعلقة بأفعاله ، وأفعاله لا منتهى لها : ﴿ **ويفعل اللّه ما يشاء** ﴾ [إبراهيم : ٢٧] ، وقال تعالى : ﴿ **لا يُسئل عما يفعل وهم يسئلون** ﴾ [الأنبياء : ٢٣] ، وقال : ﴿ **ولكن اللّه يفعل ما يريد** ﴾ [البقرة : ٢٥٣] ، وقال : ﴿ **اللّه يفعل ما يشاء** ﴾ [آل عمران : ٤٠] ، وغيرها من الآيات الدالة على المراد .

الثالث عشر : « دلالة الكتاب والسنة على الصفة » إما :

أ– « **التصريح بها** » : كالرحمة ، والعزة ، والقوة ، والوجه ، واليدين ، والعينين ، وغيرها . أو :

ب– « **تضمن الاسم لها** » : فالبصير متضمن لصفة البصر ، والسميع متضمن لصفة السمع .. ونحو ذلك . أو :

جـ- « **التصريح بفعلٍ أوِ وصفٍ دالٍّ عليهـا** » : ﴿ **الرحمن على العرش استوى** ﴾ دال على الاستواء والعلو والفوقية : ﴿ **إنا من المجرمين منتقمـون** ﴾ دال على القدرة على الانتقام من المجرمين ، ولا يوصف اللَّه - عز وجـل - بـه ابتداءً ، ولكنها صفة مقابلة .

الرابع عشر : « **صفات اللَّه - عز وجـل - يُستعاذ بهـا ، ويُحلف بهـا مُضافة إلى اللَّه ، ولا تفرد بنداءٍ ، ولا دعاءٍ ، ولا تعبد** » .

ومنه قوله ﷺ الذي أخرجه مسلم في « صحيحه » : « **أعوذ برضـاك من سخطك ، وبمعافاتك من عقوبتك ..** » . وبوَّب البخاري في كتـاب « الأيمـان والنذور » الباب الثاني عشر : باب الحلف بعزة اللَّه وصفاته وكلماته .

هذا .. ولا يجوز لمسلم أن ينادي الصفة مجردة ، فيقول : يا رحمة اللَّه .. يـا عزة اللَّه .. يا قدرة اللَّه .. إلخ ، ولا نقول : عبد الكرم ، عبد الرحمة .. إلخ .

الخامس عشر : « **الكلام في الصفـات كـالكلام في الـذات** » . فكمـا أننـا نثبت للَّه - عز وجل - ذاتًا حقيقية لا نعلـم كيفيتهـا ، فـلا بـد أن نعتقـد أن هذه الذات متصفة بصفات حقيقية تليق بهـذه الـذات العليـة لا نعلـم كيفيتهـا أيضًا .

السادس عشر : « **القول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخـر ولا فرق** » .

فمن أثبت بعض الصفات يلزمه أن يثبت بقيتها للَّه - تعالى - على ما يليـق بجلاله .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في « الفتاوى » (٢١٢/٥) :

« ومن فرَّق بين صفة وصفـة ، مـع تسـاويهما في أسباب الحقيقـة والمجـاز ؛ كان متناقضًا في قوله ، متهافتًا في مذهبه ، مشابهًا لمـن آمـن ببعـض الكتـاب وكفر ببعض » .

السابع عشر : « **صفات اللّه المضافة إليه غير البائنة عنه ، غير مخلوقة** » . كالسمع ، والبصر ، والكلام ، والسخط ، والغضب ، والرضا . « **بخلاف ما أضيف إلى اللّه من صفات بائنة عنه ، فإنها مخلوقة** » ، وإضافتها إلى اللّه إنما هي إضافة تشريف كبيت اللّه ، وناقة اللّه ، وأمة اللّه ، ونحو ذلك .

الثامن عشر : « **صفات اللّه - تعالى - تثبت بدليل واحد من كتابه أو سنة نبيه إذا صحَّ ، وإن كان آحادًا** » . خلافًا للمعتزلة والأشاعرة وغيرهم .

التاسع عشر : « **معاني صفات اللّه - عز وجل - الثابتة بالكتاب والسنة معلومة يقينًا على الوجه اللائق بالذات العلية ، وتفسَّر على الحقيقة دون المجاز والاستعارة ، أما الكيفية فمجهولة لدينا تبعًا لجهالة كيفية الذات** » .

العشرون : « **ما جاء في الكتاب والسنة ، وجب على كل مؤمن القول بموجبه ، والإيمان به ، وإن لم يفهم معناه** » .

الحادي والعشرون : « **صفات اللّه - عز وجل - لا يُقاس عليها** » . فلا يُقاس السخاء على الجود ، ولا الجلد على القوة ، ولا الاستطاعة على القدرة ، ولا الرقة على الرحمة والرأفة ، ولا المعرفة على العلم .. وهكذا ؛ لأن صفات اللّه - تعالى - توقيفية لفظًا ومعنًى .

الثاني والعشرون : « **إذا كانت أسماء اللّه - تعالى - لا حصر لها ، وأن كل اسم يتضمن صفة ، فصفات اللّه لا حصر لها أيضًا** » .

وكان من دعائه ﷺ : « **أسألك بكل اسم سمَّيت به نفسك ، أو أنزلته في كتابك ، أو علمته أحدًا من خلقك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي ، ونور صدري ، وجلاء حزني ، وذهاب همي ..** » . الحديث .

والشاهد أن للّه أسماءً علَّمها لآحاد خلقه من الملائكة أو الأنبياء والمرسلين - والعلم عند اللّه - ولا مدعى للصوفية والطرقية في هذا الحديث ، وله -

سبحانه - أسماء استأثر هو - سبحانه - بها لم يطلع عليها أحدًا من خلقه ألبتة ، وهذه الأسماء تضمنت صفات ، والله تعالى أعلم .

الثالث والعشرون : « السلف - رضي الله عنهم - لا يخوضون في صفات الله - عز وجل - بالتشبيه والتمثيل ، ولا بالتحريف والتعطيل حَمْلاً للألفاظ على ما يجوز في اللغة من بعض الوجوه ، أو الاستعارة ، أو المجاز ، بل الأصل عندهم في الكلام حمله على حقيقته ، ولا يخرج عن هذا إلا بدليل أو قرينة قوية » .

وحمل الكلام على بعض وجوه اللغة يؤدي إلى :

١- تجهيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان ؛ فإنهم من أعلم الناس باللغة ، وأفهمهم لمعانيها ، ولم يفعلوا فعل المؤوِّلين المحرِّفين الذين يتلاعبون بكلام الله وكلام رسوله ﷺ ، ويدَّعون أن ذلك مما توجبه اللغة ، فلو كان ذكر « الساق » في حق الله - تعالى - يعني به « الشدة » ، أو « القدم » يعني به الموضع ، أو الضحك يعني به « الرضا » ؛ لبيَّنه النبي ﷺ بيانًا عامًا ؛ لأهمية هذا الباب ، ولما أحال الأمة على فهومهم ، مع تباينها واختلافها .

٢- وحمل الكلام على ما يجوز في اللغة ، وترك ظاهر الكلام ، يؤدي إلى خلل ولبس في فهم المراد ، ومن ثم لا يحصل ضبط كلام متكلم إلاَّ بالاستفسار عن كلامه ومقصده ، وهذا خلاف ما عليه المسلمون قديمًا وحديثًا ، وخلاف ما فطر الله عليه الخلق .

٣- أن حمل صفات الرب - جل وعلا - على المعاني اللغوية أو على المجاز دون الحقيقة يقتضي تعطيل الرب - جل وعلا - عن صفات الكمال ؛ فلا يثبت له علم ، ولا حياة ، ولا سمع ، ولا بصر ، ولا غير ذلك مما وصف به نفسه ، أو وصفه به رسوله محمد ﷺ .

٤- أن حمل الكلام على غير حقيقته يقتضي أن الله - جل وعلا - يخاطب العباد بما لا يفهمون ، أو بما ظاهره غير مراد ، وهذا محال شرعًا وعقلاً .

٥- أنه وإن جاز في اللغة إطلاق « اليد » على « النعمة » ، أو « القوة » في بعض المواضع ؛ فلا يصح أن يجعل هذا الإطلاق عامًا في كل شيء :

فقوله تعالى : ﴿ **لما خَلَقتُ بيديَّ** ﴾ [ص : ٧٥] ، لا يصح أن يقال : لما خلقت بقدرتيَّ أو بنعمتيَّ ؛ لأن نعم الله متعددة ، وليست محصورة في نعمتين ، ولا على القدرة ؛ لأن قدرة الله واحدة وغير متعددة)[1] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في « الفتاوى » (٦/٣٦٥) :

« إن لفظ « اليدين » بصيغة التثنية لم يُستعمل في النعمة ، ولا في القدرة ؛ لأن من لغة القوم استعمال الواحد في الجمع ؛ كقوله : ﴿ **إن الإنسان لفي خُسر** ﴾ [العصر : ٢] ، ولفظ الجمع في الواحد ؛ كقوله : ﴿ **الذين قال لهم الناسُ إن الناس ..** ﴾ [آل عمران : ١٧٣] ، ولفظ الجمع في الاثنين ؛ كقوله : ﴿ **صَغَتْ قلوبُكما** ﴾ [التحريم : ٤] ، أما استعمال لفظ الواحد في الاثنين ، أو الاثنين في الواحد ؛ فلا أصل له ؛ لأن هذه الألفاظ عدد ، وهي نصوص في معناها ، لا يُتجوَّز بها .. » .

الرابع والعشرون : « السَّلَفُ يعتقدون أنه ما من شيئين إلاَّ وبينهما قدر مشترك وقدر فارق ، فمن نفى القدر الفارق فقد مثَّل ، ومن نفى القدر المشترك فقد عطَّل » .

فالله - تعالى - سمَّى نفسه العلية بأسماء مختصة به ، وسمى بعض مخلوقاته بأسماء مختصة بهم ، ولا يلزم من اتفاق الاسمين تماثل مسمَّاهما واتحادهما

---

(١) أفاده سليمان العلوان في « إتحاف أهل الفضل والإنصاف » (ص ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٧٤) .

واتفاقهما عند الإطلاق ، وضرب لذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في « الفتاوى » (٣/٢٨- ٣٤) مثلان مفادهما :

أ- أن الجنة وما فيها من مخلوقات وأصناف المطاعم ، والملابس ، والمناكح ، والمساكن ، موافقة للأسماء الموجودة في الدنيا ، وليست مماثلة لها ، بل بينهما من التباين ما لا يعلمه إلا اللّه - تعالى - فالخالق أعظم مباينة للمخلوقات من مباينة المخلوق للمخلوق .

ولذا قال ابن عباس - رضي اللّه عنهما -: « ليس في الدنيا شيء مما في الجنة إلاّ الأسماء » .

ب- وهو أن « الرُّوح » التي فينا ؛ فإنها قد وصفت بصفات ثبوتية وسلبية ، وأنها تعرج وتصعد من سماء إلى سماء ، وأنها تقبض من البدن ، وتسل منه كما تسل الشعرة من العجين ، وأنها موجودة حية ، عالمة قادرة ، سميعة بصيرة ، ونحو ذلك من الصفات .

ومع هذا ، فالعقول قاصرة عن تكييفها وتحديدها ؛ لأنهم لم يشاهدوا لها نظيرًا ، والشيء إنما تدرك حقيقته بمشاهدته ، أو بمشاهدة نظيره .

فإذا كانت الروح متصفة بهذه الصفات مع عدم مماثلتها لما يشاهد من المخلوقات ، فالخالق أولى بمباينته لمخلوقاته مع اتصافه بما يستحقه من أسمائه وصفاته ، وأهل العقول أعجز عن أن يحدُّوه أو يكيفوه منهم عن أن يحدوا الروح أو يكيفوها .

فإذا كان من نفى صفات الروح جاحدًا معطلاً لها ، ومن مثّلها بما يشاهده من المخلوقات جاهلاً ممثلاً لها بغير شكلها ، وهي مع ذلك ثابتة بحقيقة الإثبات ، مستحقة لما لها من الصفات ، فالخالق - سبحانه وتعالى - أولى أن يكون مَنْ نفى صفاته جاحدًا معطلاً ، ومَنْ قاسه بخلقه جاهلاً به ممثلاً ،

وهو - سبحانه وتعالى - ثابت بحقيقة الإثبات ، مستحق لما له من الأسماء والصفات .

وأخيـرًا :

الخامس والعشرون : « مذهب السلف في أصول الدين وسط بين التمثيل والتعطيل ، كما أن هذه الأمة وسط بين الأمم » .

فهم لا يمثلون صفات اللّٰه بصفات خلقه ، كما لا يمثلون ذات اللّٰه بذوات خلقه ، ولا ينفون عنه ما وصف به نفسه ووصفه به رسوله ، فيعطلوا أسماءه الحسنى وصفاته العليا ، ويحرفوا الكلم عن مواضعه ، ويلحدوا في أسماء اللّٰه وآياته ، فهم وسط بين هؤلاء وهؤلاء ، ويعتقدون أن كل ممثل معطل لحقيقة الصفة ، وكل معطل ممثل ؛ لأنهم لم يفهموا أسماء اللّٰه وصفاته ، إلاَّ ما يفهمون من أسماء وصفات المخلوقين . ولذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية :

« الممثل يعبد صنمًا ، والمعطل يعبد عدمًا » .

* * *

□ وصف النسخة الخطية ، وإثبات نسبتها للمؤلف □

رسالة في كيد الشيطان لنفسه ، قبل كيده لآدم مع شرح الفرق المضلة .

- نسخة مخطوطة في مكتبة بلدية الإسكندرية برقم (٣٧٦٥ ج) ضمن مجموعة هي أولها ، وهي نفسها في معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية برقم (١٢٥ توحيد وملل) .

- **على وجه الورقة الأولى** : رسالة متعلقة بكيد الشيطان لنفسه قبل خلق آدم - عليه السلام - وفيه مذهب فراق (كذا) الضالة لابن الجوزي .

- على وجه الورقة الأولى أيضًا تحت العنوان : خاتم مكتبة بلدية الإسكندرية .

- **تبدأ بـ** : بسم اللّه الرحمن الرحيم . الحمد للّه ، والصلاة والسلام على رسول اللّه وعلى آل رسول اللّه ، فاعلم أن الشيطان قد كاد نفسه قبل كيده لآدم - عليه السلام ...

- **تنتهي بـ** : ... ولهذا ترك الناس العلم بالكلية ، وصاروا كالبهائم لا يعرفون ما يلزمهم من عقائد الدين وأحكام الإسلام ، ولا يميزون بين الحلال والحرام ، واشتغلوا بجمع المال وأخذ الجاه بالرشوة والوبال .

- **عدد أوراقها** : ٢٨ ورقة .

- **الخط** : مكتوبة بخط نسخي جيد ، مشكولة .

- **عدد الأسطر** : مسطرتها غير مطردة ما بين ٢٦ إلى ٣٢ سطرًا .

- **مقاسها** : ١٢×٢١ .

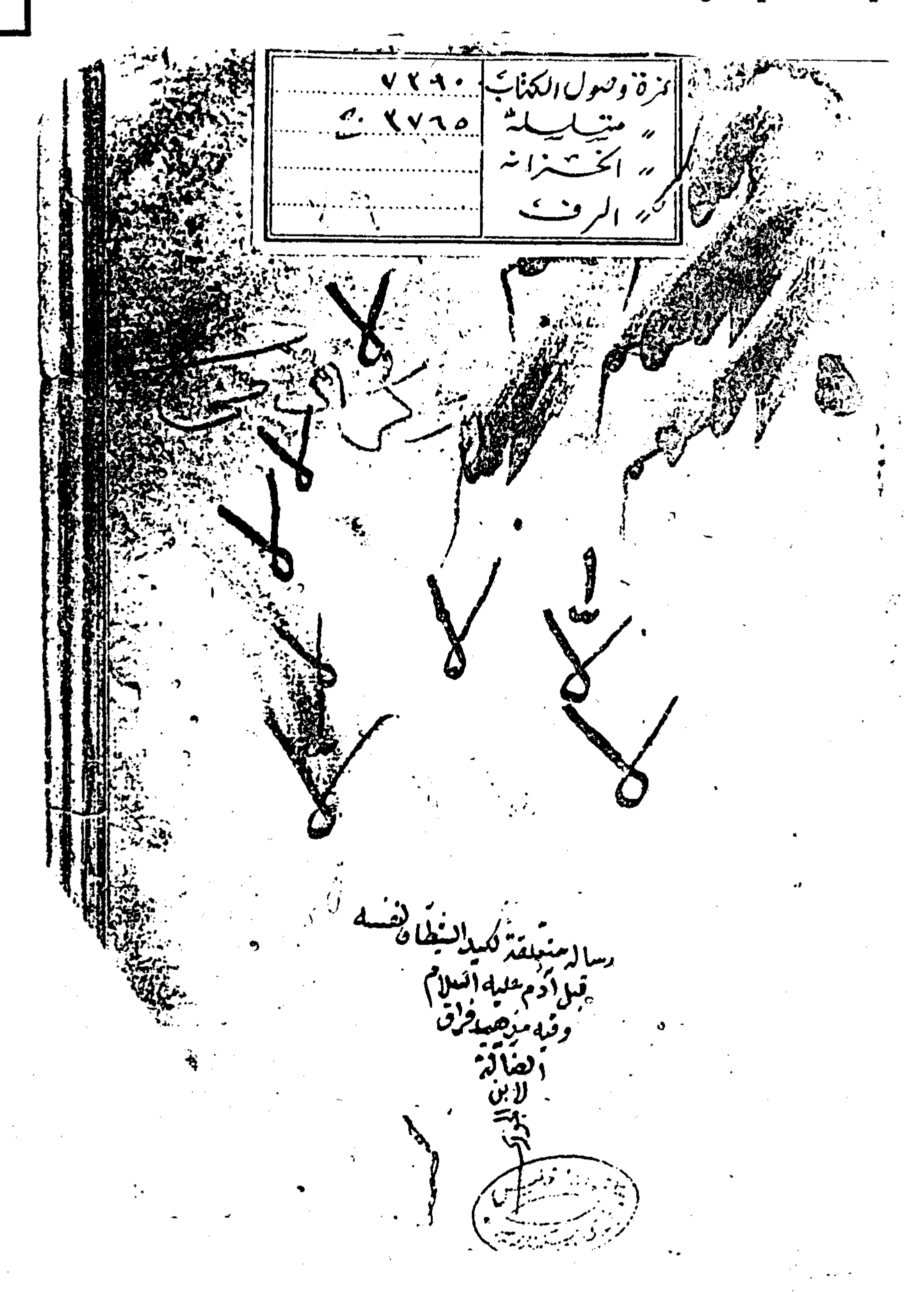
- **الناسخ** : السيد خليل كركوكى .

- **عدد الكلمات** : يتراوح عدد الكلمات في كل سطر من ٩ إلى ١٢ كلمة .

- ذكرها الأستاذ عبد الحميد العلوجي في كتابه «مؤلفات ابن الجوزي» ص١٣٤ من منشورات مركز المخطوطات والتراث والوثائق بالكويت .

□ عملي في الكتاب □

- نسخ المخطوط، ومقابلة المنسوخ على الأصل.
- تصحيح ما وقع من تحريف أو تصحيف في النسخة، وإثبات ذلك في الهوامش.
- تخريج الآيات القرآنية الكريمة.
- تخريج الأحاديث النبوية الشريفة، وإثبات صحتها وضعفها.
- عمل عناوين تناسب كل فقرة.
- تحلية النص بعلامات الترقيم، وتوزيعه على نحو يسهل قراءته على طالب العلم.
- كتابة مقدمة ذكرت فيها ترجمة الإمام ابن الجوزي، والأسباب التي دعت الفرق الضالة إلى الانحراف عن منهج النبوة، ثم ذكرت خمسًا وعشرين قاعدة من القواعد السلفية في فهم النصوص الواردة في إثبات الصفات الربانية.
- عمل فهرس للآيات القرآنية الكريمة، وفهرس للأحاديث النبوية الشريفة، وفهرس للفرق الواردة في الرسالة، ثم فهرس للموضوعات.



طُرَّة الرسالة

رسالة متعلقة بكيد الشيطان لنفسه قبل آدم ثم لبنيه [illegible]

وفيه ما ذهب [illegible] فوائد اضافية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلوة والسلام على رسول الله وعلى آل رسول الله
فاعلم أن الشيطان قد كاد نفسه قبل كيده لآدم عليه السلام مع حوى
ثم لم يقتصر على ذلك حتى كاد ذريته نفسه وذرية آدم عليه السلام فاكيده
لنفسه فانه كان يطوف بآدم وهو صلصال كالفخار فيتعجب منه ويقول
لأمر عظيم قد خلق هذا ولئن سلط علي لأعصينه ولئن سلطت عليه
لأهلكنه فلما تم خلق آدم عليه السلام في أحسن تقويم رأى الملائكة منظرا
لم يشاهدوا أحسن منه فسجدوا له كلهم أجمعون بأمر ربهم فشق ذلك
على إبليس فسولت له نفسه بأن لا يسجد لآدم عصيانا عليه إذ يلزم
أن يخضع لمن دونه في زعمه لكونه مخلوقا من نار والنار في زعمه
أشرف من الطين فالمخلوق منها خير من المخلوق منه وخضوع
الأفضل لمن دونه عصيانا ضد عليه وهضم منزلته فلما وقع هذا الفكر
في قلبه قارنه الحسد فأبى من السجود وعارض نص المعبود برأيه
المردود وقال أنا خير منه ثم قرر ذلك بحجة داحضة حيث قال
خلقتني من نار وخلقته من طين ولم يعلم أنه لو امتثل
أمره تعالى لكان فيه عزه وسعادته وبالامتناع أهان نفسه
كل الإهانة من حيث أراد تعظيمها وأذلها كل الإذلال من حيث
أراد عزتها ووضعها كل الوضع من حيث أراد رفعتها
ففعل بنفسه ما لو اجتهد أعظم أعدائه أن يفعل به ذلك
لم يبلغ ذلك المبلغ ومن كان غشه لنفسه هكذا كيف يجب
العاقل أن يتبعه ويقبل وسوسته وأما كيده للأبوين
فقد قص الله تعالى علينا قصته معهما لتكون تلك
[illegible] ونصيحة لنا فانه شاهدنا بأن [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] فإن إضلاله [illegible]
فانه يجري منه مجرى الدم [illegible]
[illegible]

[illegible]

على إضلال العبد فإن اللعين لما عرف أن الأبوين يريدان
الخلود في الجنة وعلم أنهما إذا أكلا من الشجرة المنهية
يبدو لهما سوآتهما ويخرجان من الجنة قال لهما إني خلقت
قبلكما وإني أعلم منكما فاتبعاني أرشدكما إلى شجرة الخلد
فخدعهما حيث سمى تلك الشجرة شجرة الخلد فلما سماها شجرة
الخلد وقال هل أدلكم على شجرة الخلد قال ما نهاكما
ربكما عن هذه الشجرة إلا كراهية أن تأكلا منها وتخلدا في
الجنة ولا تموتا وتكونا كالملائكة الذين لا يموتون وحلف
لهما أنه ناصح لهما حتى اطمأنت قلوبهما به وأجابا إلى
ما دعاهما إليه فجرى عليهما من الجنة والخروج من
الجنة ونزع اللباس عنهما ما جرى وكان ذلك بكيده و
مكره الذي جرى به القلم ورد الله تعالى كيده عليه وتدارك
الأبوين برحمته ومغفرته وعاد عاقبة مكره عليه ولا يحيق
المكر السيء إلا بأهله وظن العدو أن الظفر والغلبة في هذا
الحرب له ولم يعلم بكمين جيش ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا
وترحمنا لنكونن من الخاسرين ولا بإقبال [illegible] ثم اجتباه
ربه فتاب عليه وهدى والحاصل أن العدو ابتلي بالذنب وأصر
واحتج وعارض الأمر وقدح في حكمته ولم يندم على المعصية
فلم [illegible] واللعنة والحبيب ابتلي بالذنب فاعترف وتاب
وأزال عنه العتاب [illegible] وفتح له من الرحمة
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

لشدة الحاجة اليها في الولايات والحكومات ثم ظهر
بعدهم من الصدور والامراء من سمع مقالات الناس
في قواعد العقائد ومالت نفسه الى سماع الحجج فيها فعلم رغبته
الى المناظرة والمجادلة في الكلام فاكب الناس على علم الكلام
واكثروا فيه التصانيف ورتبوا فيه طرق المجادلات
واستخرجوا فنون المناقضات في المقالات ثم ظهر
بعدهم من الصدور والامراء من لم يستصوب الخوض
في الكلام وفتح باب المناظرة فيه اذ قد تولد من فتح
بابه كثير من التعصبات الفاحشة والخصومات القبيحة
المفضية الى اهراق الدماء وتخريب البلاد ومالت نفسه
الى المناظرة في الفقه وبيان الاولى من مذهب ابي حنيفة
والشافعي على الخصوص فترك الناس الكلام واقبلوا
على المسائل الخلافية بين ابي حنيفة والشافعي وتساهلوا
في الخلاف مع مالك واحمد وسفيان وغيرهم واكثروا
فيها التصانيف والاستنباطات ورتبوا فيها انواع
المجادلات وهم مستمرون عليه الى الآن ولسنا ندري
ما قدره الله تعالى فيما بعدنا من الاعصار هذا كلام
الغزالي في زمانه حين وجود الرغبة من الصدور
والامراء الى العلم والعلماء لكن بعد مضي زمانه وجد
رغبة الصدور والامراء الى العلم والعلماء [illegible] الاندراس
وقل ميل الناس الى العلم حتى الاندراس حتى لم يبق
في هذا الزمان من الصدور والامراء رغبة الى العلم والعلماء
اصلا بل كان رغبتهم وميل نفسهم الى متاع الدنيا وزينتها

فهذا ترك الناس العلم بالكلية وصاروا كالبهائم
لا يعرفون ما يلزمهم من عقائد
الدين واحكام الاسلام ولا يميزون
بين الحلال والحرام واشتغلوا
بجمع المال واخذ الجاه
بالرشوة والربا

رسالة مصافحه به متعلقه در

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله شارع الشرع القويم الذي ارسل رسوله للتبليغ والتعليم
صلى الله عليه وعلى آله واصحابه الذين بينوا لنا طريق النعيم المقيم
وبعد فاعلموا ايها الاخوان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قد قال ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان الا غفر لهما قبل ان يفترقا
وفي رواية اذا التقى المسلمان فتصافحا وحمدا الله واستغفراه
غفر لهما كذا في المصابيح ففي قوله عليه الصلاة والسلام فتصافحا
الفاء لفظ خاص للتعقيب موجبه هنا تعقيب التصافح التلاقي
فثبت شرعية المصافحة عند لقاء المسلم لاخيه وتكون من تمام
التحية [illegible] قوله عليه الصلاة والسلام [illegible] تمام تحياتكم بينكم
المصافحة [illegible] الشرع [illegible]
في [illegible]

ولا يفوتني أن أتقدم بخالص شكري وتقديري إلى أخي الكريم الشيخ / محمود عبد الرازق التوحيدي الذي أفدت منه في بعض حواشي هذا الكتاب ، عند التعليق على عقيدة أهل السنة والجماعة ، ورمزت إلى ذلك بالرمز (م) .

كما أتقدم بخالص شكري واحترامي إلى أخي الشيخ / منصور بن محمد يوسف الصعيدي الذي تولى إعداد هذه الرسالة ، ومراجعة صفّها ، وإعداد فهارسها ، فجزاه اللّه عني خير الجزاء .

هذا ، ولم آل جهدًا في هذا العمل ، ولكن لا بد من الخطأ ، فما كان من صواب فمن اللّه - تعالى - وليس لي فيه فضل ، وإن كانت الأخرى فمني والشيطان ، واللّه يعفو عن كثير .

وأنا سائل أخًا كريمًا وجد خطأً في هذا الكتاب أن يوجهني إليه ، وجزاه اللّه خيرًا ، فإن الحق ضالة المؤمن .

هذا آخر ما قصدت بيانه ، راجيًا المولى - تبارك وتعالى - أن يبارك في هذا العمل ، وأن ينفع به - وسائر أعمالي - وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم ، وأن يتقبله مني بقبول حسن . آمين .

وصل اللهم على نبينا محمد ﷺ ، وسبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك .

وكتب
الفقير إلى رحمة ربه
أبو الأشبال الزهيري
القاهرة في ١ رمضان ١٤١٩ هـ
هاتف : ٠٢/٥٦١٤٨٦٩

كيد الشيطان

لنفسه قبل خلق آدم عليه السلام

ومعه بيان

مذاهب الفرق الضالة

تصنيف

العلامة ابن الجوزي

رحمه الله

المتوفى سنة ٥٩٧ هـ

تحقيق

أبي الأشبال الزهيري

عفا الله عنه



[أ ب] بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لِلَّهِ ، والصَّلاَةُ والسَّلاَمُ على رَسُولِ اللَّهِ وعلى آل رسولِ اللَّهِ .

فاعلمْ أَنَّ الشيطانَ قَدْ كَادَ نَفْسَهُ قَبْلَ كَيْدِهِ لآدمَ - عَلَيْه السَّلام - مع حَوَّاء ، ثُمَّ لـم يَقْتَصِرْ على ذلك ، حتى كَادَ ذرِّيَّةَ نَفْسِهِ وذُرِّيَّةَ آدَمَ - عليه السَّلام .

* * *

□ كَيْدُ الشيطانِ لنَفْسِهِ □

أمَّا كيدُه لنفسه ، فإنه كان يَطُوفُ بآدمَ وهُو صَلْصَالٌ كالفَخَّار ، فيتعجَّبُ مِنْهُ ويقول : لأَمْرٍ عَظِيمٍ قَدْ خُلِقَ هَـذَا ، ولَئِن سُلِّطَ عليَّ لأَعْصِيَنَّه ، ولئِن سُلِّطتُ عليه لأُهْلِكَنَّهُ[(١)] .

فلمَّا تَمَّ خَلْقُ آدم - عليه السَّلام - في أَحْسَن تَقْوِيم ، رَأى الملائِكَةُ مَنْظَرًا لـم يُشاهدوا أَحْسَنَ منه ، فسجدوا له كلُّهم أجْمَعُونَ بِأَمْرِ رَبِّهم ، فَشَقَّ ذلك على إبليسَ ، فَسَوَّلَتْ له نَفْسُه بأَنَّ في سُجُودِه لآدمَ غَضَاضَةً[(٢)] عليه ، إذْ يَلْزمُ

---

(١) ذكر الحافظ ابن كثير - رحمه الله - هذه القصة في تفسير قوله تعالى : ﴿ **وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إلاَّ إبْلِيسَ أَبَى واسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ** ﴾ [سورة البقرة : ٣٤] .

فذكرها من عِدَّة طرق عن ابن عباس - رضي اللَّه عنهما - وغيره ، واستغرب كثيرًا من سياق القصة ، بل قال : « ويقع فيه إسرائيليات كثيرة ، فلعلَّ بعضها مدرجٌ ، ليس من كلام الصحابة ، أو أنهم أخذوه من بعض الكتب المتقدمة ، واللَّه أعلم » . اهـ .

(٢) الغَضَاضَةُ : الذُّلُّ والمَهَانَةُ . عليه غَضَاضة : أى ذُلٌّ ، ورجلٌ غضيضٌ : ذليلٌ بيِّن الغضاضة ، من قومٍ أغِضَّاء وأغِضَّةٍ وهم الأذلاء . (اللسان : مادة غضض) .

أَنْ يَخْضَعَ لِمَنْ دُونَهُ في زعْمِهِ ، لِكَوْنِهِ مخلوقًا من نَارٍ ، والنَّارُ في زَعْمِهِ أَشْرَفُ من الطِّينِ ، فالمخلوقُ منها خيرٌ من المخلوقِ منه ، وخُضُوعُ الأَفْضَلِ لمن دُونَهُ غَضَاضَةٌ عليه ، وهَضْمٌ لِمَنْزِلَتِهِ[1] .

---

(١) قال تعالى: ﴿ **ولقد خلقناكم ثم صوَّرناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلاَّ إبليس لم يكن من الساجدين ۞ قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك قال أنا خيرٌ منه خلقتني من نار وخلقته من طين** ﴾ [سورة الأعراف : ١١ ، ١٢] .

قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله -:

« وقول إبليس لعنهُ اللّه : ﴿ **أنا خيرٌ منه** ﴾ من العُذْر الذي هو أكبرُ من الذنب ، كأنه امتنع من الطاعة ؛ لأنه لا يُؤمر الفاضِلُ بالسجود للمفضول - يعني (لعنه اللّه) - أنا خيرٌ منه فكيف تأمرني بالسجود له ؟

ثم بيَّن بأنه خيرٌ منه بأنْ خُلِقَ من نارٍ ، والنارُ أشرفُ من الطين الذي خلقته منه ، فنظر اللعين إلى أصل العنصر ، ولم ينظر إلى التشريف العظيم ، وهو أن اللّه - تعالى - خلق آدم بيديه ، ونفخ فيه من رُوحه ، فقاس الشيطان قياسًا فاسدًا في مقابلة نصِّ قوله تعالى : ﴿ **فقعوا له ساجدين** ﴾ ، فأخطأ - قَبَّحَهُ اللّه - في قياسه ودعواه أن النار أشرفُ من الطين ، فإن الطين من شأنه الرزانة والحلم ، والأناة والتثبت ، كما أنه محل النبات والنمو والزيادة والإصلاح .

وأما النار من شأنها الإحراق والطيش والسرعة ، ولهذا خان إبليس عُنصُرَهُ ، ونفع آدم عنصرُه بالرجوع والإنابة ، والاستكانة والانقياد ، والاستسلام لأمر اللّه ، والاعتراف وطلب التوبة والمغفرة .

وعن الحسن البصري في قوله تعالى : ﴿ **خلقتني من نارٍ وخلقته من طينٍ** ﴾ قال : « قاس إبليس ، وهو أول من قاس » بسندٍ صحيحٍ .

وعن ابن سيرين قال : « أوَّلُ من قاسَ إبليس ، وما عُبدت الشمس والقمر إلاَّ بالمقاييس » . وإسناده صحيحٌ أيضًا » . اهـ. كلام الحافظ ابن كثير بتصرفٍ يسير .

وقال الحافظ في قوله تعالى : ﴿ **وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلاَّ إبليس قال أأسجدُ لمن خلقت طينًا** ﴾ [الإسراء : ٦١] ؟! قال : « يذكر تبارك وتعالى عداوة إبليس - لعنه اللّه - لآدم وذريته ، وأنها عداوةٌ قديمة منذ خَلْقِ آدم ؛ فإنه تعالى أمر الملائكة بالسجود لآدم ، فسجدوا كلهم إلاَّ إبليس استكبر وأبى أن يسجد له افتخارًا عليه ، واحتقارًا له » . اهـ .

وانظر ما قاله الحافظ ابن كثير في شأن قصة إبليس من سورة الحجر ، والكهف ، وص ؛ فإن سرد ذلك أمره يطولُ ، وهو مهم جدًّا ، فراجعه .

فلمَّا وَقع هذا الفكرُ في قَلْبه قَارَنَهُ الحَسَدُ فأبى من السُّجُودِ ، وعَارَضَ نَصَّ المعْبُودِ برأيِهِ المرْدُودِ ، وقال : ﴿ **أَنَا خيرٌ منه** ﴾ ، ثم قرَّر ذلك بحُجَّتِهِ الدَّاحِضَةِ حيث قَالَ : ﴿ **خلقتني من نار وخلقته من طين** ﴾[1] ، ولم يَعْلَمْ أنَّه لو امْتَثَلَ أَمْرَهُ تعالى لكانَ فيه عِزُّهُ وسَعَادَتُهُ ، وبالامتناع أهانَ نَفْسَهُ كُلَّ الإهَانَةِ من حيث أرادَ تعظيمَها ، وأذلَّها كُلَّ الإذْلاَلِ من حيثُ أرادَ عِزَّتها ، ووَضَعَهَا كُلَّ الوَضْع من حيثُ أرادَ رِفْعَتَها ، فَفَعَلَ بِنفْسِهِ ما لو اجتهد[2] أعظم أعدائِه أنْ يفعلَ به ذَلك لم يبلُغْ ذلكَ المبْلغ ، ومَنْ كانَ غِشُّهُ لنفسه هكذا ، كيف يختارُ العَاقِلُ أن يتبعه ويقبل وَسْوَسَتَهُ ؟

* * *

□ كَيْدُ الشيطان للأبوين □

وأما كَيْدُهُ للأبوين ، فقد قصَّ اللَّه - تعالى - علينا قِصَّتَهُ معهما لتكون تِلْك القِصَّةُ عِبرةً ونصيحةً لنا ؛ فإنه شامَلَهُمَا نظرٌ إليهما أين يميلان ، فأَحَسَّ منهما مَيْلاً إلى الخُلُودِ في الجنة ، فَعَلِمَ أنَّه لا يدخُل عليهما إلاَّ من هذا البابِ ، وهذا البابُ أعظمُ كيدِهِ في الإضْلاَلِ ، ومِنْ هذا الباب دَخَلَ على ابن آدم ؛ فإنه يجري منه مجرى الدَّم ، ويُصَادِفُ نَفْسَهُ ويخالِطُهَا ويَسْأَلُها عما تحبُّه وتُؤْثره ، فإذا عرف مقصُودَهَا يستعينُ به على إضْلاَلِ العبدِ . [٢ أ]

فإن الَّلعِين لَّما عَرَفَ أنَّ الأبوينِ يُريدان الخلودَ في الجنة ، وعَلِمَ أنَّهما إذَا أَكَلاَ من الشجرة المنهية تَبْدو عَوْرَاتِهما ، ويخرجان من الجنة ، قال لهما : إني خُلِقْتُ قبلكُما ، وإني أَعْلَمُ مِنْكُمَا فاتَّبعاني أُرشدكُما إلى شجرة الخلد ،

---

(١) في الأصل : الطين بزيادة الألف واللام .

(٢) في المخطوط : اجتهدوا .

فخدعهما حيث سَمَّى تلك الشجرة « شجرة الخلد » ، فلما سَمَّاها « شجرة الخلد » ، وقال : هل أدلُّكم على شجرة الخلد ، قال : ما نهاكُما ربُّكما عن هذه الشجرة إلاَّ كراهيةَ أن تَأْكُلاَ منها وتُخَلَّدا في الجنة ، ولا تموتا وتكونا كالملائكة الذين لا يموتون ، وحَلَفَ لهما أنه ناصِحٌ لهما حتى اطمأن قلبهما به وأجاباه إلى ما دَعَاهُما إليه ، فجرى عليهما من المِحْنَةِ والخروج من الجنة ونَزْعِ اللباس عنهما ما جَرَى ، وكان ذلك بكيده ومَكْرِهِ الذي جرى به القلمُ ، وردَّ اللَّه - تعالى - كيدَهُ عليه ، وتدارَكَ الأبوين برحمتِه ومغفرتِهِ ، وعادَ عاقِبةُ مكره عليه[1] .

﴿ ولا يَحِيقُ المكرُ السَّيِّئُ إلاَّ بأَهْلِهِ ﴾ [فاطر : ٤٣] .

وظنَّ العدوُّ أن الظَّفَرَ والغَلَبَةَ في هذه[2] الحرب له ، ولم يَعْلَمْ بِكَمِين جَيْشٍ : ﴿ ربنا ظلمنا أنفُسَنا وإن لم تَغْفِرْ لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ﴾ [الأعراف : ٢٣] ، ولا بإقبال دَوْلَةٍ : ﴿ ثم اجتباه ربُّه فتابَ عليه وهَدَى ﴾ [طه : ١٢٢] .

---

(١) وذِكْرُ هذه القصة جاء في [سورة الأعراف : ١٩- ٢٥] : ﴿ ويا آدم اسكن أنت وزوجُك الجنةَ فكُلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ۞ فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوآتهما وقال ما نهاكما ربُّكما عن هذه الشجرة إلاَّ أن تكونا مَلَكَيْن أو تكونا من الخالدين ۞ وقاسمهما إنى لكما لمن الناصحين ۞ فدلاَّهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بَدَتْ لهما سوآتُهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربُّهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدوٌ مبين ۞ قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ۞ قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين ۞ قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون ﴾ .

(٢) في الأصل : هذا .

والحَاصِلُ أن العَدُوَّ بُلِيَ بالذنب ، وأصرَّ ، واحتج ، وعارَضَ الأمـرَ ، وقَـدَح في الحِكْمةِ ، ولـم يندمْ على المعصية ، فلحقته[١] الذِّلَّـةُ واللعنةُ .

والحبيبُ[٢] بُلِيَ بالذنب فاعترف وتـابَ ، وأُزِيـلَ عنـه العتـابُ ، وقُبِـلَ منه المَتَابُ ، وفُتح له من الرحمةِ والهداية كُلُّ بابٍ .

* * *

□ كَيْدُ الشيطانِ لابْنَيْ آدم □

ثُمَّ كَادَ العَدُوُّ أَحَدَ وَلَدَيْ آدم ، فإنه لـم يَزَلْ تَلاَعَبَ به[٣] حتى قَتَلَ أخاهُ ، وأَسخط أَبَاهُ ، وعصى مَوْلاَهُ ، وسَنَّ قَتْلَ النُّفُوسِ في الأرضِ[٤] ، وقد ثَبتَ أنه - عليه الصلاة والسَّلاَمُ - قال : «**ما من نَفْسٍ تُقْتَلُ ظُلْمـًا إلاَّ كان على ابن آدم كِفْلٌ منها ؛ لأنه أَوَّلُ من سَنَّ القتل**»[٥] .

---

(١) في الأصل : فلحقه .

(٢) هو آدم عليه السلام .

(٣) كذا في الأصل ، وله وجه ومعناه : يتلاعب به .

(٤) قال الله تعالى: ﴿ **واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق إذ قرَّبا قربانـًا فتُقُبِّـل مـن أحدهمـا ولـم يتقبلْ من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين ۞ لئن بسطت إلىَّ يـدك لتقتلنـى مـا أنا بباسط يدى إليك لأقتلك إنى أخاف الله رب العالمين ۞ إنى أريد أن تبـوأ بإثـمى وإثـمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين ۞ فطوَّعت له نفسُه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين ۞ فبعث الله غرابـًا يبحث فى الأرض ليريه كيف يوارى سوءة أخيـه قـال يـا ويلتـى أعجزتُ أن أكون مثل هذا الغراب فأوارى سوءة أخى فأصبح من النادمين** ﴾ [سورة المـائدة : ٢٧- ٣١] .

(٥) **حديثٌ صحيـحٌ** . أخرجـه البخـاري (٣٣٣٥، ٦٨٦٧، ٧٣٢١) ، ومسـلم (١٦٧٧) مـن حديث ابن مسعود - رضي الله عنه .

فإن العدو كاد هذا القاتل بقطع رَحِمِهِ ، وعقوق والديه ، وإسخاط ربِّه ، وظُلم نَفْسِه ، وعرَّضَهُ لأعظم العذاب ، [٢ ب] وحَرَمه من جزيل الثواب ، ثم جرى الأمرُ على السَّداد والاستقامة ، وكانت الأمَّةُ واحدةً ، والدِّين واحدًا ، والمعبودُ واحدًا ، كما قال اللَّه تعالى : ﴿ كان الناسُ أُمَّةً واحدةً فاختلفوا ﴾[١] .

قال ابن عباس : ﴿ كان الناس أمة واحدة ﴾ كانوا على الإسلام ، وهذا هو القول الصحيح في الآية[٢] .

ورُوي عن ابن عباس: أن الناس كانوا أمةً واحدة ؛ كانوا كُفَّارًا[٣] ، وهذا القول ضعيفٌ جدًّا ، وهو منقطع عن ابن عباس ، والصحيح خلافه .

* * *

(١) كذا في الأصل بزيادة : فاختلفوا ، ولعل المصنِّف اعتمدها من قراءة عبد اللَّه وأبي بن كعب – رضي اللَّه عنهما – وفي الرسم : ﴿ **كان الناس أمة واحدة فبعث اللَّه النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه إلاَّ الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيًا بينهم فهدى اللَّه الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه واللَّه يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم** ﴾ [البقرة : ٢١٣] .

وفي سورة يونس [آية : ١٩] قال تعالى : ﴿ **وما كان الناس إلا أمةً واحدةً فاختلفوا** ﴾ .

(٢) أخرجه أبو يعلى ، والطبراني ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، عنه بسندٍ صحيحٍ .

(٣) **ضعيف** . أخرجه ابن جرير الطبري في « تفسيره » (١٩٤/٢) ، وابن أبي حاتم من طريق عطية العوفي – وهو ضعيفٌ – عنه .

□ المدَّةُ ما بين آدم ونوح من القرون □

قال سعيد[١] ، عن قتادة :

((كان بين آدم ونوح - عليهما السلام - عشرة قرون ، كلهم على الهُدى وعلى شريعة من الحق ، ثم اختلفوا ، فبعث اللَّه النبيين مبشرين ومنذرين ، وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكموا به بين الناس فيما اختلفوا فيه))[٢] .

فإن العدو كادهم وتلاعب بهم حتى انقسموا قسمين : كفارًا ومؤمنين .

* * *

□ أوَّلُ مَن تلاعبَ بهم الشيطان هم عُبَّادُ الأصنام □

وكانَ أَوَّلُ من تلاعب بهم عُبَّادَ الأصنام من جهة العُكُوف على القبور ، وتصوير أهلها ؛ ليَتَذَكروا بها ، كما قصَّ اللَّه - تعالى - قصتهم في كتابه فقال : ﴿ **قال نوح رب إنهم عصونى واتبعوا من لم يزده مالُهُ وولَدُه إلاَّ خَسَارًا * ومكروا مكرًا كُبَّارًا * وقالوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلاَ تَذَرُنَّ وَدًّا ولا سُواعًا ولا يَغُوثَ ويَعُوقَ ونَسْرًا** ﴾ [نوح : ٢١- ٢٣] .

قال البخاري في ((صحيحه))[٣] عن ابن عباسٍ :

---

(١) إذا كان الراوي عن قتادة (سعيدٌ) غير منسوب ، فهو ابن أبي عَروبةَ البصري .

(٢) أخرجه ابن جرير (١٩٤/٢) ، وعبد بن حميد ، وابن أبي حاتم ، عنه ، وروي نحوه عن ابن عباس ، ومجاهد ، وغيرهما .

(٣) رقم (٤٩٢٠) . وانظر كتاب التفسير من صحيح البخاري ، الباب (٧١) سورة نوح ، فإن الإمام الحافظ ابن حجر - رحمه الله - قد ساق هناك آثارًا كثيرة تشهد لصحة القصة ، وأن هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح ، فلما ماتوا صوَّروا لهم الصور ، ومثلوا لهم التماثيل ، فلما مات الآباء قال الأبناء : ما اتخذ آباؤنا هذه إلاَّ أنها كانت آلهتهم ، فعبدوها . وهذا بخلاف ما حكاه الواقدي - وهو ضعيف جدًّا - قال : ((كان ود على صورة رجل ، وسواع على صورة امرأة ، ويغوث على صورة أسد ، ويعوق على صورة فرس ، ونسر على صورة طائر)) . فهذا شاذ ، والمشهور أنهم جميعًا كانوا على صور البشر ، والله أعلم .

«هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح ، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم ، أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون عليها أنصابًا ، وسمُّوها بأسمائهم ، ففعلوا ، فلم تُعْبَدْ ، حتى إذا هَلَكَ أولئك ، ونُسِيَ[١] العلمُ عُبِدَتْ» .

وقال ابن جرير[٢] ، عن محمد بن قيس :

«إنهم كانوا قومًا صالحين من بني آدم ، وكان لهم أَتْبَاعٌ يَقْتَدونَ بهم[٣] ، فلما ماتوا قال أتباعهم : لو صوّرناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم ، فصوَّروهم ، فلما ماتوا وجاء آخرون بدا[٤] إليهم إبليس ، فقال : إنما كانوا يعبدونهم ، وبهم يسقون المطر فَعَبدُوا»[٥] .

ولم يزل الأمر يشتد على ما قال الكلبي[٦] ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس : [٣ أ]

«حتى أدرك نوح فبعثه اللّه نبيًّا ، فعصوْهُ وكذَّبوه ، فأمره اللّه - عز وجل - أن يصنع الفُلْكَ ، فصنعها وركبها ، وغَرِقَ مَنْ غرق ، فأهبط الماءُ هذه الأصنام من أرضٍ إلى أرضٍ حتى قذفها إلى أرض جُدَّة ، فلما نَضَبَ[٧] الماءُ

---

(١) في الصحيح : وتَنَسَّخ ، وفي رواية : ونُسِخَ العلم . أي علم تلك الصور بخصوصها .

(٢) في تفسيره (٦٢/٢٩) حدثنا ابن حميد قال : حدثنا مهران ، عن سفيان ، عن موسى ، عنه .
وابن حميد متهم ، وموسى هو ابن عبيدة الربذي ضعيف .
والأثر روي عن كثير من أهل العلم ، فانظر «الدر المنثور» (٢٦٩/٦، ٢٧٠) .

(٣) كذا عند الطبري ، وهو الأشبه ، وفي الأصل : يقتد .

(٤) كذا في الأصل ، وعند ابن جرير : دَبَّ .

(٥) كذا في الأصل ، وعند ابن جرير : فعبدوهم .

(٦) الكلبي هو : محمد بن السائب بن بشر الكوفي ، أبو النضر ، النسَّابة المفسر ، متهم بالكذب ورمي بالرفض .

(٧) نَضَبَ : جَفَّ .

بَقِيَتْ على الشَّطِّ ، فسَفَّت الرِّيحُ عليها التراب حتى وارَتْها[(١)] ، فلم تزل مدفونة حتى أخرجها الشيطان لمشركي العرب ، فلم تزل تُعبد حتى بعث اللَّه النبيَّ - عليه الصلاة والسلام - فهدمها وكسَرها » .

* * *

□ ما الذي حَمَلَ العرب على عبادة الأصنام[(٢)] ؟□

قال ابن هشام[(٣)] : حدثني أبي :

« إن الذي حمل العرب على عبادة الأصنام والحجارة أن إسماعيل - عليه السلام - لما سكن مكة وُلِدَ لَهُ أولادٌ كثير حتى ملؤا مكة ، وضاقت عليهم ووقعت بينهم الحروب والعداوات ، وأخرج بعضهم بعضًا وانتشروا في البلاد لطلب المعاش ، وكان لا يذهب أحدٌ إلاَّ احتمل معه حجرًا من حجارة الحرم تعظيمًا للحرم وصبابةً بمكة ، فحيثما نزلوا وضعوه وطافوا به كطوافهم بالبيت حُبًّا للبيت وصبابة به ، ثم عَبَدُوا ما استحسنوه ونسوا ما كانوا عليه من دين إبراهيم وإسماعيل - عليهما السلام - واستبدلوا به غيره ، وعبدوا الأصنام ، واستخرجوا ما كان يعبد قوم نوح - عليه السلام - وصاروا إلى ما كان عليه الأمم من قبلهم ، ومع ذلك فيهم بقايا من شريعة إبراهيم وإسماعيل - عليهما السلام - يتمسكون بها ؛ من تعظيم البيت ، والطواف به ، والحج والعُمرة ، والوقوف بعرفة والمزدلفة » .

* * *

---

(١) أي دفنتها .

(٢) سيأتي هذا العنوان (ص ٦٨) .

(٣) انظر السيرة النبوية له : (١/٩٥، ٩٦) ط الريان .

◻ أَوَّلُ مَنْ بدَّلَ دينَ إبراهيم - عليه السلام - وسبب ذلك ◻

وكان أَوَّلُ من غَيَّر دين إبراهيم- عليه السلام- ونصب الأصنام عمرو بن لحي[١] .

وسببُ ذلك ؛ أن أُمَّ عمرو كانت فهيرة بنت عامر بن الحارث ، وكان الحارث هو الذي يلي أمر الكعبة ، فلما بلغ عمرو نازعه في الولاية ، وقاتل جرهم بني إسماعيل فظفر بهم ، وأجلاهم عن الكعبة ، ونفاهم من بلاد مكة ، وتولى حجابة البيت ، ثم إنه مَرِض مرضًا شديدًا فقيل له : إن بالبلقاء من الشام [٣ب] حِمَّةً إن أتيتها برئت ، فأتاها فاستحم بها فبرأ ، ووجد أهلها يعبدون الأصنام ، فقال لهم : ما هذه التماثيل التي تعبدونها ؟ فقالوا : نستمطر بها فنُمطر ، ونستنصر بها على العدو فننصر ، فسألهم أن يعطوه منها ، فأعطوه ، فقدم بها مكة ، ونصبها حول الكعبة ، وأمر الناس بعبادتها وتعظيمها ، وبهذا السبب اتخذت العرب الأصنام[٢] .

---

(١) هو عمرو بن لحي ، وقيل : ابن عامر بن لحي بن قَمْعَةَ بن خِنْدِفَ أبو خزاعة الخزاعي .

أخرج البخاري (٣٥٢١، ٤٦٢٣) ، ومسلم (٩٠٤، ٢٨٥٦) عن أبي هريرة قال : قال النبي ﷺ : « **رأيتُ عمرو بن عامر بن لحي الخزاعيَّ يَجُرُّ قُصْبَهُ في النار ، وكان أوَّل من سيَّب السوائب** » . القُصْبُ : الأمعاء .

(٢) ذكر الحافظ ابن كثير في « البداية والنهاية » (٦٢/١) ، والحافظ ابن حجر في « الفتح » (٥٤٩/٦) ، أن عمرو بن لحي كان له تابع من الجن يقال له : أبو ثمامة ، فأتاه ليلة فقال له : أجب أبا ثمامة ، فقال : لبيك من تهامة ، فقال : ادخل بلا ملامة ، فقال : ايت سيف جدة ، تجد آلهة مُعدَّة ، فخذها ولا تهب ، وادع إلى عبادتها تُجبْ .

قال : فتوجه إلى جدة ، فوجد الأصنام التي كانت تُعبد في زمن نوح وإدريس - عليهما السلام - وهي : ود ، وسواع ، ويغوث ، ويعوق ، ونسر ، فحملها إلى مكة ودعا إلى عبادتها ، فانتشرت بسبب ذلك عبادة الأصنام في العرب .

◻ مَنَاةُ : أَقْدَمُ آلِهةِ العَرَبِ ! ◻

وكان أقدمها مناةُ[١] ، وكان منصوبًا على ساحل البحر بين مكة والمدينة ، وكانت العرب كلهم يعظمونه ، ويذبحون له ، ولم يكن أحد أشر إعظامًا له من الأوس والخزرج .

قال [ابن] هشام[٢] : « كان الأوس والخزرج ومن جاورهم من أهل يثرب وغيرها يحجون ويقفون المواقف كلها مع الناس ، ولا يحلقون رءوسهم ، فإذا نفروا كانوا يأتونه ، ويحلقون رءوسهم عنده ، وكانوا لا يرون لحجِّهم تمامًا إلاَّ بذلك .

فبعث رسولُ اللّه ﷺ عام الفتح عليًّا فهدمها » .

* * *

---

(١) قال ابن إسحاق : « وكانت مناة للأوس والخزرج ومن دان بدينهم من أهل يثرب - المدينة - على ساحل البحرين ناحية المشلل بقديد ، فبعث إليها رسول اللّه ﷺ أبا سفيان صخر بن حرب فهدمها ويقال : علي بن أبي طالب - رضي اللّه عنه » .

(٢) سقط من الأصل كلمة « ابن » في هذا الموضع وما بعده ، فأكتفي بالتنبيه عليه هنا دون ما سواه ، وانظر « السيرة النبوية » له : (ص ١٠٢، ١٠٣) .

□ اللاَّت : إله العرب بالطائف ! □

ثم اتخذوا اللات[١] **بالطائف** ، وهي أحدث من مناة ، وكانت صخرةً[٢] مرَّبعةً ، وكانوا بنوا عليها بيتًا ، وكان سدنتُها من ثقيف ، وكانت قريش وجميع العرب تعظمها ، فلم تزل كذلك حتى أسلم ثقيف ، فبعث رسول اللّه ﷺ المغيرةَ بن شعبة ، فهدمها ، وحرَّقها بالنار .

* * *

---

(١) قال الحافظ ابن كثير في « التفسير » :

« وكانت اللات صخرة بيضاء منقوشة ، وعليها بيت بالطائف ، له أستار وسدنة ، وحوله فناء مُعظم عند أهل الطائف ، وهم ثقيف ومن تابعها ، يفتخرون بها على من عداهم من أحياء العرب بعد قريش » .

وقال ابن جرير في « التفسير » :

« وكانوا قد اشتقوا اسمها من اسم « اللّه » فقالوا : « اللات » يعنون مؤنثة منه ، تعالى اللّه عن قولهم علوًا كبيرًا » .

وأخرج البخاري في « صحيحه » (٤٨٥٩) عن ابن عباس - رضي اللّه عنهما - قال : « كان اللات رجلاً يَلتُّ سويق الحاج ، وهو على قراءة من شدَّد التاء ، ففسروه بأنه كان رجلاً يلت السويق للحاج في الجاهلية ، فلما مات عكفوا على قبره فعبدوه » .

وقال ابن إسحاق : « وقد بعث إليها رسول اللّه ﷺ المغيرة بن شعبة وصخر بن حرب أبا سفيان فهدماها ، وجعلا مكانها مسجدًا بالطائف » .

(٢) كذا في جميع المصادر ، وتصحف في الأصل إلى : حُجرة .

□ ذِكْرُ العُزَّى ! □

ثم اتخذوا العُزَّى[1] ، وهي أحدث من اللات ، وكانت بوادي نخلة ، فوق ذات عرق ، وكانوا يسمعون منها الصوت .

---

(١) قال ابن جرير : « وكذا اشتقوا اسم « العزى » من العزيز ، تعالى العزيز عن قولهم علوًا كبيرًا .

قال أبو سفيان يوم أُحُد : « لنا العزى ولا عزى لكم » ، فقال رسول اللّه ﷺ : « **قولوا : اللّه مولانا ولا مولى لكم** » .

وأما عن سياق القصة من حديث ابن عباس - رضي اللّه عنهما - فلم أجده بهذا السياق إلا عند ابن هشام في « السيرة النبوية » .

وروي نحوه النسائي في « التفسير » (٥٦٧) ، وأبو يعلى في « مسنده » (٩٠٢) ، والبيهقي في « الدلائل » (٧٧/٥) ، وأبو نعيم فيه أيضًا (٤٦٣) عن محمد بن فضيل قال : حدثنا الوليد بن جميع ، عن أبي الطفيل قال : « لما فتح رسول اللّه ﷺ مكة بعث خالد بن الوليد إلى نخلة ، وكانت بها العزى ، فأتاها خالد بن الوليد ، وكانت على ثلاث سمرات - شجرات - فقطع السمرات وهدم البيت الذي كان عليها ، ثم أتى النبي ﷺ فأخبره فقال : « **ارجع فإنك لم تصنع شيئًا** » .

فرجع خالد ، فلما نظرت إليه السدنة - جمع سادن ، وهم الخدم للصنم - وهم حُجَّابُها ، أمعنوا في الجبل وهم يقولون :

« يا عزى خبِّليه .. يا عزى عوِّريه .. وإلاَّ فموتي برُغم » . قال : فأتاها خالد ، فإذا امرأة عريانة سوداء ، ناشرةٌ شعرها ، تحثو التراب على رأسها ، فعممها بالسيف حتى قتلها ، ثم رجع إلى النبي ﷺ ، فأخبره ، فقال : « **تلك العزى** » . وسنده صحيح .

وهذا سياق أبي يعلى ، والباقون نحوه .

وذكره ابن إسحاق ، وابن كثير في « السيرة » (٥٩٨/٣) ، وابن سعد في « الطبقات » (١٤٥/٢، ١٤٦) ، مرسلاً ، وكذا فعل الواقدي وغيره ، وعنهم نقله الصالحي في « السيرة الشامية » (٣٠٠/٦) .

قال [ابن] هشام : حدثني أبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس أن العزى كانت شيطانة تأتي ثلاث سَمُرَات[1] ببطن نخلة ، فلما فتح رسول الله ﷺ مكة بعث خالد بن الوليد فقال :

« **ائت بطن نخلة ؛ فإنك تجد فيها ثلاث سمرات ، فأعْضِد[2] الأُولى** » ، فأتاها فعضدها ، فلما جاء إلى النبي ﷺ قال له النبيُّ – عليه الصلاة والسلام –: « **هل رأيتَ شيئًا ؟** » قال : لا . قال : « **فأعضد الثانية** » ، فأتاها فعضدها ، فأتى النبي – عليه الصلاة والسلام – فقال له النبي ﷺ : « **هل رأيت شيئًا ؟** » قال : لا . قال : « **فأعضد الثالثة** » . فأتاها فإذا هي بجنِّيَّة نافشة [٤أ] شعرها ، واضعة ثدييها على عاتقيها ، تضرب أنيابها ، وخلفها سادنها ، فقال خالد :

كُفْرًا بكِ إنِّي   رأيتُ اللَّهَ قد أهَانَكِ[3]

ثم ضربها ففلق رأسها ، فإذا هي حَمَمَةٌ[4] ، ثم عضد الشجرة ، وقتل السادن ، ثم أتي النبي – عليه الصلاة والسلام – فأخبره بما رأى فقال – عليه الصلاة والسلام –: « **تلك العزى ولا عزى للعرب بعدها** » .

وكان لقريش من غير هذه الأصنام في جوف الكعبة وحولها أصنام كثيرة منها :

---

(١) جمع سمرة ، وهي الشجرة .

(٢) يعني : اقطع .

(٣) أصل هذا البيت هكذا :

يا عزى كفرانك لا سبحانك   إني رأيت الله قد أهانك

(٤) يعني : فحمة .

□ ذِكْرُ هُبل ! □

هُبَلُ .

قال [ابن] هشام : هو عندهم أعظمها ، وكان من عقيق أحمر ، على صورة الإنسان ، مكسور اليد اليمنى ، هكذا أدركته قريش وجعلوا له يدًا من ذهب ، وكان في جوف الكعبة ، وفي قُدَّامِهِ قِدَاحٌ ، وكانوا إذا أرادوا أمرًا من السفر وغيره أتوه ، واستقسموا عنده بتلك القداح ، ومنها :

□ ذِكْرُ إِسَافٍ ونائِلة ! □

إسافٌ ونائِلة .

قال [ابن] هشام : كان إساف رجلاً ، ونائِلة امرأة ، كلاهما من جرهم ، وكانا يتعشقان في أرض اليمن ، فأتيا الحج ، فدخلا البيت ، فوجدا غفلة من الناس ، وخلوة من البيت ، وفَجَرَا[1] فيه ، فمُسِخا حَجَرَيْن ، فأصبح الناس فوجدوهما ممسوخَيْنِ ، فأخرجوهما ، فوضعوهما عند الكعبة ليتعظ الناس بهما ، فلما طال الزمان وعُبدتْ الأصنام عُبِدا مع سائر الأصنام .

فإن رسولَ اللّٰه ﷺ لما فتح مكة وَجَدَ حول البيت ثلاثمائة وستين صنمًا ، وجعل يطعن بقوسه وجهها وعيونها ويقول : ﴿ **جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقًا** ﴾ [الإسراء : ٨١][2] . وهي تتساقط على رءوسها ، ثم أمر بها فأُخرجت من المسجد وأحرقت .

---

(١) كذا بالأصل ، والأشبه ففجرا ، بالفاء لا بالواو .

(٢) **حديث صحيح** . أخرجه البخاري (٢٤٧٨، ٤٢٨٧، ٤٧٢٠) ، ومسلم (١٧٨١) ، والترمذي (٣١٣٧) ، والطبراني في « الصغير » (١/٧٧) ، والطبري في « التفسير » (١٥/١٥٢) ، وأحمد (١/٣٧٧) ، والحميدي في « مسنده » (١/٤٦) من حديث مجاهد ، عن أبي معمر عبد اللّٰه بن سخبرة ، عن ابن مسعود ، به .

□ قِصَّةُ إِسلامِ عمرو بن الجَمُوح - رضي اللَّه عنه[1] - □

قال ابن إسحاق: كان عمـرو بـن الجمـوح سيدًا مـن سـادات بـني سـلمة وشريفـًا من أشرافهم، وكان اتخذ في داره صنمـًا من خشبٍ، فلما أسلم فتيانٌ من بني سلمة، كانوا يدخلون بالليل على صنمه فيحملونه ويطرحونه منكّسـًا على رأسه في بعض حُفَر بـني [٤ب] سـلمة، فيهـا عـذرات النـاس[2]، فـإذا أصبح عمرو ولـم يجد صنمه في موضعه يغدو يلتمسه، فإذا وجده يغسله، ويطهره ويطيبه، ويقول: واللَّه لو أعلم مَنْ فعل بك هذا لأخزينّه، فإذا أمسى ونام كانوا يفعلون بصنمه مثل ذلك، فيغدو يلتمسه، ويجد فيه مثل ما كان في المرة الأولى من الأذى، فيغسله ويطهره ويطيبه، فإذا أمسى كانوا يفعلون به كذلك، فلما طال عليه استخرجه من حيث أَلْقَوْهُ، فغسله وطهَّره وطيَّبه، ثـم جاء بسيفه فعلَّقه عليه، ثم قال: واللَّه، إني لا أعلم من يصنع بك هـذا؛ فـإن كان فيك خيرٌ فهذا السيف معك فامْتَنِعْ.

فلمـا أمسى ونام غدوا عليه، وأخذوا السيف من عُنُقِه، ثم وجـدوا كلبـًا ميّتـًا فقرنوه[3] به بحبل، ثـم ألقـوه في بئر مـن آبـار بـني سـلمة فيهـا عـذرات

= هذا، وقد طعنها النبيُّ ﷺ لإذلالها وإذلال عابديها، ولإظهار أنها لا تضر ولا تنفع، ولا تدفع عن نفسها شيئًا.

وقال الطبري: «في حديث ابن مسعود جواز كسر آلات الباطل، وما لا يصلح إلاَّ في المعصية حتى تزول هيئتها وينتفع برضاضِها». اهـ.

والرضاض: هو الفتات والقِطَعُ.

(١) انظر ترجمته - رضي اللَّه عنه - في: «السير» (١/٢٥٢)، و«الاستيعاب» (٨/٢٩١)، و«أُسد الغابة» (٤/٢٠٦)، و«الإصابة» (٧/٩٤).

(٢) أوساخهم وفضلاتهم.

(٣) ربطوه.

الناس، وأصبح عمرو ولم يجده في مكانه، فخرج يلتمسه فوجده في تلك البئر منكسًا مقرونًا بكلب ميت، فلما رآه هكذا تعجب من شأنه، وكلّمَهُ بعضُ مَنْ أسلم من قومه، فأسلمَ وحَسُنَ إسلامُه.

* * *

□ بعض مخازي عبادة الأصنام في الجاهلية □

وهكذا كان لأهل كلِّ وادٍ صنمٌ في دارهم يعبدونه، فإذا أراد أحدهم السفر كان آخر ما يصنع في منزله أن يتمسح به، وإذا قَدِم من سفره ودخل منزله كان أول ما يصنع أن يتمسح به.

وكان الرجل إذا سافر ونزل منزلاً أخذ أربعة أحجار، فنظر إلى أحسنها واتخذه ربًا، وجعل الثلاثة الباقية أثافي[1] لقِدْرِهِ، فإذا ارتحل تركه، فإذا نزل منزلاً آخر فعل مثل ذلكَ.

قال مهدي بن ميمون[2] : سمعت أبا رجاء[3] يقول :

---

(١) الأثافي جمع أُثفيَّة، وقد تخفف الياء في الجمع، وهي الحجارة التى تنصب وتُجعل القِدْرُ عليها، يقال: أثفيتُ القِدْر، إذا جعلتُ لها الأثافي، وثفَّيتها، إذا وضعتُها عليها، والهمزة فيها زائدة. (النهاية ١/٢٣).

(٢) هو : الأزدي المِعْوَلي، أبو يحيى البصري، أحد الثقات الأثبات المتقنين.

(٣) هو : أبو رجاء العُطَاردي، عمران بن ملحان، أحد الثقات المخضرمين، عمَّر طويلاً، ومات سنة خمس ومائة، وله مائة وعشرون سنة.

أسلم بعد فتح مكة، ولم ير النبيَّ ﷺ، جُلُّ روايته عن الصحابة، تلقَّن على أبي موسى الأشعري القرآن، ثم عرضه على ابن عباس، وهو أسن منه.

وانظر هذا الخبر في «الاستيعاب» (٣/١٢١٠، ١٢١١)، و«الحلية» لأبي نعيم (٢/٣٠٥، ٣٠٦).

«كنا في الجاهلية نعبد الحَجَرَ، فإذا وجدنا حجرًا أحسن منه، كنا نأخذه ونُلقي الأول، وإذا لم نجد حجرًا جمعنا حفنة من تراب، ثم جئنا بغنم فحلبنا عليه، ثم طُفْنا به».

وقال أبو رجاء أيضًا:

«كنا نعمِد إلى الرمل، فنجمعه ونَحلب عليه ونعبده، وكنا نعمد إلى الحجر الأبيض فنعبده زمانًا، ثم نُلقيه».

* * *

◻ صُوَرُ تلاعُبِ الشيطان بالمشركين ◻

وتلاعُبُ الشيطان بالمشركين في عبادة الأصنام له أسبابٌ عديدة، تلاعبَ بكل قومٍ على قدر عقولهم، فدعا طائفة إلى عبادتها: [٥ أ]

من جهة تعظيم الموتى:

الذين صوَّروا تلك الأصنام على صُورِهم، كما تقدم عن قوم نوح - عليه السلام - وهذا السبب هو الغالبُ على عوام المشركين.

وأما خواصهم فإنهم اتخذوها على صور الكواكب المؤثرة في العالم - عندهم - وجعلوا لها بيوتًا وسدنة.

فمن تلك البيوت بيتٌ بصنعاء بناهُ بعض المشركين على اسم «الزهرة» فخرَّبه عثمان بن عفان، ومنها بيت بناه قابوس الملك على اسم «الشمس» بمدينة فرغانة فخربه المعتصم، وأشد الأمم في هذا النوع من الشرك الهند.

قال يحيى بن بشر: «إن شريعة الهند وضعها رجلٌ من المشركين؛ فإنه وضع لهم أصنامًا، وجعل أعظم بيوتها بمدينة من مدائن السند، وجعل فيه صنمهم الأعظم، وفُتحت تلك المدينة في أيام الحجاج، فأراد المسلمون قلع

الصنم ، فقيل لهم : إن تركتموه ولـم تقلعوه جعلنا لكم ثلث ما يجتمع لـه مـن المال ، فأمر عبد الملك بن مروان بتركه »[1] .

فالهند تحجُّ إليه من نحو ألفي فرسخ ، ومن يحجه لا بد له أن يحمـل معـه مـن النقد ما يمكنه من مائة إلى عشرة آلاف لا أقـل ولا أكـثر ، فيلقيـه في صنـدوق عظيم هناك ، ويطوف بالصنم ، فـإذا ذهبـوا ورجعـوا إلى بلادهـم كـان يُقسَّـم ذلك المال أثلاثًا ، فيُجعل ثلثه للمسـلمين ، وثلثـه لعمـارة المدينـة وحصونهـا ، وثلثه لسدنة الصنم ومصالحه .

* * *

□ مشركو الصابئة ؛ هم قوم إبراهيم - عليه السلام - □

وأصل هذا المذهب من مشركي الصابئة ، وهـم قوم إبراهيم - عليه السلام - وأهل دعوته الذين ناظرهم في بطلان الشرك ، وكَسَرَ حُجَّتَهم بعِلْمِه ، وآلهتَهـم بيده[2] ، وكانوا أمة كبيرة من الأمم الكبار، ومذهبهم مذهب قديم في العالـم .

* * *

---

(١) كذا قال المصنِّفُ ، ولـم أجده في شيءٍ من كتـب التواريـخ أو فتـوح البلـدان ، وهـو عنـدي بعيد ، بل بعيد جدًّا ، إذ كيف يتفق هذا مع الغـرض الأساسي مـن فتـوح بلـدان الشـرك والكفـر وعباد الأصنام ؛ لنشر التوحيد ، وإخراج الناس من ظلمات الكفر والجهالة إلى دين الله الحق ؟!

(٢) انظر مناظرات الخليل لهؤلاء في كتاب « الملل » للشهرستاني (١٤٧، ١٤٨) .

□ أقسام الصابئة[1] □

وكانوا قسمين : ١- صابئة حنفاء .

٢- صابئة مشركون .

والمشركون منهم يُعظِّمون الكواكب السبعة ، والبروج الاثنى عشر ، ولتلك الكواكب عندهم هياكل[2] مخصوصة ، هيكل للشمس ، وهيكل للقمر ، وهيكل للزهرة ، وهيكل للمشترى ، وهيكل للمريخ ، وهيكل لعطارد ، وهيكل للزحل .

وهذه الهياكل هي المتعبدات الكبار لهم كالكنائس للنصارى والبِيَع لليهود ، ولهذه الكواكب عندهم عبادات مخصوصة ، فإنهم يصورونها في تلك الهياكل ويتخذون لها أصنامًا تخصُّها ، ويقربون لها القرابين ، ولها عندهم في اليوم والليلة صلوات خمسٌ كصلوات المؤمنين ، وطائفة منهم يصومون شهر رمضان ، ويستقبلون الكعبة في صلواتهم ، ويعظمون مكة ، ويرون الحج إليها ، يحرمون الميتة [٥ ب] والدم ولحم الخنزير ، ويحرمون من القرابات في النكاح ما يحرمه المسلمون ، وعلى هذا المذهب كان جماعة من أعيان الدولة ببغداد .

وأصل دين هؤلاء فيما زعموا أنهم يأخذون بمحاسن ديانات العالم ومذاهبهم ، ويخرجون من قبيح ما هم عليه قولاً وفعلاً ، وهم قد خرجوا عن تقيدهم بجملة كل دين وتفصيله إلاَّ ما رأوه فيه من الحق ؛ فإنهم شاركوا جميع الأمم وفارقوهم .

---

(١) انظر كتاب « موسوعة الملل والنحل » لأبي الفتح الشهرستاني ص (١٢٣- ١٢٧) ، وقد عقد أيضًا مناظرة بين الصابئة والحنفاء في غاية الأهمية ، فانظرها هناك (١٢٧- ١٤٥) .

(٢) انظر الكلام على الهياكل والأشخاص عند الشهرستاني في « الملل » (١٤٦) .

والحنفاء منهم شاركوا أهل الإسلام ، **والمشركون** شاركوا عباد الأصنام ورأوا أنهم على صواب ، وأكثر هذه الأمة فلاسفة ، فعلى هذا هم فِرَقٌ شتى : صابئة حنفاء ، وصابئة مشركون ، وصابئة يأخذون بمحاسن ما عليه أهل الملل والنحل من غير تقيد بملة ونحلة ، ثم منهم من يقرُّ بالنبوات جملة ، ويتوقف في التفصيل ، ومنهم من يقرُّ بها جملةً وتفصيلاً ، ومنهم من ينكرها جملة وتفصيلاً ، وهم كلُّهم يقرون بأن للعالم صانِعًا فاطرًا حكيمًا مقدسًا عن العيوب والنقائص .

ثم المشركون منهم يقولون : لا سبيل لنا إلى الوصول إليه إلاَّ بالوسائط ، فالواجب علينا أن نتقرب إليه بتوسط الروحانيات القريبة منهم ، وهم الروحانيون المقدسون[1] عن المواد الجسمانية والقوى الجسدانية ، قد جُبلوا على الطهارة ، فنحن نتقرب إليهم ، وبواسطتهم نتقرب إليه ، فهم أربابنا وآلهتنا وشفعاؤنا عند رب الأرباب وإله الآلهة .

﴿ **ما نعبدهم إلاَّ ليقربونا إلى اللَّه زلفى** ﴾ [الزمر : ٣] .

فاللازم علينا أن نُطَهِّرَ نفوسنا عن الشهوات الطبيعية ، ونهذب أخلاقنا عن الرذائل البهيمية حتى يحصل بيننا وبينهم مناسبة ، وتتصل أرواحنا بهم ، فحينئذ نسأل حاجاتنا عنهم ونعرض أحوالنا عليهم ، ونرجع في جميع أمورنا إليهم فيشفعون إلى إلهنا وإلى إلهِهم ، وهذا التطهير والتهذيب لا يحصل إلاَّ بالاستمداد منهم ؛ وذلك بالتضرع والابتهال والتقرب إليهم بأنواع العبادات من الصلاة والصدقات وذبح القرابين ، فحينئذ يحصل لنفوسنا استعداد في الأخذ من المعدن الذي أخذ منه الرسل من غير واسطة الرسل ، فيكون حكمنا وحكمهم واحدًا ، ونحن وإياهم بمنزلة واحدة ، فإن الأنبياء أمثالنا في النوع وشركاؤنا في

---

(١) انظر الكلام على أصحاب الروحانيات في « الملل » للشهرستاني (ص١٢٦، ٢٤٩، ٢٥٠) .

المادة، وأشكالنا في الصور؛ يأكلون مما نأكل، ويشربون مما نشرب، وما هم إلاَّ بَشَرٌ مثلنا يريدون أن يتفضلوا علينا.

وزاد الملاحدة الوجودية على هؤلاء بما قال شيخهم ابن عربي[1]:

«إن الولي أعلى درجة من الرسول؛ لأنه يأخذه من المعدن الذي يأخذه منه المَلَكُ [٦١أ] الذي يأخذ منه الرسول، فهو أعلى منه بدرجتين، والمعدن عندهم هو العقل، والملك هو الخيال، والخيال تابعٌ للعقل، وهم - بزعمهم - يأخذون عن العقل الذي هو أصل الخيال، والرسول يأخذ عن الخيال الذي هو تابعٌ للعقل، ولهذا صاروا عند أنفسهم فوق الرسول؛ فجعلوا أنفسهم وشيوخهم في التَّلقِّي أعلى من الرسول بدرجتين، وإخوانهم من المشركين جعلوا أنفسهم في ذلك التلقي بمنزلة الأنبياء، ولم يدَّعوا أنهم فوقهم؛ بل كفروا بالأصلين الذين جاء بهما الرسل والأنبياء من أولهم إلى آخرهم:

أحدهما: عبادة اللَّه تعالى وحده لا شريك له.

---

(١) ابن عربي هو: أبو بكر محيي الدين محمد بن علي بن محمد بن أحمد الطائي، الحاتمي، المرسي، نزيل دمشق.

قال الذهبي في «السير» (٢٣/٤٨، ٤٩):

«صاحب التواليف الكثيرة ... ومن أردإ تواليفة كتاب «الفصوص» فإن كان لا كفر فيه فما في الدنيا كفرٌ، نسأل اللَّه العفو والنجاة، فواغوثاه باللَّه!».

ويقول العز بن عبد السلام: «.. شيخ سوء مقبوح كذاب؛ يقول بقدم العالم، ولا يحرِّم فرجًا».

وقال الذهبي في «تاريخ الإسلام»:

«... وهو قدوة أهل الوحدة ...».

وقال ابن مسْدِي: «باطني النظر في الاعتقادات، ولهذا ما ارْتبتُ في أمره، واللَّه أعلم بسرِّه».

هلك في الثاني والعشرين من ربيع الآخر سنة ٦٣٨ هـ.

والثاني : الإيمان برسله ، وبجميع ما جاءوا به من عنده تعالى .

وهذا ليس مختصًا بمشركي الصابئة ، بل هذا مذهب المشركين من سائر الأمم أيضًا» .

* * *

□ أنواع الأصنام التي اتخذها المشركون آلهة ، وبيان حالهم معها □

لكن شرك الصابئة كان من جهة الكواكب والعلويات .

فمنهم عُبَّاد الشمس؛ زعموا أنها مَلَكٌ من الملائكة ، لها نَفْسٌ وعَقْلٌ ، وهي أصل نور القمر وسائر الكواكب ، وتُكَوَّن الموجودات عندهم منها ، وهي عندهم مِلْك المَلَك وتستحقُّ العبادةَ ، ومن شريعتهم في عبادتها أنهم اتخذوا لها صَنَمًا بيده جوهر على لون النار ، وله بيتٌ خاص بَنَوْهُ باسمه ، وجعلوا له الوقوف[1] الكثيرة من القرى والضِّياع ، وله سَدَنَةٌ[2] وحَجَبَةٌ[3] وقُوَّام[4] يأتون البيت ، ويصلُّون فيه لها في اليوم ثلاث مرات ، ويَأْتيه أصحاب العاهات[5] فيصومون لذلك الصنم ويُصلُّون عنده ، ويدعونه ، ويستشفون[6] به ، وهم كلهم يسجدون له إذا طلعت الشمس ، وإذا غربت ، وإذا توسطت

---

(١) جمع وَقْف .

(٢) جمع سادن وهو خادم الصنم ، والذي يتولى حفظه ، وبيده المفتاح .

(٣) جمع حاجب ، ومهمته قريبة من مهمة سابقة ، نسأل الله السلامة .

(٤) جمع قائم ، وهو الذي يقوم على شئون الصنم ويخدمه .

(٥) جمع عاهة ، وهي العلة والمرض والحاجة .

(٦) أي يطلبون منه الشفاء كما يفعله كثير من جهلة المسلمين اليوم حول الأضرحة .

الفُلْك[١] ، ولهذا نهي النبي ﷺ عن الصلاة في هذه الأوقات قَطْعًا لمشابهة الكفار وسدًّا لذريعة الشركِ وعبادة الأصنام[٢] .

---

(١) أي إذا كانت الشمس عمودية في وسط السماء وقت الظهيرة .

(٢) أخرج الشيخان من حديث ابن عمر مرفوعًا : « **لا يتحرَّى أحدكم فيصلي عند طلوع الشمس ولا عند غروبها** » . لا يتحرَّى : لا يترقت ولا يتعمد .

وفي رواية عنه قال : « **إذا طلع حاجب الشمس فدعوا الصلاة حتى تبرز ، فإذا غاب حاجب الشمس فدعوا الصلاة حتى تغيب ، ولا تحيَّنوا بصلاتكم طلوع الشمس ولا غروبها ، فإنها تطلع بين قرني شيطان** » . متفق عليه .

وأخرج مسلم من حديث عقبة بن عامر - رضي اللّه عنه - قال : « **ثلاث ساعات كان رسول اللّه ﷺ ينهانا أن نُصلي فيهن ، أو نقبر فيهن موتانا : حين تطلع الشمس بازغة حتى ترتفع ، وحين يقوم قائم الظهيرة حتى تميل الشمس ، وحين تَضَيَّف - تميل - الشمس للغروب حتى تغرب** » .

وأخرج الشيخان من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعًا : « **لا صلاة بعد الصبح حتى ترتفع الشمس ، ولا صلاة بعد العصر حتى تغيب الشمس** » .

وأخرج مسلم من حديث عمرو بن عبسة قال : قَدِمَ النبي ﷺ المدينة ، فقدِمتُ المدينة ، فدخلتُ عليه فقلتُ : أخبرني عن الصلاة ، فقال : « **صَلِّ صلاة الصبح ، ثم أقصر عن الصلاة حين تطلع الشمس حتى ترتفع ، فإنها تطلع حين تطلع بين قرني شيطان ، وحينئذ يسجد لها الكفار ، ثم صَلِّ ؛ فإن الصلاة مَشهودة محضورة حتى يستقل الظِلُّ بالرمح ، ثم أقصر عن الصلاة ؛ فإنه حينئذ تُسجَّر جهنم ، فإذا أقبل الفَيْءُ فصلِّ ؛ فإن الصلاة مشهودة محضورة حتى تصلي العصر ، ثم أقصر عن الصلاة حتى تغرب الشمس ؛ فإنها تغرب بين قرني شيطان ، وحينئذ يسجد لها الكفار ...** » الحديث .

وفي الباب أحاديث أُخر ، وفيما ذكرنا غنية وكفاية بإذن اللّه تعالى .

وأما معنى أن الشمس تشرق وتغرب بين قرني شيطان، فقد قال الخطابي في « معالم السنن » (١/١٣٠، ١٣١) : « اختلفوا في تأويله على وجوه . فقال قائل : معناه مقارنة الشيطان للشمس عند دنوها للغروب ، على معنى ما روي : أن الشيطان يقارنها إذا طلعت ، فإذا ارتفعت فارقها ، فإذا استوت قارنها ، فإذا زالت فارقها ، فإذا دنت للغروب قارنها ، فإذا غربت فارقها ، فحرِّمت الصلاة في هذه الأوقات الثلاثة لذلك » .

=

وطائفة أخرى منهم اتخذوا صنمًا آخر للقمر ، وزعموا أنه يستحق العبادة ، وإليه تدبير هذا العالم السُّفْلِيِّ ، ومن شريعتهم في عبادته أنَّ الصنم الذي اتخذوه له إنما هو على شكل عِجْلٍ ، بيده جوهر ، وهم يعبدونه ، ويسجدون له ، ويصومون له أيامًا معلومةً من كل شهر ، ثم يأتون إليه

= وقيل : معنى قرن الشيطان : قُوَّته ، من قولك : أنا مقرن لهذا الأمر ، أي مطيق له ، قوي عليه ، وذلك لأن الشيطان إنما يقوى أمره في هذه الأوقات ؛ لأنه يسول لعبدةِ الشمس أن يسجدوا لها في هذه الأوقات الثلاثة .

وقيل : قرنه : حزبه وأصحابه الذين يعبدون الشمس ، يقال : هؤلاء قرن : أي نشء جاءوا بعد قرن مضى .

وقيل : إن هذا تشبيه وتمثيل ، وذلك أن تأخير الصلاة إنما هو من تسويل الشيطان لهم ، وتزيينه ذلك في قلوبهم ، وذوات القرون إنما تعالج الأشياء وتدفعها بقرونها ، فكأنهم لما دافعوا الصلاة وأخروها عن أوقاتها بتسويل الشيطان لهم حتى اصفرت الشمس ، صار ذلك منه بمنزلة ما تعالجه ذوات القرون بقرونها وتدفعه بأرواقها .

وفيه وجه خامس ، قاله بعض أهل العلم ، وهو : أن الشيطان يقابل الشمس حين طلوعها ، وينتصب دونها ، حتى يكون طلوعها بين قرنيه ، وهما جانبا رأسه ، فينقلب سجود الكفار للشمس عبادة له » . اهـ .

وقال ابن قتيبة في « تأويل مختلف الحديث » (١٥٤- ١٥٦) :

« فكره لنا رسول الله ﷺ أن نصلي في الوقت الذي يسجد فيه عبدةُ الشمس للشمس ، وأعلمنا أن الشياطين حينئذ - أو أنَّ إبليس في ذلك الوقت - في جهة مطلع الشمس ، فهم يسجدون له بسجودهم للشمس ، ولم يرد بالقرن ما تصوروه في أنفسهم من قرون البقر وقرون الشاء .... فأراد ﷺ أن يعلمنا أن الشيطان في وقت طلوع الشمس وعند سجود عبدتها لها : ماثل مع الشمس ، فالشمس تجري من قبل رأسه ، فأمرنا أن لا نصلي في هذا الوقت الذي يكفر فيه هؤلاء ، ويصلون للشمس وللشيطان ، وهذا أمر مغيب عنا ، لا نعلم منه إلا ما علمنا ، والذي أخبرتك به شيء يحتمله التأويل » . اهـ .

قلت : وهذا التأويل منك يا إمام أقرب التأويلات وأوضحها لمراد الشريعة منا، وسدًا لذريعة الشرك والتشبه بغيرنا ، وهو الذي يوافق الوجه الخامس في كلام الخطابي رحمه الله ، والله أعلم .

بالطعام والشراب ، والفرح والسرور ، ويأكلون ويشـربون عنـده ، فـإذا فرغـوا من الأكل والشرب يأخذون في الرقص والغناء وأصناف المعازف بين يديه .

ومنهم من يَعْبُدُ أصنامًا أخر اتخذوها على صور سـائر الكواكـب ، وبنـوا عليها هياكل ومتعبدات ، لكل كوكب هيكل يخصُّه ، وعبادة تخصه .

* * *

□ ما الذي حمل العرب على عبادة الأصنام[1] □

والذي حمل كل هؤلاء على عبادة الأصنام :

١- أنهم لَّما لـم يثبت لهم طريق في العبادة إلا بشخْصٍ خاص ، على شـكلٍ خاصٍ ، ينظرون إليه ، ويَعْكُفُون عليه ؛ وضعوا الصنـم موضـع معْبـودٍ غـائب ، وجعلوه على شكلِ صورةِ رجلٍ ليكون نائِبـا مَنَابَـهُ وقائِمًـا مقامَـهُ ، وإلاّ فمـن المعلوم الظاهر أن عاقِلاً لا ينحتُ خشبةً أو حَجَرًا [٦ب] بيده ، ثم يعتقد أنـه إله ومعبود .

٢- ومن أسباب عبادتها أيضًا أن الشيطان يدخل فيها ، ويخـاطبهم منهـا ، ويخبرهم ببعض المغيَّبات ، ويدلُّهم على بعض ما يخفـى عليهـم ، وهـم لا يـرون الشيطان ، فجهلتهم يظنون أن المتكلـم هو الصنم نَفْسُه ، وعقلاؤهـم يقولـون : هذا روحانية الأَجرام العلوية .

والحاصل أن أكثر أهل الأرض مفتونون بعبادة الأصنام ، ولـم يتخلص منها إلاَّ الحنفاء أتْباع الرسل عليهم السلام ، وعبادتُهـا في الأرض مـن زمـن نـوح - عليه السلام - وهياكِلُها ووقوفُها وسدنتُها والكُتُب المصنَّفة في شـرائع عبادتهـا طِبْق الأرض ، ويكفي في معرفة كثرتهم وكوْنهم أكثر أهل الأرض ما صحَّ عن

---

(١) تابع : نفس العنوان في أول الرسالة (ص ٥١) .

النبي - عليه الصلاة والسلام -: «**إِنَّ بَعْثَ النَّارِ مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَمِائَةٍ وتِسْعَةً وتِسْعُونَ**»[1].

* * *

(١) أخرجه البخاري (٣٣٤٨، ٤٧٤١، ٦٥٣٠، ٧٤٨٣)، ومسلم (٢٢٢) من حديث أبي صالح، عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «**يقول الله عز وجل: يا آدم، فيقول: لبيك وسعديك والخير في يديك، قال: يقول: أخرج بعث النار** - يعني ميِّز أهل النار عن غيرهم - **قال: وما بعث النار؟ قال: من كل ألف ..**». فذكره، ثم قال: «**فذاك حين يَشِيبُ الصغيرُ، وتضعُ كلُّ ذاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا، وترى الناسَ سكارى، وما هم بسُكارى ولكن عذاب الله شديد ..**» الحديث.

وهو عند البخاري في الموضع الأخير باختصار. وفي الباب عن عبد الله بن عمرو، وأبي هريرة، وعمران بن حصين، وأنس بن مالك، وابن عمر، وابن عباس، وابن مسعود - رضي الله عنهم.

□ بعض صور الكيد الشيطاني لابن آدم □

ومِنْ كَيْدِهِ وتلاعبه بالمشركين أنَّهُ زيَّنَ لقومٍ منهم عِبَادةَ المَلائكةِ فعَبَدُوهُم، ولم تكن عبادتهم في الحقيقة لهم، بل كانت للشيطان، كما قال الله تعالى: ﴿ **ويَوْمَ يَحْشُرُهُم جميعًا ثمَّ يقولُ للملائكةِ أهؤلاء إيَّاكم كانوا يعبدون * قالوا سبحانك أنت وليُّنا مِن دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون** ﴾ [سبأ: ٤٠، ٤١].

ومن كيده وتلاعبه ما تلاعب بعُبَّاد النار حتى اتخذوها إلهًا معبودًا، قيل: كان هذا من عهد قابيل على ما ذكره أبو جعفر محمد بن جرير(١) أن قابيل لما قَتَل أخاه هابيل، وهرب من أبيه آدم – عليه السلام – أتاه إبليس، وقال له: إنما قُبل قُرْبَانُ هابيل وأكلته النارُ؛ لأنه يخدمُهَا ويعبدُها، فانْصبْ أنت نارًا فاعبدها، فبني بيتَ نارٍ وعَبَدَها، وهو أوَّلُ من نَصَبَ النار للعبادة، وسَرَى هذا المذهب في المجوس، وبنوا لها بيوتًا كثيرة، واتخذوا لها الوُقُوفَ والسَّدَنَةَ، ولا يَدَعُونَهَا تخمد لحظةً واحدةً، ولهم في عبادتها شرائع يأخذون بها، وهم فِرَقٌ شتَّى، منهم:

---

(١) هو: الإمام العَلم المجتهد، عالم عصرِه، صاحبُ التصانيف البديعة، الرَّحَّالة، النبيل، أحدُ أفراد الدَّهر علمًا وذكاءً، قلَّ أن ترى العيونُ مثله. قاله الذهبي في « السير » (١٤/٢٦٧).

وقال الخطيب في « تاريخه » (٢/١٦٣): « كان أحد الأئمة، يُحْكم بقوله، ويُرجع إلى رأيه لمعرفته وفضله، وكان قد جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره، فكان حافظًا لكتاب الله، عارفًا بالقراءات، بصيرًا بالمعاني، فقيهًا في أحكام القرآن، عالمًا بالسنن وطرقها، صحيحها وسقيمها، وناسخها ومَنسوخها، عارفًا بأقوال الصحابة والتابعين، عارفًا بأيام الناس وأخبارهم، له كتاب « التفسير » لم يُصنف مثله ... ». اهـ.

وانظر تفسيره (٦/١٢٠ – ١٣٠) عند قوله تعالى: ﴿ **واتل عليهم نبأ ابني آدم** ... ﴾ الآيات [المائدة: ٢٧ – ٣١].

□ ذِكْرُ فِرَقِ المجوسِ □

١- المَزْدَكِيَّةُ :

وهؤلاء يرون الاشتراك في النساء والمكاسب كالاشتراك في الهواء والطُّرُق وغيرها . ومنها :

٢- الخَرْمِيَّةُ :

وهم شَرُّ طوائفهم ، ولا يُقرُّون بصانع ولا معادٍ ، ولا نبوةٍ ولا كتابٍ ، ولا حلالٍ ولا حرامٍ .

وعلى مذهبهم طائفةُ القرامطة، والإسماعيلية، والبشتكية ، والنصيرية، والزردية ، وسائر العبيدية الذين يسمون أنفسهم «فاطمية»[1] وهم أكفر الكفار .

---

(١) الفاطميون (العبيديون) هم قوم من الملاحدة ، ذكر الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (٢٠٧/١٥- ٢١٤) في ترجمة العاضد قال : «هو صاحب مصر العاضد لدين اللّه خاتم الدولة العبيدية ، أبو محمد عبيد اللّه بن الأمير يوسف بن الحافظ لدين اللّه عبد المجيد بن محمد بن المستنصر ، العبيدي الحاكمي المصري الإسماعيلي المدَّعِي هو وأجداده أنهم فاطميون .

وكان العاضد سبَّابًا ، خبيثًا ، متخلفًا ، تلاشى أمره مع العالم المجاهد السني صلاح الدين الأيوبي إلى أن خلعه ، وخطب لبني العباس ، واستأصل شأفة بني عبيد ، ومحق دولة الرفض ، وكانوا أربعة عشر متخلِّفًا لا خليفة .

وقال أبو شامة عن العبيدين : يدَّعون الشرف ونسبتُهم إلى يهودي أو مجوسي ، حتى اشتهر لهم ذلك ، وقيل : الدولة العلوية ، أو الدولة الفاطمية ، وإنما هي الدولة اليهودية ، أو الدولة المجوسية الملحدة الباطنية .

وذكر ذلك جماعة من العلماء الكبار ، وأن نسبهم غير صحيح ، بل المعروف أنهم بنو عبيد ، وكان والد عبيد من نسل القدَّاح المجوسي الملحد . وقيل : والده يهودي من أهل سَلَمِيَّةَ ، وعبيد كان اسمه سعيدًا ، فغيَّره بعبيد اللّه لما دخل إلى المغرب ، وادعى نسبًا - ذكر بطلانه جماعة من علماء الأنساب - ثم ترقى ، وتملك ، وبنى المهدية ، قال : وكان زنديقًا خبيثًا ، ونشأت ذريته على ذلك ، وبقي هذا البلاء على الإسلام من أول دولتهم إلى آخرها . =

فكل هؤلاء يجمعهم هذا المذهب ، ويتفاوتون في التفضيل ، والمجوس شيوخُهم وأئمتهم وقدوتُهم ؛ وإن كان المجوس متقيدون بأصل دينهم وشرائعهم ، وهؤلاء لا يتقيدون بدين من الأديان ، ولا بشريعة من الشرائع .

* * *

□ فلسفة عُبَّاد النار □

ثم إن عبادِ النار يفضلونها على التراب ، ويُصوِّبون رأي إبليس[1] ، ويقولون : إنها أَوفر العناصر خيرًا ، وأعظمها جرمًا ، وأوسعها مكانًا ، وأشرفها جوهرًا ، وألطفها جسْمًا ، ولا كون في العالم [٧ أ] إلا بها ، ولا نمو إلا بها ، ولا انعقاد إلا بممازجتها .

* * *

= وقد صنَّف القاضي أبو بكر الباقلاني كتاب « كشف أسرار الباطنية » فافتتحه ببطلان انتسابهم إلى الإمام علي ، وكذلك القاضي عبد الجبار المعتزلي .. إلخ . كلام الذهبي في « السير » بتصرف يسير .

(١) حيث أمره ربُّه بالسجود لآدم فأبى ؛ قال تعالى : ﴿ **ولقد خلقناكم ثم صوَّرناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين ۞ قال ما منعك ألاَّ تسجد إذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين** ﴾ [الأعراف : ١١، ١٢] .

وقال تعالى : ﴿ **إذ قال ربك للملائكة إنى خالق بشرًا من طين ۞ فإذا سوَّيته ونفخت فيه من رُوحى فَقَعوا له ساجدين ۞ فسجد الملائكة كلُّهم أجمعون ۞ إلاَّ إبليس استكبر وكان من الكافرين ۞ قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى أستكبرتَ أم كنت من العالين ۞ قال أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين** ﴾ [ص : ٧١- ٧٦] .

□ مذاهب طوائف عباد النار في عبادتهم إياها □

ومن عباداتهم لها أنهم يحفرون لها أُخدودًا مربعًا في الأرض، ويطوفون به، وهم أصناف مختلفة، فمنهم:

١- من يحرِّم إلقاء النفوس فيها، وإحراق الأبدان بها، وهم أكثر المجوس.

٢- وطائفة أخرى بلغت عبادتهم لها أن يقربوا أنفسهم وأولادَهم لها، وهم أكثر ملوك الهند وأتباعهم، ولهم سُنَّة معروفة في تقريب نفوسهم لها وإلقائها فيها، فيعمد الرجل الذي يريد أن يفعل ذلك بنفسه أو بولده، فيحمِّله ويلبسه أحسن اللباس وأفخر الحُليِّ، ثم يركبه أعلى المراتب، وحوله المعازف والطبول والبوقات، فيُزَفُّ للنار أعظم من زفاف ليلة عُرْسِه، حتى إذا قابَلَها وهي تأجَّج يطرح نفسه فيها، فيصيح الحاضرون صَيْحةً واحدةً بالدعاء له وغبطِه على ما فعل، فلا يلبس إلاَّ قليلاً حتى يأتيهم الشيطان في صورته وشكله وهيئته، بحيث لا ينكرون منه شيئًا، فيأمرهم بما فعل، ويوصيهم بالتمسك بذلك الدِّين، ويخبرهم أنه صار إلى جَنَّةٍ ورياضٍ وأنهارٍ، ولم يتألم بمسِّ النار، فلا يهولنَّهم ذلك، ولا يمنعهم عن أن يفعلوا مثله.

٣- ومنهم زُهَّادٌ وعُبَّادٌ يجلسون حول النار، صائمين لها، عاكفين عليها، ومن سُنَنِهم الحث على الأخلاق الجميلة كالصدق، والعدل، والعفة، والوفاء، والأمانة، وترك أضدادها، ولهؤلاء في عبادتها شرائع ونواميس وأوضاع لا يخلون بها.

* * *

□ عُبَّادُ الماءِ □

ومن كيده وتلاعبه ما تلاعبَ بطائفة أخرى حتى عبدوا الماء من دون الله تعالى، وزعموا أنَّ الماء أصلُ كلِّ شيءٍ، وبه كل ولادة، ونمو، ونشوء، وطهارة، وعمارة، و[ما] (١) من عملٍ في الدنيا إلاَّ ويحتاج إلى الماء.

ومن شريعتهم في عبادته أن رجلاً منهم إذا أراد عبادته يتجرد ويستر عورته، ثم يدخل فيه حتى يصير إلى وسطه، فيقيم هناك ساعة وساعتين أو أكثر بقدر ما يمكنه، ويكون معه ما يمكنه أخذُه من الرَّياحين، فيقطِّعُها صِغَارًا، فيلقها فيه شيئًا شيئًا، وهو يسبحه ويمجده، فإذا أراد الانصراف يحرك الماء بيده، ثم يأخذ منه فيضعه على رأسه ووجهه وجسده، ثم يسجد له وينصرف.

* * *

□ عُبَّادُ الحيوانات □

ومن تلاعبِه تلاعبُه بعباد الحيوانات، فطائفة عبدت الخيل، وطائفة عبدت البقر، وطائفة عبدت البشر الأحياء والأموات.

* * *

□ الدَّهريون وإنكارُهُم البَعْثَ □

ومن تلاعبِه تلاعبُه بالدهرية، وأنهم قومٌ عطَّلوا المصنوعات عن صانِعها، وقالوا ما حكى الله - تعالى - عنهم: ﴿**ما هي إلاَّ حياتُنا الدنيا نموتُ ونحيا وما يُهلكنا إلاَّ الدهر**﴾ [الجاثية: ٢٤].

---

(١) زيادة من عندي، وليست في الأصل، زدتها لحاجة السياق إليها.

فهؤلاء المعطِّلةُ حقًّا ، وهم فحول المعطلة ، وقد سرى هذا التعطيل إلى سائر فِرَقِ المعطلة [٧ ب] ، على اختلاف آرائهم وتَبَايُن أقوالهم في التعطيل ، كما سرى داء الشرك تأصيلاً وتفصيلاً في سائر فِرَق المشركين على اختلاف ضلالهم وتباين مذاهبهم فيه ، وكما سرى جَحْدُ النُّبوَّات تأصيلاً وتفصيلاً في سائر فرق من جحد النبوة أو صفة من صفاتها ، وهذه الفرق الثلاث سرى داؤها وبلاؤها في الناس في هذا الزمان ، ولا ينجو منها إلاَّ أَتْبَاعُ الرسول - عليه الصلاة والسلام - والعارفون بحقيقة ما جاء به ، المتمسكون به ظاهرًا وباطنًا دون ما سواه .

فَدَاءُ التعطيل ، وداءُ الشرك ، وداءُ مخالفة الرسول ، وجحدُ ما جاء به أَو شيء منه هي أصلُ بلاءِ العالم ، ومنبع كلِّ شرٍّ ، وأساس كل باطل .

وليست فرقة من فرق أهل الإلحاد والبدع إلاَّ وقولُها مشتق من هذه الأصول الثلاثة أو من بعضها .

فهذه البلايا الثلاثة قد سرت في كثير من طوائف الفلاسفة لا في جميعهم .

* * *

□ أصل كلمة «فلسفة» □

لأن الفلاسفة : جَمْع الفيلسوف ؛ وهو اسم جنس لمن يحب الحكمة ؛ لأن أصلَه «فيلاسوفا» فـ«فيلا» هو : المحب ، و«سوفا» هي الحكمة ، ومنه اشتقت الفلسفة . بمعنى «محبة الحكمة» .

والحكمة نوعان : قولية ، وفعلية .

فالقولية : قول الحق .

والفعلية : فعل الصواب .

وكل طائفة من الطوائف لهم حكمة يتقيدون بها، وأصح الطوائف حكمةً مَنْ كانت حكمتُهم أقربُ إلى حكمة الرسل التي جاءوا بها عن اللّه تعالى؛ إذْ هي الحكمة المتضمنة للعِلْم النافع والعمل الصالح، المشتملة على الهُدى ودين الحق.

والفلاسفة بزعمهم يأخذون بمحاسن ما دلّت عليه العقول، وعقلاؤهم يوجبون اتباع الأنبياء وشرائعهم، وبعضهم لا يوجبون ذلك ولا يحرمون، وسفهاؤهم وسفلتهم يمنعون ذلك.

ولهذا، لم يكن هؤلاء من الأمم المستقلة التي لها كتاب ونبي، وقد صار هذا الاسم في عُرف كثير من الناس مختصًا بمن خرج عن ديانات الأنبياء، ولم يذهب إلاَّ إلى ما يقتضيه العقل في زعمه، وأخصُّ من ذلك أنه في عُرف المتأخرين صار اسمًا لأتْبَاع أرسطو وهم «المشآءون».

وهم الذين هذّب ابن سينا طريقتهم، وبسطها، وقررها، وأراد تقربها بدين الإسلام بجهده، وغاية ما أمكنه أن يُقَرِّبها، وهي التي يعرفها، بل لا يعرف غيرها.

* * *

□ المتأولون من المتكلمين □

وهؤلاء فرقة شاذة من فرق [٨ أ] الفلاسفة، ومقالتهم واحدة من مقالاتهم، حتى قيل: ليس فيهم من يقول بقدم الأفلاك غير أرسطو وشيعته، وهو أول من عرف أنه قال بقدم هذا العالم.

والأساطين قبل كانوا يقولون بحدوثه وإثبات الصانع ومباينته له.

وكذلك الأساطين منهم متفقون على إثبات الصفات والأفعال الاختيارية له تعالى، كما ذكره فيلسوف الإسلام في وقته «أبو البركات البغدادي»[1]، وقرره غاية التقرير.

وكذلك أساطينهم ومتقدموهم كانوا معظِّمين للرسل وشرائعهم، موجبين لاتباعهم، خاضعين لأقوالهم، معترفين بأن ما جاءوا به طور آخر وراء طور العقل، وأن عقول الأنبياء وحكمتهم فوق عقول العالمين وحكمتهم.

وكانوا لا يتكلمون في الإلهيات، يُسلِّمون بأن الكلام فيها إلى الرسل، ويقولون: عُلُومُنا إنما هي الرياضيات والطبيعيات وتوابعها، وكانوا يقرُّون بحدوث العالم.

* * *

□ مَنْ أرسطو ؟ □

وقد حكى أرباب المقالات أن أول من عُرف عنه القول بقدم هذا العالم: أرسطو، وكان مشركًا يعبُدُ الأصنام، ودرج على أثره أتْبَاعُهُ من الملاحدة، متسترًا باتباع الرسل مع كونه منحلاً عن كل ما جاءوا به، وأتباعُهُ يعظِّمونه

---

(١) هو: العلامة الفيلسوف، شيخ الطب، أوْحدُ زمانه، أبو البركات، هبة الله بن علي بن ملكا البلدي، كان يهوديًّا ثم أسلم في أواخر عمره، وكان يخدم الخليفة المستنجد.

وقيل: سبب إسلامه أنه دخل إلى الخليفة، فقام له الكُلُّ سوى القاضي، فقال: يا أمير المؤمنين، إن كان القاضي لم يقُمْ لأني على غير ملته، فأنا أُسلِم، فأسْلَم، وأضرّ بآخره.

برع في علم الفلسفة، وله تصانيف في غاية الجودة، منها:

١- المعتبر. ٢- رسالة في ماهية العقل. وغيرها.

خلَّف ثلاث بنات، وعاش نحو الثمانين.

مات سنة نيف وخمسين وخمسمائة، أفاده الذهبي في «السير» (٢٠/٤١٩)، و«كشف الظنون» (١٧٣١)، و «هدية العارفين» (٢/٥٠٥، ٥٠٦).

فوق ما يُعَظِّمُ به الأنبياء، ويروْن عَرْضَ ما جاء به الأنبياءُ على كلامه !!! فما وافقه منها قَبِلوه، وما خالفه لم يعبئوا به شيئًا، ويسمونه «المعلم الأول»؛ لأنه أول من وضع لهم التعاليم المنطقية، وله في الإلهيات كلام كله خطأ من أوّله إلى آخره، وجاء فيه بما يسخر منه العُقَلاء؛ حيث أنكر أن يكون اللّه - تعالى - يعلم شيئًا من الموجودات وقرَّر ذلك، وأنه لو عَلِم شيئًا لكَمُلَ بمعلوماته ولم يكن كاملاً في نفسه، وكان يلحقه التعب والكلال من تصوُّر المعلومات. وهذا عَقْلُ هذا المعلِّم !!

وقد حكى ذلك أبو البركات، وبالغ في إبطال حُجَجِهِ وردِّها، ولولا أنه - تعالى - يحكي عن المشركين والكفار أقوالاً أسخف وأبطَلَ من هذا؛ لاستحى العاقِل من حكاية مثل هذا؛ ولكنه - تعالى - سَنَّ لنا حكاية أقوال أعدائه لِما في ذلك مِنْ قُوَّةِ الإيمان، وظهور جلالته ومعرفة قدره، وتمام نعمة اللّه تعالى على أهله، ما لا يخفى لحقيقة ما كان عليه هذا المعلِّم، وما علَّمه لأتْبَاعه الكفرة باللّه تعالى، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر.

وقد تعقبه بالردِّ عليه طوائف المسلمين حتى الجهمية والمعتزلة [٨ ب] والرافضة، والمقصود أن الملاحدة درجوا على إثر هذا المعلِّم حتى انتهت نوبتهم إلى معلِّمهم الثاني.

* * *

□ مَنِ الفارابي ؟ □

« أبي نصر الفارابي »(١).

---

(١) هو شيخُ الفلسفةِ الحكيمُ، أبو نصر، محمد بن محمد بن طَرْخَان، التركي، الفارابي، المنطقي، أحدُ الأذكياء، له تصانيف مشهورة، من ابتغى الهُدى منها ضلَّ وحارَ، نسأل اللّه العافية.

وانظر ترجمته في « السير » للذهبي (٤١٦/١٥)، « الوافي بالوفيات » للصفدي (١٠٦/١-١١٣)، « البداية والنهاية » لابن كثير (٢٢٤/١١)، وغيرها.

فإنه وضع لهم «التعاليم الصوتية»، كما أن المعلّم الأوَّل وضع لهم «التعـاليم الحرفية».

ثم وضع الفارابي الكلام في صناعة المنطق وبسطها، وشرح فلسفة أرسطو وهذّبها، وبالغ في ذلك.

وكان على طريق سَلَفِهِ مـن الكُفر باللّه، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر.

* * *

□ ما أشبه اليوم بالبارحة !!! □

وكل فيلسوف لا يكون كذلك، فليس عندهم بفيلسوف في الحقيقة؛ فـإذا رأوْهُ مؤمنًا باللّه - تعالى - وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، ومتعبدًا بشرائع الإسلام نَسَبُوه إلى الجهل والغباوة، فإن كان مِمَّن لا يشكُّون في فضلـه ومعرفتـه، نسـبوه إلى التلميس والتنميس بنـاموس الدِّيـن اسـتمالةً لقلـوب العوام[1].

---

(١) وهكذا تثبت الأيام أن أساليب الشيطان واحدةٌ لعُبَّاده في التهكم مـن أهـل الإيمان والتوحيـد وأتباع الرسل، فمـن آمـن، وسـلم، واتبـع، واهتـدى بنـور الوحـي فهـو الجـاهل - عندهـم - والمتخلف ... وأخيرًا هو المتطرف الإرهابي، وأحسن أقوالهم !- مع شيء من الأدب!- أنـه وقـع فريسة لمرض ما، أو مسه جني فأثر في عقله، أو أن ظروفه الاقتصادية دفعته إلى الانحراف عن دين آبائه وأجداده !!!

وما ذلك من قول المشركين عباد الأصنام في مكة في النبيِّ وأصحابه ببعيـد، ولا نقـول إلا بمـا أمرنا به إلهنا ومعبودنا في خبرهم: ﴿ .. **وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خَلَوْا عَضُّوا عليكم الأَنَـامِلَ من الغيظ قل موتوا بغيظم إن اللّه عليـم بـذات الصـدور ۞ إن تمسسـكم حسـنة تسـؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها وإن تصـبروا وتتقـوا لا يضركـم كيدهـم شيئـًا إن اللّـه بمـا يعملـون محيط** ﴾ [آل عمران: ١١٩، ١٢٠].

فالزندقة والإلحاد عندهم جزء مسمًّى الفضيلة أوْ شرطه ، فإنه تعالى - عندهم - كما قرره أفضل متأخريهم وقدوتهم الذي يقدمونه على الرسل «علي بن سينا» هو الوجود المطلق بشرط الإطلاق ، وليس له عندهم صفة ثبوتية تقوم به ، ولا يفعل شيئًا باختياره ألبتة ، ولا يعلم شيئًا من الموجودات أصلاً ، لا عدد الأفلاك ولا شيئًا من المغيبات ، ولا له كلام يقوم به .

* * *

□ الفلاسفة والإيمان بالله □

ومعلوم أن هذا إنما هو خيال مقدَّر في الذهن لا حقيقة له ، وإنما غايته أن يفرضه الذهن ويقدره كما يفرض الأشياء المقدرة ، وليس هو الرب الذي دعى إليه الرسل وعرفته الأمم ، بل بين هذا الرب الذي دعى إليه الملاحدة ، وبين رب العالمين وإله المرسلين من الفرق ما بين الوجود والعدم ، والنفي والإثبات ، فأي موجود فرض كان أكمل من هذا الإله الذي دعى إليه الملاحدة ، بل مَنْحُوتَ الأيدي من الأصنام له وجود في الخارج ، وهذا الرب ليس له وجود إلاَّ في الذهن ، وهذا ما عندهم من خبر الإيمان بالله تعالى .

* * *

□ الفلاسفة والإيمان بالملائكة □

وأما الإيمان بالملائكة :

فهم لا يعرفون الملائكة ولا يؤمنون بهم ؛ وإنما الملائكة عندهم ما يتصوَّره النبيُّ في نَفْسِه من أشكالٍ نورانيةٍ ، هي العقول المجردة عندهم ، وهي ليست داخل العالم ولا خارجه ، ولا فوق السموات [٩ أ] ولا تحتها ، ولا تصعد ولا تنزل ، ولا تتكلم ولا تدبِّر شيئًا ، ولا تكتب أعمال العباد ، ولا لها

إحساسٌ وحركة ألبتة ، ولا تنتقل من مكان إلى مكان ، ولا لها تصرفٌ في أمر العالم ألبتة ، فلا تقبض نَفْس العبد ، ولا تكتب رزقَه وأجلَه وعملَه ، ولا عَنِ اليمين والشمال قعيدٌ ، كلُّ هذا لا حقيقة له عندهم !!!

وربما تقرب بعضهم إلى الإسلام فقال : الملائكة هي القوى الخيِّرة التي في العبد ، والشياطين هي القوى الشريرة الرديئة فيه .

* * *

□ الفلاسفة والإيمان بالكتب □

وأما الإيمان بالكتب :

فليس للَّه تعالى - عندهم - كلامٌ أنزله إلى الأرض بواسطة الملَك ، فإنه تعالى ما قال شيئًا ولا يقول ، ولا يجوز عليه الكلام - عندهم - .

ومن تقرب منهم إلى الإسلام يقول : الكتب المنزَّلة فيضٌ فاضَ من العقل الفعَّال على النفس المستعدة الفاضلة الزكية ، فتصور النبي تلك المعاني ، وتشكلت في نفسه ، بحيث توهمها أصواتًا يخاطب بها ، وربما قوي ذلك حتى يُخيِّلها لبعض الحاضرين فيرونها ويسمعون خطابها ؛ ولا حقيقة لشيء من ذلك[1] .

---

(١) إذا كان هذا هو مذهب الفلاسفة في كلام اللَّه - عز وجل - فإن مذهب المتكلمين من الأشاعرة ، والذي أغفله المصنِّف ولم ينص عليه أن اللَّه يتكلم كلامًا نفسيًا أوحاه إلى جبريل بإشاراتٍ عبَّر عنها جبريل - عليه السلام - بالحرف والصوت ، فظهر القرآن إن تكلم بالعربية ، والتوارة إن تكلم بالعبرية ، والإنجيل إن تكلم بالسريانية ، وفي الحقيقة مذهبهم مبني على أن اللَّه لو تكلم بحرف وصوت يسمع ، فيلزم من ذلك وجود الجارحة (الفم واللسان) ، من أجل هذا شبهوه بالأبكم الذي لا يمكن أن يتكلم إلاَّ بإشارات ومعان يعبِّر بها عما في نفسه .

وأما مذهب أهل السنة : فإن اللَّه يتكلم متى شاء وكيف شاء ، وأنه يتكلم بحرفٍ وصوتٍ يُسمع ، وبكيفية تليق به سبحانه لا نعلمها نحن ، يعلمها رب العزة والجلال : ﴿ **ليس كمثله شيء** ﴾ ، وأن صفة الكلام صفة ذات وصفة فعل ، صفة ذات من حيث استحالة ضدها في حق اللَّه ، وصفة فعل من حيث تعلقها بالمشيئة .

□ الفلاسفة والإيمان بالرسل والأنبياء □

وأما الإيمان بالرسل والأنبياء :

فللنبوة عندهم ثلاث خصائص مَنْ استكملها فهو نبيٌّ عندهم :

أحدها : قوة الحدِّ [من حيث][1] يدرك الحد الأوسط بسرعة .

والثانية : قوة التخيـل والتخييـل ، بحيـث يتخيـل في نفسـه أشـكالاً نورانيـة تخاطبه ويسمع الخطاب منها ، ويخيلها إلى غيره .

والثالثة : قوة التأثير في هيولى العالـم ؛ وهذا عندهـم يكـون بتجـرد النفـس عن العلائق ، واتصالها بالمفارقات من العقول والنفوس المجردة .

* * *

(١) كذا ، والراجح : بحيث .

□ مَنِ ابن سبعين ؟! □

وهذه خصائص تحصل بالاكتساب ، ولهذا طَلَبَ النُّبوةَ مَنْ تصوَّفَ على مذهب هؤلاء كـ« ابن سبعين »[1] وأضرابه . والنبوة عندهم صَنْعَةٌ من الصنائع ، بل هي أشرف الصنائع .

---

(١) ابن سبعين هو : عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر بن محمد بن نصر بن محمد بن قطب الدين ، أبو محمد المقدسي الرقوطي ، نسبة إلى رقوطة بلدة قريبة من مرسية ، ولد سنة أربع عشرة وستمائة ، واشتغل بعلم الأوائل والفلسفة ، فتولد له من ذلك نوع من الإلحاد ، وصنَّف فيه ، وكان يعرف السيميا ، وكان يُلبس بذلك على الأغبياء والأغنياء والأمراء ، وله من المصنفات كتاب « البدو » ، وكتاب « اللهو » ، وكتاب « الإحاطة » وكتاب « ما لا بد للعارف منه » ، ورسالة « العهد » ، وغير ذلك .

يقول ابن كثير : « جاور في بعض الأوقات بغار حراء يرتجي - فيما ينقل عنه - أن يأتيه فيه وحي كما أتى النبي ﷺ بناءً على ما يعتقده من العقيدة الفاسدة من أن النبوة مكتسبة ، وأنها فيض يفيض على العقل إذا صفا ، فما حصل له إلا الخزي في الدنيا والآخرة ، إن كان مات على ذلك ، وقد كان إذا رأى الطائفين حول البيت يقول عنهم : كأنهم الحمير حول المدار ، وأنهم لو طافوا به كان أفضل من طوافهم بالبيت ، فالله يحكم فيه وفي أمثاله ، وقد نقلت عنه عظائم من الأقوال والأفعال » . اهـ .

وقال الذهبي في « العبر » : « كان من زهاد الفلاسفة ، من القائلين بوحدة الوجود ، له تصانيف وأتباع يقدمهم يوم القيامة ، توفي بمكة في شوال سنة ٦٦٩ هـ كهلاً » . اهـ .

ونقل ابن العماد في « الشذرات » قال : « قال الشيخ عبد الرءوف المناوي في « طبقاته » : درس العربية والآداب بالأندلس ، ثم انتقل إلى سبتة ، وانتحل التصوف على قاعدة زهد الفلاسفة وتصرفهم ، وعكف على مطالعة كتبه ، وجدَّ واجتهد ، وجال في بلاد المغرب ، ثم رحل إلى بلاد المشرق ، وحج حججًا كثيرة ، وشاع ذكره وذاع صيته ، وكثرت أتباعه - على رأي أهل الوحدة المطلقة - وأملى عليهم كلامًا في العرفان - على رأي الاتحادية - وصنَّف في ذلك أوضاعًا كثيرة ، وتلقوها عنه ، وبثوها في البلاد شرقًا وغربًا » . اهـ .

=

□ الفلاسفة واليوم الآخر □

وأما الإيمان باليوم الآخر :

فَهُم لا يقرُّون بانفطار السموات وانتشار[1] الكواكب ، وقيام الأبدان ، فلا مبدأ عندهم ولا معاد ، ولا صانع ولا نبوة ، ولا كتب منزلة من السماء ، ولا ملائكة تنزل من السماء .

وحسبك عجبًا من جهلهم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله أن يقولوا : إنه - تعالى - لو علم الموجودات للحقه الكلال والتعب ، ولاستكمل بغيره !!!

ومَنْ أحسن الظن بهم وسار خلفهم حَسِبَه خذلانًا وضَلالاً ، فإن هذا كلّه من تخليط « ابن سينا » وإرادته تقريب هذا المذهب من الشرائع ؛ فلا مجال

= ونقل عن ابن حبيب قوله : « صوفي ، متفلسف ، متزهد ، متعبد ، مُتقشف ، يتكلم على طريقة أصحابه ، ويدخل البيت ، لكن من غير أبوابه ، شاع أمره واشتهر ذكره ، وله تصانيف وأتباع ، وأقوال تميل إليها بعض القلوب وينكرها بعض الأسماع » .

وقال لأبي الحسن الششتري عندما لقيه ، وقد سأله عن وجهته وأخبره بقصده الشيخ أبا أحمد : « إن كنت تريد الجنة فشأنك ومن قصدت ، وإن كنت تريد رب الجنة فهلم إلينا » .

وقال ابن دقيق العيد : جلست معه من ضحوة إلى قريب الظهر ، وهو يسرد كلامًا تعقل مفرداته ولا تفهم مركباته ، والله أعلم بسريرة حاله .

وقال الشيخ عبد الرحيم القناوي : « اشتهر عنه مقالة رَديَّة ، وهي قوله : لقد كذب ابن أبي كبشة - يعني به الرسول ﷺ - على نفسه حيث قال : لا نبي بعدي » .

وانظر ترجمته في « لسان الميزان » (٣٩٢/٣) ، « عنوان الدراية » (ص٢٣٧) ، « البداية والنهاية » (٢٧٥/١٣) ، « العبر » (٣٢٠/٣) ، « طبقات الأولياء » لابن الملقن (ص ٤٤٢) ، « هدية العارفين » (٥٣/١) ، « فوات الوفيات » (٢٤٧/١، ٢٤٨) ، « نفح الطيب » (١٨٨-٢١٢) ، « شذرات الذهب » (٣٢٩/٥، ٣٣٠) ، « مرآة الجنان » (١٧١/٤) ، « كشف الظنون » (٦٦٢) ، « مقدمة رسائل ابن سبعين » لعبد الرحمن بدوي ، « طبقات الشعراني » (٢٣٨/١) ، « درة الأسلاك » لابن حبيب .

(١) كذا بالمخطوط ، والصواب انتثار لقوله تعالى : ﴿ **وإذا الكواكب انتثرت** ﴾ [الانفطار : ٢].

لذلك ؛ لأن المعلّم الأول لم يُثبت للعالم صانِعًا ألبتة ؛ بل هو معطّل مشركٌ جاحِدٌ للنبوة والمعاد ، لا مبدأ عنده ، ولا معاد ، ولا رسل ، ولا كتاب .

[٩ ب] **والرازيُّ**[1] وفُروخُه لا يعرفون من مذاهب الفلاسفة غير طريقتهم ومذاهبهم ، وآراؤُهُم كثيرةٌ جدًّا ، وهم لا يختصُّون بأمة من الأمم ؛ بل هم موجودون في سائر الأمم ، وإن كان المعروف عند الناس الذين اعتنوْا بحكاية مقالاتهم هم فلاسفة اليونان ، وليس كذلك ، بل هم طائفة من طوائف الفلاسفة ، وأمة من الأمم ، لهم مملكة وملوك ، وعلماؤهم فلاسفتُهم .

---

(١) والرازي هو : الإمام الكبير ، الفخر ، صاحب التصانيف ، المتكلم ، الفيلسوف ، محمد بن عمر بن الحسين بن علي القرشي ، التيمي ، البكري ، أبو المعالي ، المعروف بـ « ابن خطيب الري » أو « الفخر الرازي » صاحب كتاب « أساس التقديس » ، وكتاب « المطالب العالية من العلم الإلهي » ، وكتاب « محصل أفكار المتقدمين » ، وكتاب « الأربعين في أصول الدين » ، وغيرها .

هذا ، وقد أعلن الفخر الرازي توبته عن علم الكلام والفلسفة قبل موته ، فهو القائل : « من لزم مذهب العجائز كان هو الفائز » .

وقال : وأرواحُنا في وحشةٍ من جسومنا وحاصل دنيانا أذًى ووبال

ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى أن جمعنا فيه قيلَ وقالوا

ثم قال : « لقد اختبرت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية ، فلم أجدها تروي غليلاً ، ولا تشفي عليلاً ، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن ، اقرأ في الإثبات : ﴿ **الرحمن على العرش استوى** ﴾ ، ﴿ **إليه يصعد الكلم الطيب** ﴾ . وفي النفي : ﴿ **ليس كمثله شيء** ﴾ ، ﴿ **هل تعلم له سميًّا** ﴾ » .

ومِنْ ملوكهم :

□ الإسكندر المقدوني[١] □

وهو ابن فيلبوس ، وهذا ليس بالإسكندر ذي القرنين الذي قصَّ اللَّه – تعالى – نبأه في القرآن ، بل بينهما قرونٌ كثيرة ، وأعظمُ تباين في الدين ؛ فذو القرنين كان رجلاً صالحًا موحِّدًا ، وأما هذا المقدوني فكان مشركًا يعبد الأصنام ، وكان بينه وبين المسيح نحو ألف وستمائة سنة ، وهو الذي غزا دَارًا ابن دَارًا ملك الفرس ، وعَقَرَ[٢] دَارَهُ ، وثَلَّ[٣] عرشه ، ومزَّق ملكه ، وفرَّق جَمْعَهُ ، ثم دخل الصين والهند وبلاد الترك ، فقتل وسبى ، وكان لليونانيين في دولته عِزٌّ وسطوة بسبب أرسطو ؛ فإنه كان وزيره ، ومبشره ، ومدبر مملكته ، وبعده كان لليونانيين عدة ملوك يعرفون بالبطالمة ، ثم غلبهم الروم واستولوا على ممالكهم ، وانقرض ملكهم ، فصارت مملكتهم للروم ، وكانوا رعيَّةً لهم ، وهم على شركهم من عبادة الأصنام ، وهو دينهم الظاهر ودين آبائهم الذين نشأ فيهم « سقراط » أحدُ تلامذة « فيثاغورس » ، وكان من عُبَّادهم ومتألهيهم ،

---

(١) هو : ابن فيلبوس الملك ، كان مولده في السنة الثالثة عشرة من ملك دارا الأكبر ، سلمه أبوه إلى أرسطو طاليس الحكيم ، المقيم بمدينة إينياس ، فأقام عنده خمس سنين يتعلم منه الحكمة والأدب حتى بلغ أحسن المبالغ ، ونال من الفلسفة ما لم ينله سائر تلامذه ، فاسترده والده حين استشعر عِلَّة من نفسه خاف منها ، فلما وصل إليه جدد العهد له ، وأقبل عليه ، واستولت عليه العلة فتوفي ، واستقل الإسكندر بأعباء الملك . انظر : « الملل » للشهرستاني ص ١٨٧ .

(٢) عُقْر الدار : أصله وموضعه ، ثم اتُّسع في العَقْر حتى استعمل في القتل والهلاك ، فيكون المعنى أنه استولى على البلاد وقتل من فيها .

(٣) ثَلَّ عرشه : ثل بمعنى هدم وكسر ، والعرش له معنيان ، أحدهما : السرير مفرد أسِرَّة ، فإذا هُدِم عرش المَلِك فقد ذهب عِزُّه . والثاني : البيت يُنصب بالعيدان ويُظلل ، فإذا هدم فقد ذل صاحبه . (النهاية ١/٢٢٠) .

وجَاهَرَهُم بمخالفتهم في عبادة الأصنام ، وقابل رؤساءهم بالأدلة والحجج على بطلان عبادتها ، فثار عليه العامة ، واضطروا الملك إلى قتله ، فأودعه السجن ليكفهم عنه ، ولم يرض المشركون إلا بقتله ، فسقاه السم خوفًا من شرهم بعد مناظرات طويلة جرت له معهم .

وكذلك « أفلاطون » كان معروفًا بالتوحيد ، وإنكار عبادة الأصنام ، وإثبات حدوث العالم ، وكان تلميذ « سقراط » ، ولما هلك قام مقامه وجلس على كرسيِّه ، ولكن لم يواجه قومه بالردِّ عليهم ، فسكتوا عنه ، وكانوا يَعْرِفون عِلْمَهُ وفضله .

وصرَّح « أفلاطون » بحدوث العالم كما كان عليه الأساطين ، حكى ذلك تلميذه « أرسطو » ، فخالفَهُ فيه ، وزعم أنه قديم ، وتَبِعَهُ على ذلك ملاحدةُ [١٠ أ] الفلاسفة من المتسبين إلى الملل حتى انتهت النوبة إلى « علي بن سينا » ، فرام بجهده تقريب هذا الرأي من قول أهل الملل ، وهيهات اتفاق النقيضين واجتماع الضدين .

فرسُلُ اللَّهِ وأتباعهم في طرف وهؤلاء في طرف ؛ فملاحدتهم أهل التعطيل المحض ؛ فإنهم عطلوا الشرائع ، وعطلوا المصنوع عن الصانع[1] ، وعطلوا الصانع عن صفات كماله .

* * *

□ سنة اللَّه في خلقه إذا أعرضوا عن الوحي □

ثم سرى هذا الداء منهم في الأمم ، فكان إمام المعطلين « فرعون » ؛ فإنه أخرج إله التعطيل إلى العمل وصرَّح به ودعى إليه ، وأنكر أن يكون لقومه إله

---

(١) في النفس من هذا المصطلح شيء كثير ، فليس هو اسمًا من أسمائه ، ولا صفة من صفاته سبحانه ، والأولى أن يُقال : الخالق بدل الصانع ، واللَّه أعلم .

غيره ، ومشى قومُه وأصحابه على ذلك حتى أهلكهم اللّه - تعالى - بالغَرَق ، وجعله عبرةً لعباده المؤمنين ونكالاً لأعدائه المعطلين .

* * *

□ أُمَّةُ اليهود □

ثم استمر الأمر في عهد نبوة «موسى عليه السلام» على التوحيد وإثبات الصفات الكمالية للّه تعالى ، إلى أن تُوفي «موسى عليه السلام» ، ودخل الداخل على بني إسرائيل ، ورفع التعطيل رأسه بينهم ، وأقبلوا على علوم المعطلة أعداء «موسى عليه السلام» ، وقدَّموها على نصوص التوراة ؛ فسلَّط اللّه عليهم من أزال ملكهم وشرَّدهم من أوطانهم ، وسبى ذراريهم كما هي عادته - تعالى - وسنته في عباده ، إذا أعرضوا عن الوحي ، وتعوَّضوا عنه بكلام الملاحدة المعطلة من الفلاسفة وغيرهم .

والحاصل أن هذا الداء لما دخل في بني إسرائيل ، كان سبب دمارهم وزوال ملكهم .

* * *

□ أمة النصارى □

ثم بعث اللّه عبده ورسوله «المسيح ابن مريم» ، فجدَّد لهم الدِّين ، وبيَّن لهم معالمه ، ودعاهم إلى عبادة اللّه - تعالى - وحده لا شريك له ، وإلى التبري من تلك الأحداث والآراء الباطلة ، فعادوه وكذَّبوه وراموا قتله ، فطهره اللّه - تعالى - منهم ورَفَعَهُ إليه ، ولم يصلوا إليه بسوء ، وأقام له أنصارًا دَعَوْا إلى دينه وشريعته حتى ظهر دينُه على ما خالفه ، ودخل فيه الملوك ، وانتشرت دعوته ، واستقام الأمر على السداد بعده نحو ثلثمائة سنة ، ثم أخذ دينه في

التبدل والتغيير حتى تناسخ واضمحل، ولم يبق في أيدي النصارى منه شيءٌ، بل ركَّبوا دينًا بين دين المسيح ودين الفلاسفة عُبَّاد الأصنام، وراموا بذلك أن يتلطفوا للأمم حتى يدخلوا في دين النصرانية، فنقلوهم من عبادة الأصنام المجسَّدة إلى الصُّوَر التي لا ظلَّ لها، ونقلوهم من السجود للشمس إلى السجود إلى جهة المشرق، ومع ذلك فيهم بقايا من دين المسيح كالختان، والاغتسال من الجنابة، وتعظيم الميت، وتحريم الخنزير، وتحريم ما حرَّمته التوراة إلاَّ ما أحلَّ لهم الإنجيل بنصِّها.

ثم تناسخ شرعه حتى استحلوا الخنزير وأحلُّوا السبت، وعوَّضوا عنه يوم الأحد، وتركوا الختان والاغتسال من الجنابة، وكان المسيح يُصلي إلى بيت المقدس، وهم صلُّوا إلى المشرق، ولم يعرف المسيح الصليب [١٠ ب] قط، وهم عظَّموا الصليب وعبدوه، ولم يصم المسيح صومَهم هذا أبدًا، ولم يشرعه لهم، ولم يأمر به ألبتة؛ بل هم وضعوه على هذا العَدَدِ، ونقلوه إلى زمن الربيع، وجعلوا ما زادوا فيه من العدد عِوَضًا عن نقله من الشهور الهلالية إلى الشهور الرومية.

وكان المسيح في غاية الطهارة ونهاية النظافة، وأبعد الخلق عن النجاسة وهم تعبَّدُوا بالنجاسات، وقصدوا بذلك تغيير دين اليهود ومراغمتهم، فغيروا دين المسيح وتقربوا إلى الفلاسفة وعبَّاد الأصنام، بأن وافقوهم في بعض الأمور ليرضوهم به، واستنصروا بذلك على اليهود.

ولما أخذ دين المسيح في الفساد والزوال اجتمع النصارى عدة مجامع تزيد على ثمانين مَجْمَعًا، وما تفرقوا في كلٍّ منها إلاَّ على الاختلاف والتلاعن، يلعن بعضُهم بعضًا، حتى قال فيهم بعض العقلاء:

«لو اجتمع عشرة من النصارى وتكلموا في حقيقة ما هم عليه؛ لتفرقوا عن أحد عشر مذهبًا».

فهذا حال المتقدمين منهم مع قُرب زمانهم بأيام نبيهم، ووجود أخبارٍ فيهم، والدولة دولتهم، والكلمة كلمتهم، وعلماؤهم إذ ذاك أوفر ما كانوا، وهم مع ذلك حيارى تائهون، ضالون مُضلون، لم يثبت لهم قدم، ولم يستقر لهم قول في إلههم؛ بل كلٌّ منهم اتخذ إلهه هواه، وتفرقت منهم في نبيهم وإلههم أقاويل وهم كما قال اللَّه تعالى: ﴿**قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرًا وضلوا عن سواء السبيل**﴾ [المائدة: ٧٧].

فلو سألتَ أَهْلَ بيت منهم عن دينهم ومعتقدهم في ربِّهم ونبيهم؛ لأجابك الرجلُ بجواب، وامرأته بجواب، وابنه بجواب، والخادم بجواب، فما ظنك في عصرنا هذا؟!

* * *

□ أمة محمد ﷺ □

وكذلك المسلمون كانوا عند وفاة النبي ﷺ على عقيدة واحدة، وطريقة واحدة إلاَّ مَنْ كان يُبطن النفاق ويُظهر الوفاق، ثم نشأ الخلاف فيما بينهم في أمور اجتهادية لا توجب كُفرًا ولا إيمانًا، وكان غرضهم من ذلك إقامة مراسم الدِّين، وإدامة مناهج الشرع القويم، وكان هذا الخلاف يتدرج، ويترقَّى شيئًا فشيئًا إلى آخر أيام الصحابة.

ثم ظهر «معبدٌ الجهني»[(١)] ....

(١) هو: معبد بن عبد اللَّه بن عُكيم الجهني، نزيل البصرة، وأول من تكلم في القدر في زمن الصحابة - رضي اللَّه عنهم.

قال الأوزاعي - وهو عالم الشام -: أول من نطق في القدر سوسن بالعراق، كان نصرانيًّا فأسلم ثم تنصَّر، فأخذ عنه معبدٌ، وأخذ غيلان القدريُّ عن معبد.

وقال الحسن البصري: إياكم ومعبد الجهني؛ فإنه ضال مضل.

وقال الذهبي: كان من علماء الوقت على بدعته، هلك قبل التسعين.

و« غيلان الدمشقي »[١] و« يونس الأسواري »[٢] ، وخالفوا في القـدر ، وإسناد جميع الأشياء إلى تقدير اللّه تعالى ، ولـم يـزل هـذا الخلاف يتشعَّب ، والآراء تتفرق حتى تَفَرَّقَ أهل الإسلام إلى ثلاث وسبعين فرقة [١١ أ] ، كما رُوي أنه – عليه الصلاة والسلام – قال : « **ستفترق أمتي إلى ثـلاث وسبعين فرقة ، كلهم في النار إلاَّ واحدة ؛ وهي ما أنا عليه وأصحابي** »[٣] .

وروي عن أبي مسلم الخولاني[٤] أنه – عليه الصلاة والسلام – قال : « **إن اللّه – تعالى – خلق الخلق حين خلقهم أربعة أصناف : الملائكة ، والشياطين ، والجن ، والإنس ، ثم جعل الإنس مائة وخمسة وعشرين جزءًا، فجعل مائة واثنى عشر جزءًا منهم في بلاد الهند ، وكلهم كفار ، ومصيرهم إلى النار ، وجعل ستة أجزاء منهم في المشرق وكلهم كفار ، ومصيرهم إلى النار ، وجعل ستة أجزاء منهم في المغرب ، وكلهم كفار ،**

---

(١) قال الذهبي في « الميزان » (٣/٣٣٨) : « غيلان بن أبي غيلان المقتول في القدر ، ضال مسكين .. وكان من بلغاء الكتّاب » .

(٢) سيأتي الكلام على معتقده (ص ١٢٠) .

(٣) **حديث صحيح** ، وقد رواه جمعٌ من الصحابة – رضي اللّه عنهم – بألفاظ متقاربة منهم ؛ أبو هريرة ، ومعاوية بن أبي سفيان ، وعبد اللّه بن عمرو بن العاص ، وأنس ، وعوف بن مالك بأسانيد جياد .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في « المسائل » : « هو حديث صحيح مشهور » .

وانظر « الصحيحة » لشيخنا العلامة الألباني (٢٠٣، ٢٠٤) ، حيث نقل هناك بحوثًا هامة ، ونقولاً جيدة لأهل العلم في أسانيد هذا الحديث ومعاني متونه .

(٤) أبو مسلم الخولاني واسمه : عبد اللّه بن ثُوَب ، سيِّد التابعين وزاهد عصره ، أسلم في حياة النبي ﷺ ولم يره ، طلبه ذاك المتنبئ الضال الأسود العنسي ليحرقه بالنار فلم تضرَّه ، فأمره بالرحيل عن اليمن ، فقدم إلى المدينة فلازم أبا بكر وعمر وروى عنهما .

وهذا الحديث مرسل ، وهو غريب جدًا ، لم أعثر عليه في شيء من كتب السنة .

ومصيرهم إلى النار ، وبقي أهل التوحيد جزءًا واحدًا ، ثم إنهم تفرقوا وصاروا ثلاثًا وسبعين فرقة ، منهم اثنان وسبعين فرقة أهل البدعة والضلال ، ومصيرهم إلى النار إلاَّ أن يشاء اللَّه – تعالى – أن يخرجهم من النار إنْ لم تؤدِّ بدعتهم وضلالهم إلى الكفر ، وجزء واحد أهل السنة والجماعة ، ثم منهم مَنْ هو ظالم لنفسه ، ومنهم من هو مقتصد ، ومنهم من هو سابق بالخيرات ».

إذا عرفت هذا ، فاعلم أن كبار الفرق الإسلامية على ما ذُكر في الكتب الكلامية ثمانية[1] :

□ الفِرْقَةُ الأُولى □

الشيعَةُ

وهم الذين شايعوا عليًّا ؛ أي شرَّفوه كتشريف النصارى عيسى – عليه السلام – وقالوا : إنه الإمام بعد رسول اللَّه بالنص إما جليًّا ، وإما خفيًّا ، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج عنه وعن أولاده ؛ وإن خَرَجَتْ فإما بظُلمٍ يكون من غيره أو تَقِيَّةٍ منه .

ومن أولادهم اثنان وعشرون فرقة يكفِّر بعضهم بعضًا ، ويلعن بعضُهم بعضًا .

وأصولُهُم ثلاث فرق :

١- غُلاةٌ .

٢- زيدية .

٣- إماميةٌ .

---

(١) لم يذكر المؤلف إلا سبع فرق .

أما الغُلاَةُ :

فثمانية عشر فرقة[1] منها :

١- السَّبَائِية :

وهم أصحاب « عبد اللّه بن سبأ »[2] ، وهو قال لعليٍّ : أنت الإله حقًّا ، فنفاه عليٌّ إلى المدائن .

وهو أول من أظهر القول بوجوب إمامة علي ، وقال : إنه لم يمت ، وإنما قَتَلَ « ابنُ ملجم »[3] شيطانًا تصوَّر بصورته ، وأنه في السحاب الآن ، والرعدُ

---

(١) وهذا العدد موافق لتقسيم وتعداد الشاطبي رحمه اللّه في « الاعتصام » (٢/٢١٩) ، وقد قسمهم الأشعري في « مقالات الإسلاميين » (١/٦٥) إلى خمس عشرة فرقة .

(٢) هو ذلك اليهودي الخبيث ، الذي أظهر الإسلام ، وأبطن الكفر ، سيِّدٌ من سادات تأجيج النيران وإشعال الفتن .

قال ابن كثير في « البداية والنهاية » (٧/١٧٤، ١٧٥) :

« ... صار إلى مصر ، فأوحى إلى طائفة من الناس كلامًا اخترعه من عند نفسه ، مضمونه أنه يقول للرجل : أليس قد ثبت أن عيسى ابن مريم سيعود إلى هذه الدنيا ؟ فيقول الرجل : بلى ، فيقول له : فرسول اللّه أفضل منه ، فما تنكر أن يعود إلى هذه الدنيا ، وهو أشرف من عيسى ابن مريم - عليه السلام -؟ ثم يقول : وقد أوصى إلى علي بن أبي طالب ، محمد خاتم الأنبياء ، وعلي خاتم الأوصياء ، ثم يقول : فهو أحق بالإمرة من عثمان ، وعثمان معتد في ولايته ما ليس له .. » إلى آخر أقواله التي ختمت بمقتل عثمان وتأليه عليٍّ - رضي اللّه عنهما - ولعنة اللّه على اليهود » .

ثم يقول ابن كثير (٧/٢٥١) : « والسابئة أصحاب ابن السوداء - قبحه اللّه - لا يَفْتُرُون عن القتل » .

(٣) هو عبد الرحمن بن عمرو المعروف بابن ملجم الحميري ثم الكندي ، حليف بني حنيفة ، من كندة المصري ، وكان أسمر حسن الوجه ، خفيف شعر الذقن مع شحمة أذنيه ، وفي وجهه أثر السجود . =

صوتُه ، والبرقُ سَوْطُهُ ، وبعد هذا ينزل إلى الأرض ، ويملؤها عَدْلاً ، ومنه تشعَّبت أصناف الغلاة ، وهم يقولون عند سماع الرعد : «عليك السلام يا أمير المؤمنين» .

ومنها :

٢- الكاملية :

وهم أصحاب «أبي كامل» ، وهو قال : «كَفَرَ الصحابةُ بترك بيعة عليٍّ ، وكَفَرَ عليٌّ بترك طلب الحق» ، وقال بالتناسخ في الأرواح عند الموت [١١ ب] ، وقال : «إن الإمامة نورٌ ينتقل من شخصٍ إلى آخر ، وقد يكون في شخصٍ نبوة بعد ما كان من شخص آخر إمامة» .

= تمالأ هو والبرك بن عبد الله التميمي ، وعمرو بن بكر التميمي على قتل علي ، ومعاوية ، وعمرو بن العاص بسبب قتل علي لإخوانهم يوم النهروان .

واتفقوا وتواعدوا على أن يكون القتل في السابع عشر من شهر رمضان ، أما ابن ملجم فقد تعهد بعلي ، وأما البرك فقد تعهد بمعاوية ، وأما عمرو فقد تعهد بعمرو بن العاص ، فسار ابن ملجم إلى الكوفة ، حيث علي بن أبي طالب - رضي الله عنه .

وهناك تعرف على امرأة فائقة الجمال ، سلبت عقله ، فتزوجها بعد أن اشترطت عليه شروطًا ، منها (أن يقتل عليًّا) ، فقال : ما جئت إلا لهذا ، وقد وفى الخبيث الغبي بما عاهد عليه الخبثاء يوم السابع عشر من رمضان ، فقتل عليًّا ، وهو خارج إلى صلاة الغداة عند السدة التي كان يخرج منها علي إلى الصلاة عادةً .

ومات عليٌّ بعد الطعن على قرنه بيومين ، وكان حمل إليه ابن ملجم موثقًا يتلو قوله تعالى : ﴿ ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤوف بالعباد ﴾ ، فقال علي : يا عدو الله ؛ لا أراك إلا من شر خلق الله ، ثم قال : إذا أنا مت فاقتلوه ، وإن عشت فأنا أعلم كيف أصنع به - وفي رواية -: فالجروح قصاص .

وانظر قصته بتوسع في «البداية والنهاية» (٣٣٨/٧- ٣٤٣) .

ومنها :

٣- البيانية :

وهم أصحاب « بيان بن سمعان »[١] ، وهـؤلاء يقولـون : إن اللّـه - تعـالى - علي صورة الإنسان ، ويَهْلَك كلّه إلا وجهه ، وروح اللّه - تعـالى - حلّـت في عليّ ، ثم في ابنه أبي هاشم ، ثم في بيان ، ومنها :

٤- المغيريَّة :

وهم أصحاب « مغيرة بن سعيد »[٢] ، وهو قال : إن اللّـه - تعـالى - جِسْمٌ على صورة الإنسان ، بل رجل من نور ، على رأسه تاج من نور ، وقلبـه منبع

---

(١) وكان بيان بن سمعان يزعم أنه يدعو الزُّهْرةَ فتجيبه ، وأنه يفعل ذلك بالاسم الأعظـم ، فقتلـه خالد بن عبد اللّه القسري ، وكان كثير من البيانية يثبت لبيان النبوة ، كما يزعمون أن أبـا هاشـم عبد اللّه بن محمد بن الحنفية نصَّ على إمامة بيان بن سمعان ، ونصَّبَه إمامًا . وانظر : « الملـل » ص٦٥، و« الفرق بين الفرق » (٢٨، ١٣٨، ١٤٥) ، و« مقالات الإسلاميين » (١/٦٦، ٩٧) ، وغيرها .

(٢) هو : المغيرة بن سعيد العجلي ، كان مولًى لخالد بن عبد اللّه القسري ، ادعى أن الإمامة بعـد محمد بن علي بن الحسين في محمد النفس الزكية بن عبد اللّه بن الحسن ، الخـارج بالمدينـة ، وزعـم أنه حي لـم يمت .

ثم ادعى الإمامة لنفسه بعد الإمام محمد ، وبعد ذلك ادعى النبوة ، واستحل المحـارم ، وغـلا في حق علي غلوًا لا يقبله عاقل .

ولما قتل اختلف أصحابه ؛ فمنهم من قال : بانتظار رجعته ، ومنهم مـن قـال : بانتظـار إمامـة محمد كما كان يقول هؤ بانتظاره .

وقد قال المغيرة بإمامة أبي جعفر محمد بن علـي - رضـي اللّـه عنهمـا - ثـم غـلا فيـه ، وقـال بألوهيته ، فتبرأ منه الباقر ولعنـه ، وقـد قـال المغـيرة لأصحابـه : انتظـروه ، فإنـه يرجـع ، وجـبريل وميكائيل يبايعانه بين الركن والمقام ، وزعم أنه يحي الموتى !! اهـ كـلام الشهرستاني في « الملـل » (ص ٧٥، ٧٦) .

وانظر « مقـالات الإســلاميين » (١/٦٩) ، « الفـرق بـين الفـرق » (٣٦، ١٣٨، ١٤٦) ، « التبصير » (٧٠- ٧٣) ، « الفصل » لابن حزم (٢/١١٤) .

الحكمة، فإنه لما أراد أن يخلق الخلق تكلم بالاسم الأعظم، فطار فوقع تاجًا على رأسه، وذلك قوله تعالى: ﴿**سبح اسم ربك الأعلى * الذى خلق فسوى**﴾ [الأعلى: ١، ٢].

ثم كتب على كفّه أعمال العباد، فغضب من المعاصي، فَعَرِقَ، فحصل من عَرَقِهِ بحران؛ أحدهما ملح مظلم، والآخر حُلوٌ نيِّر، ثم اطلع في البحر النيِّر، فأبصر فيه ظِلَّهُ، فأنزع بعضًا من ظلّه، فخلق منه الشمس والقمر، وأفنى الباقي من الظل نفيًا للشريك، وقال: لا ينبغي أن يكون معه إله آخر، ثم خلق الخلق من البحرين، الكفار من المظلم، وأهل الإسلام من النير، ثم أرسل محمدًا والناسُ في ضلال، وعَرَضَ الأمانة (التي هي منع عليٍّ من الإمامة) على السموات والأرض والجبال، فأَبَيْنَ أن يحملنها وأشفقن منها، وحملها الإنسان (وهو أبو بكر) حملها بأمر عُمر، حين ضَمِنَ أن يُعينه على ذلك بشرط أن يجعل الخلافة بعده له، وقال: قوله تعالى: ﴿**كمثل الشيطان إذ قال للإنسان أكفر**﴾ الآية [الحشر: ١٦] نزلت في حق أبي بكر.

وهؤلاء يقولون: الإمام المنتظر هو: زكريا بن محمد بن علي بن الحسين بن علي، وهو حيٌّ مقيم في جبل حاجز إلى أن يؤمَر بالخروج. ومنها:

٥- الجَنَاحِيَّة[١]:

وهم أصحاب «عبد اللَّه بن الجعفر ذي الجناحين»، وهؤلاء يقولون: الأرواح تتناسخ، فكان روح اللَّه في آدم، ثم في شيث، ثم في الأنبياء، ثم في

---

(١) نسبة إلى جناح الطائر، ونسبة إلى جعفر الطيار جد صاحب هذه الفرقة، وهو: عبد اللَّه بن معاوية بن عبد اللَّه بن جعفر بن أبي طالب ذو الجناحين.

وكان عبد اللَّه هذا يزعم أن العلم ينبت في قلبه كما تنبت الكمأة والعشب، كما زعم أنه رب، وأنه نبي حتى عبده شيعته، فقتله أبو مسلم الخراساني.

وانظر: «مقالات الإسلاميين» (٦٧/١)، «اعتقادات فرق المسلمين» للرازي (٥٩)، «التبصير» (٧٣)، «الفرق بين الفرق» (ص ١٥٠).

الأئمة ، حتى انتهت إلى عليٍّ وأولاده الثلاثة ، ثم إلى عبد الله هذا ، وهو حيٌّ مقيم بجبل أصفهان ، وسيخرج ، وهؤلاء أنكروا القيامة ، واستحلوا المحرمات من الخمر [١٢ أ] والميتة والزنا وغيرها . ومنها :

٦- المنصورية :

وهم أصحاب « أبي منصور العجلي »[(١)] ، وهو عزا نفسه إلى أبي جعفر محمد الباقر ، فلما تبرأ منه وطردَه ادعى (الإمامَة)[(٢)] لنفسه .

وهؤلاء يقولون :

١- الإمامة صارت « لمحمد بن علي بن الحسين » ، ثم انتقلت عنه إلى « أبي منصور » .

٢- ويزعمون أن « أبا منصور » عَرَجَ إلى السماء ، ومسح اللَّهُ على رأسِه بيده ، وقال له : « يا بني ، اذهب فبلِّغ عني » ، ثم أنزله إلى الأرض ، وهو الكِسْفُ المذكور في قوله تعالى : ﴿ **وإنْ يَرَوْا كِسْفًا من السماء ساقطًا يقولوا سحاب مركوم** ﴾ [الطور : ٤٤] .

٣- ويقولون : الرسالة لا تنقطع أبدًا .

٤- والجنة رَجُلٌ أُمِرْنا بموالاته وهو الإمام ، والنار رجلٌ أُمرنا بمعاداته وهو ضد الإمام وخصمه كأبي بكر وعمر .

---

(١) ومما أبدعه العجلي أيضًا أنه قال : إن أول ما خلق الله - تعالى - عيسى ابن مريم - عليه السلام- ثم علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - واستحل أصحابه قتل مخالفيهم وأخذ أموالهم ، واستحلال نسائهم ... إلخ . من « الملل » للشهرستاني (ص ٧٦) ، و« مقالات الإسلاميين » (١/٧٤، ٧٥) ، وأبو منصور هذا رجل من عبد القيس ، كان يسكن الكوفة ، وله بها دار ، وكان أميًّا لا يقرأ ، ونشأ بالبادية ، ثم ادعى النبوة والرسالة ، وأن جبريل يأتيه بالوحي من عند الله - عز وجل - وزعم أن الله أرسل محمدًا بالتنزيل ، وأرسله هو بالتأويل ، فأخذه يوسف بن عمر الثقفي أبو يعقوب ابن عم الحجاج بن يوسف الثقفي - بعد أن اطلع على فضائحه وعوراته - فصلبه وقتله .

(٢) في الأصل : الأمانة ، والصواب ما أثبتناه بالميم .

٥- وكذا الفرائض والمحرمات ؛ فإن الفرائض أسماء رجالٍ أمرنا بموالاتهم ، والمحرمات أسماء رجالٍ أُمرنا بمعاداتهم .

ومقصودهم بذلك أن من ظفر برجل منهم ، فقد ارتفع التكليف والخطاب لوصوله إلى الجنة . ومنها :

٧- الخَطَّابية :

وهم أصحاب « أبي الخطاب الأسدي »[١] ، وهو عزا نفسه إلى « أبي عبد اللّه جعفر الصادق » ، فلما عَلِمَ منه غُلُوَّه في حقّه تبرأ منه ، فلما اعتزل عنه ادعى الأمر لنفسه .

وهؤلاء يقولون :

١- الأئمة أنبياء .

٢- وأبو الخطاب نبي .

٣- ويزعمون أن الأنبياء فَرَضُوا على الناس طاعة أبي الخطاب .

٤- بل يزيدون على ذلك ويقولون : الأئمة آلهة .

٥- والحسنات أبناء اللّه تعالى .

٦- وجعفر الصادق إله ، ولكن أبا الخطاب أفضل منه ومِنْ عليٍّ .

٧- ويستحلون شهادة الزور لموافقيهم على مخالفيهم .

٨- والإمام بعد قتل أبي الخطاب « مَعْمَرٌ » ، ذهب إلى ذلك جماعة منهم ، فعبدوا معمرًا كما كانوا يعبدون أبا الخطاب .

---

(١) واسمه : محمد بن أبي زينب الأجدع ، مولى بني أسد ، أبو الظبيان ، وقيل : أبو إسماعيل .

وانظر : « الملل » للشهرستاني (ص ٧٦، ٧٧) ، « دائرة المعارف » للبستاني (٤٨٣/١) ، « خطط المقريزي » (٣٥٢/٢) ، « التبصير » للإسفراييني (ص ٧٣) ، « اعتقادات فرق المسلمين » (٥٨) ، « الفرق بين الفرق » (ص ١٥٠) ، وقتله عيسى بن موسى والي الكوفة من قبل العباسيين في عام ١٤٣ هـ .

٩- وقالوا : الجَنَّة نعيمُ الدنيا ، والنار آلامُها .

١٠- والدنيا لا تفنى .

١١- واستباحوا المحرمات وتَرْك الفرائض .

١٢- وقيل الإمام بعد قَتْلِه : ((بزيغ)) ، ذهب إلى ذلك طائفة أخرى منهم .

١٣- وقالوا : إن كلَّ مؤمن يوحَى إليه متمسكين بقوله تعالى : ﴿ **وما كان لِنَفْسٍ أن تموت إلاَّ بإذن اللَّه** ﴾ [آل عمران : ١٤٥] ؛ أي يُوحي اللَّه - تعالى - إليه .

١٤- وزعموا أن في أصحاب بزيغ من هو خيرٌ من جبرائيل ، وميكائيل ، وهم لا يموتون [١٢ ب] أبدًا ؛ بل إذا بلغوا النهاية يُرفعون إلى الملكوت ، ومنها :

٨- الغُرَابيـــة :

لُقِّبوا بذلك ؛ لأنهم قالوا : كان محمدٌ أشبه بعليٍّ من الغراب بالغراب ومن الذُّباب بالذُّبَاب[1] ، فبعث اللَّه جبريل إلى عليٍّ ، فغلط جبريل في تبليغ الرسالة من عليٍّ إلى محمد ، فيلعنون صاحب الرِّيش يعنون به جبرائيل ، ومنها :

٩- الذَّمِّيَّـــةُ :

لقبوا بذلك ؛ لأنهم ذمُّوا محمدًا ؛ لأن عليًّا هو الإله ، وقد بعثه ليدعو الناس إليه فدعاهم إلى نفسه .

* وقال طائفة منهم بإلهيتهما ، ولهم في التقديم خلافٌ ، فبعضهم يقدم عليًّا في أحكام إلهية ، وبعضهم يقدم محمدًا .

---

(١) الذُّبابُ : النَّحْلُ ، وهو أحد المعاني في كلام العرب ، كما جاء في اللسان مادة ذبب .

وهو تشبيه سخيف ، وما قبله أسخف منه ، حيث إن العرب لا تضرب المثل بالغراب إلا لقبحه ، قبحهم اللَّه تعالى وأخزاهم يوم القيامة .

* وقال بعضهم بإلهية خمسة أشخاص[1] ، يسمونهم : «أصحاب العباء» هما[2] وفاطمة والحَسَنَان ، وهؤلاء يزعمون أن هذه الخمسة شيء واحدٌ ، وأن الرُّوحَ حالَّةٌ فيهم بالسَّوِيَّة ؛ لا مزية لواحدٍ منهم على آخر ، ولا يقولون : «فاطمة» تحاشيًا عن وَصْمَةِ التأنيث . ومنها :

١٠- الهِشَامِيَّة :

وهم أصحاب «الهشام بن الحكم»[3] و«ابن سالم الجواليقي»[4] ، وهؤلاء قالوا : إن اللَّه - تعالى - جَسَدٌ ، واتفقوا على ذلك ، ثم اختلفوا .

---

(١) هذه الفرقة تسمى «الشريعية» نسبة إلى «الشريعي» ، وانظر في ذلك : «الفرق بين الفرق» (ص ١٥٣- ١٥٥) ، و«مقالات الإسلاميين» (١/٨٣- ٨٤) .

وهذه الأشخاص الخمسة - عند الشريعي - التي حلَّ فيها الإله لها خمسة أضداد هم : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، ومعاوية ، وعمرو بن العاص .

وافترقوا في الأضداد على مقالتين : فزعم بعضهم أن الأضداد محمودة ؛ لأنه لا يُعرفُ فضل الأشخاص الخمسة إلا بأضدادها ، كما يقول الشاعر :

والوجه مثل الصبح مبيض ... والشَّعر مثل الليل مسود
ضدان لما استجمعا حسنا ... والضد يظهر حسنه الضد

فهي محمودة من هذا الوجه ، وزعم بعضهم أن الأضداد مذمومة ، وأنها لا تحمد بحال من الأحوال .

وحكي أن الشريعي كان يزعم أن الباري - جل جلاله - يحلُّ فيه .

(٢) أي : محمدٌ وعلي .

(٣) الهشامية أصحاب الهشامين ؛ هشام بن الحكم صاحب المقالة في التشبيه ، والمقالة في علم اللَّه ، أحد متكلمي الشيعة .

وهشام بن سالم الجواليقي الذي نسج على منوال سابقه في التشبيه .

(٤) وانظر «الملل» للشهرستاني (ص ٧٨- ٧٩) .

فقال ابن الحكم : هو طويل عريض عميق ، متساوٍ طوله وعرضه وعمقه ، وهو كالسبيكة البيضاء الصافية ، ويتلألأ من كل جانب ، وله لون وطعم ، ورائحة ومجسَّة ، وهذه الصفات المذكورة ليست غير ذاته - تعالى - وهو - تعالى - يقوم ويقعد ، ويتحرك ويسكن ، وله مشابهة بالأجسام ، لولاها لم تدل عليه ، ويعلم ما تحت الثرى بشعاع ينفصل عنه إليه ، وهو سبعة أشبار بأشبار نفسه ، مماس للعرش بلا تفاوت بينهما على وجه لا يفضل أحدهما على الآخر ، وإرادته - تعالى - حركةٌ هي لا عَيْنُه وغيره ، وإنما يعلم الأشياء بعد كونها لا قبله ، بعلْمٍ لا قديم ولا حادث ؛ لأنه صفة والصفة لا توصف ، وكلامُه صفة له لا مخلوق ولا غير مخلوق لما مرَّ ، والأعراض لا تدل عليه - تعالى - وإنما تدل عليه الأجسام لما عرفتَ من مشابهته إياها .

والأئمة معصومون دون الأنبياء ؛ لأن النبيَّ يُوحى إليه ويتقرب به إلى اللّه - تعالى- بخلاف الإمام ؛ فإنه [١٣أ] لا يُوحى إليه فوجب أن يكون معصومًا .

وقال ابن سالم :

هو - تعالى - على صورة الإنسان له يدٌ ورِجْلٌ ، وحواسٌ خمس ، وأنف وأذن ، وعين وفم ، وله وفرة سوداء ، ونصفه الأعلى مجوَّف ، ونصفه الأسفل مصمت ، إلاَّ أنه ليس لحمًا ودمًا ، ومنها :

١١- الزرارية[١] :

وهم أصحاب « زرارة بن أعين » ، وهؤلاء قالوا : صفات اللّه - تعالى - حادثة ، وقبل حدوثها لم يكن له - تعالى - حياةٌ ، ولا علم ، ولا قدرة ، ولا

---

(١) ويقال لهم أيضًا التيمية . وزرارة لقبٌ ، واسمه عبد ربه ، وكنيته أبو الحسن .

وانظر : « مقالات الإسلاميين » (١/١٠٢، ١٠٣) ، « الفرق بين الفرق » (١٩، ٤٣، ١٤١، ٢٠١) ، « الملل والنحل » (١/٢٧٥) ، « الفهرست » لابن النديم (ص٣٠٨) ، وقال : وكان زرارة أكبر رجال الشيعة فقهًا وحديثًا ، ومعرفة بالكلام ، والتشيع .

سمع، ولا بصر، فيلزم حينئذ أن لا يكون حيًّا، ولا عالمًا، ولا قادرًا، ولا سميعًا، ولا بصيرًا.

ومنها:

١٢- اليونُسيَّة:

وهم أصحاب «يونس بن عبد الرحمن»[١]، وهو قال: إن اللَّه تعالى على العرش تحمله الملائكة، وهو أقوى من الملائكة مع كونه محمولاً لهم كالكُرْكِيّ[٢] يحمل رجلاه وهو أقوى منها.

ومنها:

١٣- الشيطانية[٣]:

وهم أصحاب «محمد بن النعمان الملقب بـ (شيطان الطاق).»، وهو قال: إن اللَّه نُورٌ غير جسماني، ومع هذا هو على صورة الإنسان، وإنما يعلم الأشياء بعد كونها[٤].

---

(١) هو: يونس بن عبد الرحمن القُمي مولى آل يقطين، المتوفي سنة ١٥٠ هـ، وهو من مشبهة الشيعة، وقد صنَّفَ لهم كتبًا في ذلك.

(٢) اسم طائر، والجمع: كراكي. لسان العرب، مادة كرك.

(٣) وكذلك يسمون (النعمانية) نسبةً إلى صاحبهم محمد بن النعمان أبي جعفر الأحول، الملقب بـ «شيطان الطاق»، ويلقبه الشيعة بـ «مؤمن الطاق»، صنَّف كتبًا جمَّة للشيعة منها:

١- «افعل، لم فعلت». ٢- «افعل، لا تفعل».

ويذكر في هذه الكتب أن كبار الفرق أربعة (القدرية، ثم الخوارج، ثم العامة، ثم الشيعة).

وانظر ترجمة «شيطان الطاق» في «الفهرست» (ص٨ من الملحق).

(٤) أي بعد وقوعها، منكرًا بذلك علم اللَّه الأزلي.

ومنها :

١٤- الرِّزامية[1] :

وهؤلاء قالوا : الإمامة بعد عليٍّ لمحمد بن الحنفية ، ثم لابنه عبد اللَّه ، ثم لعليِّ بن عبد اللَّه بن عباس ، ثم لأولاده إلى المنصور ، ثم حَلَّ الإله في أبي مسلم ، وأنه لم يُقتل ، واستحلوا المحارم وتركوا الفرائض .

ومنها :

١٥- المُفَوِّضَةُ :

لقبوا بذلك لأنهم قالوا : إن اللَّه - تعالى - فوَّض خلق الدنيا إلى محمد بعد خَلْقه ، وهو خلق الدنيا بما فيها .

وقال بعضهم : فوَّض ذلك إلى عليٍّ[2] .

ومنها :

١٦- البَدائية :

لقبوا بذلك ؛ لأنهم جوَّزوا البداء على اللَّه - تعالى - وهو أن يريد اللَّه شيئًا ثم يبدو له - أو يظهر عليه - ما لم يكن ظاهرًا له ، ويلزمهم أن لا يكون الرب - تعالى - عالمًا بعواقب الأمور .

---

(١) وهم أتباع رزام بن رزم ، وهؤلاء ظهروا بخراسان في أيام أبي مسلم صاحب الدولة الذي كان على مذهب الكيسانية في الأول ، ثم حاد إلى أبي العباس عبد اللَّه بن محمد السفاح ، وقلَّده أمر الخلافة .

(٢) ويزعمون أيضًا أن الأئمة ينسخون الشرائع ، وتهبط عليهم الملائكة ، وتظهر عليهم الأعلام والمعجزات ، ويوحى إليهم ، ومنهم من يُسلِّم على السحاب ويقول إذا مرَّت سحابة به : إن عليًّا - رضوان اللَّه عليه - فيها .

وفيهم يقول أحد الشعراء :

برئتُ من الخوارج لستُ منهم ... من الغَزَّال منهم وابن باب

ومن قومٍ إذا ذَكَرُوا عليًّا ... يردُّون السلام على السحاب

انظر « مقالات الإسلاميين » (١/٨٧، ٨٨) .

والغزال لقبٌ لواصل بن عطاء البصري أحد شيوخ المعتزلة .

وابن باب هو عمرو بن عبيد بن باب أبو عثمان .

ومنها :

١٧- النصيرية والإسحاقية :

وهؤلاء قالوا : إن الله - تعالى - تجلّى في علـيٍّ ، فـإن ظهـور الروحـاني في جسد الجسماني مما لا يُنكر .

أما في جانب الخير فكظهور جبريل بصـورة البشـر ، وأمـا في جـانب الشـر فكظهور الشيطان في صورة الإنسان .

ثم قالوا : لما كان عليٌّ وأولاده أفضل من غيرهم ، وكانوا مؤيدين بتأييدات متعلقـة [١٣ ب] ببـاطن الأسـرار ، قلنـا : ظهـر الحـق - سـبحانه وتعـالى - بصورتهم ، ونطق بلسانهم ، وأخذ بأيديهم .

ومن هاهنـا أطلقنـا الآلهـة علـى الأئمـة ، ألاَ تـرى أن النـبي - عليـه الصـلاة والسلام - قاتل المشركين ، وأن عليًّا قاتل المنافقين ؛ فإن النـبي - عليـه الصـلاة والسلام - يحكم بالظاهر ، والله - تعالى[١] - يتولى السرائر ؟!!

ومنها :

١٨- الإسماعيلية :

لقبوا بذلك لإثباتهم الإمامة « لإسمـاعيل بـن جعفـر الصـادق » ، وهـو أكـبر أبنائه ، وقيل : لانتساب زعيمهم إلى « محمد بن إسماعيل » ، وهم لقبوا بألقـاب أُخر : بــ :

* (**الباطنية**) :

لقولهم بباطن الكتاب دون ظـاهره ؛ فـإنهم قـالوا : للقـرآن ظـاهر وبـاطن ، والمراد منه باطنه لا ظاهره المعلوم من اللغة ، ونِسْبَةُ البـاطن إلى الظـاهر كنسبة

---

(١) يقصد بالله تعالى هنا : عليًّا - رضي الله عنه - تعالى الله - عز وجل - عن قولهم علوًّا كبيرًا .

وانظر « الملل والنحل » للشهرستاني (ص ٨٠، ٨١) لتتعرف علـى بقيـة مقـالاتهم الكفريـة ، نسأل الله السلامة والعافية والثبات على دينه حتى نلقاه .

اللُّبِّ إلى القِشْر ، والمتمسك بظاهره معذَّب بالمشقة في الاكتساب ، وباطنه مؤدٍ إلى ترك العمل بظاهره ، وتمسكوا في ذلك بقوله تعالى : ﴿ **فضُرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قِبلِهِ العذاب** ﴾ [الحديد : ١٣] ، وبـ :

❋ (الخَرْمِيَّةِ) :

لإباحتهم المحرمات[١] والمحارم[٢] . وبـ :

❋ (السَّبْعِيَّة) :

لأنهم زعموا أن النطقاء بالشرائع (يعني الرسل) سبعة : آدم ، ونوح ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، ومحمد عليه السلام ، ومحمد المهدي سابع النطقاء ، وبين كل اثنين من النطقاء سبعة أئمة يتممون شريعته ، ولا بد في كل عصر من سبعة بهم يُهتدى في الدين ، وهم متفاوتون في الرتب :

- إمامٌ يؤدي عن الله تعالى ، وهو غاية الأدلة إلى دين الله تعالى .
- وحُجَّةٌ يؤدي عن الإمام ، ويحمل علمه ، ويُحتج به .
- وذو مَصَّةٍ يمصُّ العلم من الحجة ؛ أي يأخذه منه .

فهذه ثلاثة .

وبعدهم أبواب ، وهم دعاةٌ :

- داعٍ أكبر هو رابعهم يرفع درجات المؤمنين .
- وداعٍ مأذون هو خامسهم يأخذ العهود على المخالفين من أهل الظاهر فيدخلهم في ذمة الإمام .

---

(١) وهي المناهي الشرعية في الكتاب والسنة كالقتل ، والزنى ، وشرب الخمر ، وأكل الميتة ، والخنزير ، وغير ذلك .

(٢) وهي الزواج من المحارم كالأم ، والأخت ، والعمة ، والخالة ، والبنت .. إلخ .

- ومكلِّب هو سادسهم، قد ارتفع درجته في الدِّين، ولكن لم يؤذن له في الدعوة، بل في احتجاجٍ على الناس، وهو يحتج ويُرغِّب [١٤أ] إلى الداعي ككلب الصيد، حتى إذا احتج على أحدٍ من أهل الظاهر، وكسر عليه مذهبه، بحيث رَغِبَ عنه وطلب الحق أدَّاه إلى الداعي المأذون ليأخذوا عليه العهد.

- ومؤمن يتبع الداعي، وهذا الذي أخذ عليه العهد، ودخل في ذمة الإمام وحِزْبِهِ وهو سابعهم.

فهؤلاء قالوا: إن ذلك الذي ذكرناه كالسموات، والأرضين، والبحار، وأيام الأسبوع، والكواكب السيارة التي هي «المدبِّرات أمرًا» فكلٌّ منها سبعةٌ كما هو المشهور[1].

وبـ:

❋ البابكية:

إذْ تَبِعَ طائفةٌ منهم «بابك الخرمي» في الخروج بأذربيجان، وبـ:

❋ المُحَمِّرة:

للبسهم الحمرة في أيام ولاية بابك، أو لتسمية المخالفين لهم حَمِيرًا، وبـ:

❋ القرامطة:

لأن أولهم الذي دعى الناس إلى مذاهبهم رجلٌ يقال له: (حمدان قِرْمِطة)، وهي إحدى قرى واسط.

وأصل دعوتهم على إبطال الشرائع؛ لأن «الغيارية»، وهم طائفة من المجوس راموا عند شوكة الإسلام تأويل الشرائع على وجوه تعود إلى قواعد أسلافهم؛ وذلك أنهم اجتمعوا وتذكروا ما كان عليه أسلافهم من المُلْك، وقالوا: لا سبيل لنا إلى دفع المسلمين بالسيف لغلبتهم واستيلائهم على الممالك، لكنّا نحتال بتأويل شرائعهم إلى ما يعود إلى قواعدنا، ونستدرج به

---

(١) والصحيح أن المدبرات أمرًا هم الملائكة.

الضعفاء منهم، فإن ذلك يوجب اختلافهم واضطراب كلمتهم، ورئيسهم في ذلك «حمدان قرمطة».

وهم في الدعوة مراتب :

❋ **الرزق** : وهو تفرُّس حال المدعو، هل هو قابل للدعوة أم لا ؟ ولذلك منعوا إلقاء البذر.

❋ **والأرض السبخة** : أي دعوة من ليس أهلاً لها، ومنعوا التكلم في بيت فيه سراج ؛ أي في موضع فيه عالم متدين.

❋ **ثم التأنيس** : باستمالة كل واحد من المدعوين بما يميل إليه هواه وطبعه من رقصٍ وخلاعةٍ، فإن كان يميل إلى الزهد زينوه في عينه وقبَّحوا نقيضه، وإن كان يميل إلى الخلاعة زينوها وقبحوا نقيضها حتى يحصل له الأُنس بهم.

❋ **ثم التشكيك** : في أركان الشريعة [١٤ ب] بمقطعات السور بأن يقولوا : ما معنى الحروف المقطعة في أوائل السور، ولِمَ وجب قضاء صوم الحائض دون قضاء صلاتها ؟ ولِمَ وجب الغسل من المني دون البول ؟ ولِمَ كان عدد الركعات بعضها أربعًا وبعضها ثلاثًا وبعضها اثنتين ؟ إلى غير ذلك من الأمور التعبدية، فإنهم يشككونهم في هذه الأشياء، ويطوون الجواب عنهم لتتعلق قلوبهم بمراجعتهم إياهم فيها.

❋ **الربط** : وهو أمران :

أحدهما : أخذ الميثاق : بأن يقولوا : قد جرت سُنَّة اللَّه - تعالى - بأخذ المواثيق والعهود، ويستدلون على ذلك بقوله تعالى : ﴿**وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم**﴾ [الأحزاب : ٧]، ثم يأخذون من كل أحدٍ ميثاقه بحسب اعتقاده أن لا يفشي سِرَّهم.

والثاني : حوالته على الإمام في حَلِّ ما أُشْكِلَ عليه من الأمور التي ألقوها إليه بأن يقولوا : إنه العالِم بها ولا يقدر عليها أحدٌ غيره حتى يترقى من درجته، وينتهي إلى الإمام.

* **ثم التَّوْلِيسُ**[1] : وهو دعوى موافقة أكابر الدنيا والدين لهم حتى يـزداد ميله إلى ما دعوه إليه .

* **ثم التأسيس** : وهو تمهيـد مقدِّمـات يقبلهـا ويُسـلِّمها المدعـو ، وتكـون سائقة إلى ما يدعونه إليه من الباطل .

* **ثم الخَلْع** : وهو الطمأنينة إلى إسقاط الأعمال البدنية .

* **ثم السَّلْخ** : عن الاعتقادات الدينية .

وحين يصل حال المدعو إلى ذلك يأخذون في الإباحة والحث على استعمال اللذات وتأويل الشرائع كقولهم : الوضوء عبـارة عـن مـوالاة الإمـام ، والتيمـم عبارة عن الأخذ من المأذون عند غيبة الإمام الذي هو الحجة ، والصـلاة عبـارة عن الناطق الـذي هـو الرسول بدليـل قولـه تعـالى : ﴿ **إن الصـلاة تنهـى عـن الفحشاء** [١٥أ] **والمنكر** ﴾ [العنكبوت : ٤٥] ، والاحتلام عبارة عن إفشـاءِ سِرٍّ من أسرارهم إلى من ليس من أهلـه بغير قصـد منـه ، والغُسـل عبـارة عـن تجديد العهد ، والزكاة عبارة عن تزكية النفس بمعرفة ما هم عليـه مـن الديـن ، والكعبة عبارة عن النبي ، والباب عبارة عن علي ، والصفا هو النبي ، والمروة هو علي ، والميقات : الإيناس ، والتلبية : إجابة المدعو ، والطـواف بـالبيت سبعـًا : موالاة السبعة ، والجنة : راحة الأبدان عن التكـاليف ، والنـار : مَشَـقَّتُها بمزاولـة التكاليف ، إلى غير ذلك من خرافاتهم .

ومن مذهبهم أن اللّه- تعالى- لا موجود ولا معدوم ، ولا عالـم ولا جاهل ، ولا قادر ولا عاجز ، وكذلك في جميع الصفات ؛ وذلك لأن الإثبات الحقيقـي يقتضـي المشـاركة بينـه وبـين الموجـودات وهـو تشـبيه ، والنفـي المطلـق يقتضـي مشـاركته للمعدومات وهو تعطيل ، بل هو واهبٌ لهذه الصفات وربٌّ للمتضادات .

---

(١) كذا بالمخطوط ، آلةٌ وليس . ولـم يتبين لي وجهه ، ولعل ما أثبته هو المـراد ، وقـد اجتهـدت فيه وسعي . والوَلْس : الخيانة ، والموالسة : الخداع ، يقال : ما لي في هذا الأمـر وَلْسٌ ولا دَلْسٌ ؛ أي ما لي فيه خديعة ولا خيانة . (اللسان : مادة ولس) .

وربما خلطوا كلامهم بكلام الفلاسفة فقالوا : إن اللّه – تعالى – أبدع بأمر العقل التام ، وبتوسطه أبدع النفس التي ليست تامة ، فاشتاقت النفس إلى العقل التام مستضيئة منه ، فاحتاجت إلى الحركة من النقصان إلى الكمال ، ولن تتم الحركة إلاَّ بآلتها ، فحدثتِ الأجرام الفلكية ، وتحركت حركة دورية بتدبير النفس ، فحدثت بتوسطه الطبائع البسيطة العنصرية ، وبتوسط البسائط حدثت المركبات من المعادن والنباتات وأنواع الحيوانات ، وأفضلها الإنسان لاستعداده لفيض الأنوار القدسية عليه ، واتصاله بالعالم العلوي .

وحيث كان العالم العلوي مشتملاً على عقل كاملٍ كُلِّيٍّ ونفسٍ ناقصةٍ كليةٍ كائنة مصدرًا للكائنات ، وجب أن يكون في العالم السفلي عقل كامل يكون وسيلة إلى النجاة وهو الرسول الناطق ، ونفس ناقصة تكون نسبتها إلى الناطق في تعريف طرق النجاة نسبة [١٥ب] النفس الأولى إلى العقل الأول فيما يرجع إلى إيجاد الكائنات وهي الإمام الذي هو وصي الناطق . وكما تحركت الأفلاك بتحريك العقل والنفس كذلك تتحرك النفوس إلى النجاة بتحريك الناطق والوصي ، وعلى هذا في كل عصر وزمان .

قال الآمدي :

هذا ما كان عليه قدماؤهم ، وحين ظهر «الحسن بن محمد الصباح» جدَّد الدعوة على أنه الحجة الذي يؤدي عن الإمام ، الذي لا يجوز خلو الزمان منه .

وحاصل كلامه ما تقدم من الاحتياج إلى المعلِّم ، ثم إنه منع العوام عن الخوض في العلوم ، ومنع الخواص عن النظر في الكتب المتقدمة كيلا يطلع على فضائحهم ، ثم إنهم تفلسفوا ولم يزالوا مستهزئين بالنواميس الدينية والأمور الشرعية ، وتحصنوا بالحصون ، وكثرت شوكتهم ، وخاف ملوك السوء منهم ، وأظهروا إسقاط التكاليف ، وإباحة المحرمات ، وصاروا كالحيوانات العجماوات بلا ضابط ديني ولا واضع شرعي .

وأما : (الزيدية)

وهم منسوبون إلى « زيد [بن][1] زين العابدين » ، فثلاث فرق[2] ، منها :

١- الجارودية :

وهم أصحاب «أبي الجارود»[3] الذي سمَّاه الباقر « سرخوبـًا » ، وفسَّره بأنه شيطان يسكن البحر ، وهؤلاء قالوا : بالنَّصِّ عن النبي ﷺ في الإمامة على علـيٍّ وصفـًا لا تَسْمِيَةً ، والصحابة كَفَرُوا بمخالفتهم وترك الاقتداء بعليٍّ بعد النبي - عليه الصلاة والسلام .

والإمامة بعد الحسن والحسين شورى في أولادهما ، فمن خرج منهم بالبيعة[4] ، وهو عالـم شجاع فهو إمام .

---

(١) سقط من الأصل ، وهو زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب أبو الحسين أحد أكابر العباد ، أمُّه أم ولد ، كان أهداها المختار بن أبي عبيد الثقفي إلى علي بن الحسين بن علـي ، فولدت له زيدًا هذا .

(٢) وقد عدَّها أبو الحسن الأشعري في « المقالات » ست فرق : الجارودية ، السليمانية ، البُترية ، النعيمية ، اليعقوبية ، والأخيرة فرقة يتبرؤن من أبي بكر وعمر ، وينكرون رجعة الأموات قبل يوم القيامة (ص ١٤٠، ١٤٥) .

وأما الشهرستاني في « الملل » (ص ٦٧) فقد زاد على ما ذكره المؤلف : الصالحية أصحاب الحسن بن صالح بن حي ، وقال : والصالحية منهم والبترية على مذهب واحد .

(٣) وأبو الجارود هو : زياد بن أبي زياد ، وسماه المسعودي ، وكذا الخزرجي في « الخلاصة » (٣٤٧/١) : زياد بن المنذر ، ونسبه المسعودى : العبدي ، ونسبه الخزرجي : الهمداني أو النهدي ، أبو الجارود الأعمى الكوفي ، رأس الجارودية ، مبتدع ضال .. كذبه ابن معين ، وقال ابن حبان : يضع » .

وانظر « خطط المقريزي » (٢٥٢/٢) ، و« مقالات الإسلاميين » (ص ١٤٠) ، و« الفرق بين الفرق » (١٩- ٢٣) ، و« الملل والنحل » (٢٥٥/١) ، و« الملل » (ص٦٧) .

(٤) كذا في المخطوط ، ولعلها : « بالسيف » .

واختلفوا في الإمام المنتظر أهو محمد بن عبد الله بن علي الذي قُتِـل بالمدينـة في أيام المنصور ؟ فَدَعَتْ طائفةٌ منهم إلى ذلك ، وزعموا أنه لـم يُقتـل ، أو هـو محمد بن القاسم بن علي بن الحسين صاحب طالقان الذي أُسِرَ في أيام المعتصم [١٦أ] وحُمِل إليه ، وحَبَسَه في داره حتى مات ، فذهـب طائفـة أخـرى إليـه وأنكروا موته ، أو هو يحيى بن عمر صاحب الكوفة مـن أجنـاد زيـد بـن علـي دعى الناس إلى نفسه ، واجتمع عليه خلقٌ كثيرٌ ، وقُتِـل في أيـام المستعين باللّـه فذهب إليه طائفة ثالثة ، وأنكروا قتله ، ومنها :

٢- السليمانية[١] :

وهم أصحاب سليمان[٢] بن جرير ، وهؤلاء قالوا : الإمامة شورى فيما بين الخلق ، وإنما تنعقد برجلين مـن خيـار المسـلمين ، ويصـح إمامـة المفضـول مـع وجود الأفضل : وأبو بكر وعمر إمامان ، وإن أخطأت[٣] الأمـة في البيعـة لهمـا مع وجود عليٍّ ، لكنه خطأ لـم ينته إلى درجة الفسق ، وكفَّروا عثمان وطلحـة والزبير وعائشة ، ومنها :

٣- البُتْرِية[٤] :

وهم أصحاب كثير النوي ، وهم وافقوا السليمانية، إلاَّ أنهم توقفوا في عثمان.

---

(١) ويسـميها بعـض المؤلفـين : الجريرية كمـا في « التبصـير » (ص ١٧) ، « خطـط المقريــزي » (٣٥٢/٢) ، ونص البغدادي أن كلاً مـن الاسمين يطلـق عليهـا ، وانظـر « الفـرق بـين الفـرق » (ص ٤٢) .

(٢) وقع في « خطط المقريزي » : سليم ، والصواب : سليمان .

(٣) في الأصل : أخطاء ، والصواب - من جهة السياق - ما أثبتناه .

(٤) سُمُّوا بذلك ؛ لأن كثيرًا صاحبهم كان يلقب بالأبتر ، واسمه : كثير النَّوَاء .

قال أبو الحسن : « يزعمون أن عليًّا أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ ، وأولاهم بالإمامـة ، وأن بيعة أبي بكر وعمر ليست بخطأ ؛ لأن عليًّا ترك ذلك لهمـا ، ويقفـون في عثمـان وفي قتلتـه ، ولا يُقْدِمون عليه بإكفار ، وينكرون رجعة الأموات إلى الدنيا ، ولا يرون لعلـي - رضـي اللّـه عنـه - إمامة إلا حين بويع » . مقالات الإسلاميين (١٤٤/١، ١٤٥) .

هذه هي فرق الزيدية ، وأكثرهم في زماننا مقلدون يرجعون في الأصول إلى مذهب الاعتزال ، وفي الفروع إلى مذهب أبي حنيفة إلا في مسائل قليلة .

وأما : (الإمامية)(١)

فقالوا بالنص الجَلِـيِّ علـى إمامـة علـيٍّ ، وكفّـروا الصحابـة ووقعـوا فيهـم ، وساقوا الإمامة إلى جعفر الصادق ، واختلفوا في المنصوص عليه بعـده ، والـذي استقر عليه رأيهم أنه ابنه موسى الكاظم ، وبعده علي بن موسى الرضا ، وبعده محمد بن علي التقي ، وبعده محمـد بـن علـي النقـي ، وبعـده الحسـن بـن علـي الزكي ، وبعده محمد بن الحسن وهو الإمام المنتظر .

ولهـم في كـل المراتـب الـتي بعـد جعفـر اختلافـات أوردهـا الإمـام في «الملخص» .

وكانت الإمامية أولاً على مذهب أئمتهم حتى تمادى بهم الزمان فاختلفوا ، وتشعَّب متأخروهم إلى المعتزلـة ؛ إمـا وعيديـة أو تفضيليـة ، وإلى الإخباريـة يعتقدون ظاهر ما ورد من [١٦ ب] الأخبار المتشابهة، وهؤلاء ينقسـمون إلى قسمين:

أ- مشبهة : يخبرون عن المتشابهات ، ويقولون : المراد بها ظواهرها .

ب- وسلفية: يعتقدون أن ما أراد اللّه بها حق بـلا شـبهة كمـا كـان عليـه السلف.

جـ- وإلى ملتحقة بالفرق الضالة .

---

(١) وفـرق الإماميـة كثـيرة ، منهـا : الباقريـة ، والجعفريـة الواقفـة ، والناووسـية ، والأفطحيـة ، والشُّمَيطيَّة ، والإسماعيلية الواقفة ، والموسوية ، والمفضلية ، والإثنا عشرية وغيرها .

وانظر تفصيل ذلك في «موسوعة الملل» للشهرستاني (ص٧١، ٧٤) ، ومقـالات الإسـلاميين (١/٨٨- ١٠٥) ، وغيرها من كتب الملل والنحل والعقائد .

◻ الفرقة الثانية ◻

المعتزلة(١)

وهم أصحاب «واصل بن عطاء» ، وهو اعتزل عن مجلس الحسن البصري

---

(١) ويسمون كذلك : أصحاب العدل والتوحيد ، ويلقبون بالقدرية ، ولهم أصول خمسة تدور عليها معتقداتهم ، وهي :

١- التوحيد ٢- العدل . ٣- المنزلة بين المنزلتين . ٤- تقديم العقل على النقل .

٥- الوعد والوعيد .

* **فأما التوحيد** - عندهم - فهو إيجاب تأويل آيات الصفات جميعها ، نفيًّا للتشبيه - بزعمهم .

* **وأما العدل عندهم** ، فهو إيجاب الصالح للعباد على الله ، وقيل : الأصلح ، ويجب عليه من حيث الحكمة رعاية مصالح العباد ، وكذا رعاية المصلحة والحكمة في أفعاله ، وثواب المطيع والتائب ، وعقاب صاحب الكبيرة .

* **وأما المنزلة بين المنزلتين** ، فهي أن الفاسق ومرتكب الكبيرة لم يستجمع خصال الخير ولا استحق اسم المدح (مؤمن) ، فلا يسمى مؤمنًا ، وهو كذلك ليس كافرًا مطلقًا ؛ لأن الشهادة وسائر أعمال الخير موجودة فيه .

لكن إذا خرج من الدنيا على كبيرة من غير توبة فهو من أهل النار المخلدين فيها ، إذ ليس في الآخرة إلا فريقان : فريق في الجنة ، وفريق في السعير ، لكن يخفف عنه العذاب ، وتكون دركته فوق دركة الكفار !!!

* **وأما تقديم العقل على النقل** ، فهو عمدتهم في إثبات الحسن والقبح ، لا الشرع ، فاللهم سلّم سلّم .

* **وأما الوعد والوعيد** فيعني - عندهم - أن المؤمن إذا خرج من الدنيا على طاعة وتوبة ، استحق الثواب والعوض ، وإذا خرج من غير توبة ، عن كبيرة ارتكبها ، استحق الخلود في النار ، لكن يكون عقابه أخف من عقاب الكفار .

هذه أصول المعتزلة التي اتفقت عليها جميع فرقهم ، ويبقى أن كل فرقة لها من الأصول ما تختلف فيه عن بقية الفرق .

بسبب أن رجلاً دخل على الحسن فقال : يا إمامَ الدِّينِ ، ظَهَرَ في زماننا جماعة يُكَفِّرون صاحب الكبيرة ، وجماعة أخرى يوسعُون فيها ، ويقولون : « لا يضرُّ مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة » ، فكيف تحكم لنا أن نعتقد في ذلك ؟

فتفكَّر الحسنُ ، وقبل أن يُجيبَ ، قال واصل بن عطاء : أنا لا أقول : إن صاحب الكبيرة مؤمن مطلقًا ولا كافر مطلقًا ، ثم قام ، وذهب إلى أصل اسطوانة من اسطوانات المسجد ، وأخذ يقرر على جماعة من أصحاب الحسن ما أجاب به ، من أن مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن ولا كافر ، ويثبت له المنزلة بين المنزلتين ، ويقول : إن المؤمن اسمُ مَدْحٍ ، والفاسق لا يستحق المدح ، فلا يكون مؤمنًا وليس بكافر أيضًا لإقراره بالشهادتين ، ولوجود سائر أعمال الخير منه ، فإذا مات بلا توبة يُخلَّد في النار ، إذ ليس في الآخرة إلاَّ فريقان : فريق في الجنة ، وفريق في السعير ، ولكن يخفف عليه وتكون دركته فوق دركات الكفار .

فقال الحسن : قد اعتزل عنا واصل ، فلذلك سُمِّي هو وأصحابه « معتزلة » ، ويُلَقَّبون بـ « القدرية » لإسنادهم أفعال العباد إلى قدرتهم ، وإنكارهم القدر فيها .

وهم لَقَّبوا أنفسهم « بأصحاب العدل والتوحيد » لقولهم بوجوب الأصلح ، وبنفي الصفات [١٧أ] القديمة ، فإنهم قالوا : يجب على الله - تعالى - ما هو الأصلح لعباده ، ويجب عليه أيضًا إثابة المطيع ، فهو لا يُخِل بما وجب عليه أصلاً ، وجعلوا هذا عدلاً .

وقالوا أيضًا بنفي الصفات القديمة القائمة بذاته - تعالى - احترازًا عن إثبات القدماء المتعددة ، وجعلوا هذا توحيدًا .

وقالوا : إن القِدَم أخصُّ وصفٍ للّه - تعالى - لا يشاركه فيه ذات ولا صفة ، وبنفي الصفات الزائدة على الذات .

وقالوا : إن كلامه - تعالى - مخلوق ، مُحْدَث ، مركَّبٌ من الحروف والأصوات ، وإنه - تعالى - غير مرئي في الآخرة بالأبصار ، وإن الحُسْن والقبح عقليان .

ويجب عليه - تعالى - رعاية الحكمة والمصلحة في أفعاله ، وثواب المطيع والتائب ، وعقاب صاحب الكبيرة .

ثم إنهم بعد اتفاقهم على هذه الأمور المذكورة افترقوا عشرين فرقة يُكَفِّر بعضهم بعضًا ، ومنها :

١- الواصلية :

وهم أصحاب «واصل بن عطاء»[1] ، وهؤلاء قالوا بـ : نفي الصفات .

---

(١) واصل بن عطاء أبو حذيفة هو : مؤسس مذهب المعتزلة ، ولد بالمدينة سنة ٨٠ هـ ، ونشأ بالبصرة ، وهو الذي نشر مذهب الاعتزال في آفاق الدنيا وعمرو بن عبيد .

وانظر ترجمته في «السير» (٤٦٤/٥، ٤٦٥) ، «وفيات الأعيان» (٧/٦- ١١) ، «ميزان الاعتدال» (٣٢٩/٤) ، «مرآة الجنان» (٢٧٤/١) ، «لسان الميزان» (٢١٤/٦) ، «الفرق بين الفرق» (ص ١١٧) ، «النجوم الزاهرة» (٣١٣/١) ، «شذرات الذهب» (١٨٢/١) وأصول المعتزلة تدور على أربع قواعد :

١- القول بنفي صفات الباري سبحانه وتعالى ، من العلم والقدرة ، والإرادة ، والحياة .. إلخ .

٢- نفي القدر ، سالكين في ذلك مسلك معبد الجهني ، وغيلان الدمشقي «لا قدر ، وأن الأمر أُنف» .

٣- المنزلة بين المنزلتين ، وقد بيناه آنفًا .

٤- الكلام في أصحاب الجمل ، وصفين أن أحدهما مخطئ لا بعينه .

وقولهم في عثمان وقاتليه : أحد الفريقين فاسق لا محالة ، لكن لا بعينه ، ولا يجوز قبول شهادة علي ، وطلحة والزبير على باقة بقل ، وجوَّزوا أن يكون عثمان وعلي على الخطأ ، نعوذ باللّه من الخذلان .

وإسناد أفعال العباد إلى قدرتهم .

وامتناع إضافة الشر إلى اللَّه تعالى .

وقالوا بالمنزلة بين المنزلتين .

وذهبوا إلى الحكم بتخطئة أحد الفريقين من عثمان وقاتليه .

وجوَّزوا أن يكون عثمان لا مؤمنًا ولا كافرًا ، وأن يُخلد في النـار ، وكـذا عليٌّ ومقاتلوه .

وحكموا بأن عليًّا وطلحة والزبير – بعد وقعـة الجمـل – لـو شـهدوا على باقة بقلة لـم تُقبلْ شهادتهم كشهادة المتلاعنين ، ومنها :

٢- العَمْـرية :

وهم أصحاب «عمرو بن عبيد» ، وهو كان مـن رواة الحديـث ، معروفـًا بالزهد والتقوى ، تَابَعَ واصل بن عطاء في القواعد المذكورة وزاد عليه : تعميم التفسيق في قِصَّتَيْ عثمان وعليٍّ[1] ، ومنها :

٣- الهذيلية :

وهم أصحاب « أبي الهذيل بن حمدان العـلاف »[2] شـيخ المعتزلـة ، ومقـرر طريقتهم ، أخذ الاعتزال عن «عثمان بن خـالد الطويـل عـن واصـل» ، وهـو وأصحابه قالوا بـ :

فناء مقدورات اللَّه تعالى ، وهذا قريب من مذهب جهم ؛ حيث ذهـب إلى أن الجنة والنار تفنيان .

وقالوا : إن حركات أهل الجنـة والنـار ضرورية مخلوقـة للَّـه تعـالى ؛ إذ لـو كانت مخلوقة لهم لكانوا مكلفين ، ولا [١٧ ب] تكليف في الآخرة .

---

(١) بل قال عمرو بن عبيد : إنهما من أهل النار !! وقال : لو شـهد رجـلان مـن أحـد الفريقـين مثل علي ورجل من عسكره ، أو طلحة والزبير لـم تقبل شهادتهما .

(٢) ستأتي ترجمته (ص ١١٧) .

وإن أهل الخُلْدَيْن تنقطع حركاتهم ، ويصيرون إلى جمودٍ دائم ، وسكونٍ لازمٍ ، ويجتمع في ذلك السكون اللذات لأهل الجنة والآلام لأهل النار .

وإنما ارتكب أبو الهذيل هذا القول ؛ لأنه التزم في مسألة حدوث العالم ؛ أنه لا فرق بين حوادث لا أول لها ، وبين حوادث لا آخر لها ، فقال : لا أقول بحركات لا تنتهي إلى آخرها ، بل تصير إلى سكون ، وتَوهَّم أن ما لزمه في الحركة لا يلزمه في السكون ، ولذلك سَمَّى المعتزلةُ أبا الهذيل : جهمي الآخرة .

وقالوا : إن اللّه - تعالى - عالمٌ بِعِلْمٍ هو ذاتُه ، قادرٌ بقدرة هي ذاته ، حيٌّ بحياةٍ هي ذاته ، وأخذوا هذا القول من الفلاسفة الذين يعتقدون أن اللّه - تعالى - واحدٌ من جميع الجهات ، لا تعدُّد فيه أصلاً ؛ بل جميع صفاته راجعة إلى السلوب والإضافات .

وقالوا : هو مريدٌ بإرادةٍ حادثة لا في محل ، وأوَّل من أحدث هذه المقالة هو :

« العلاَّف »[١] .

---

(١) العلاَّف هو : أبو الهذيل محمد بن الهذيل البصري ، من أئمة المعتزلة ، والمقرر لطريقتهم ، ولد بالبصرة سنة ١٣٥ هـ ، قال عنه ابن قتيبة : « أبو الهذيل العلاف كذاب أفاك » . (تأويل مختلف الحديث ٤٣) .

وقال الذهبي في « السير » (١٠/٥٤٢) : « زعم أبو الهذيل أن نعيم الجنة وعذاب النار ينتهي ، بحيث إن حركات أهل الجنة تسكن ، حتى لا ينطقون بكلمة ، وأنكر الصفات المقدسة حتى العلم والقدرة ، وقال : هما اللّه ، وأنه لما يقدر اللّه عليه نهاية وآخرًا ، وأن للقدرة نهاية لو خرجت إلى الفعل ، فإن خرجت لم تقدر على خلق ذرةٍ أصلاً ، وهذا كفر وإلحاد .

ولم يكن أبو الهذيل بالتقي ، حتى نقل أنه سَكِر مرَّة عند صديقه ، فراود غلامًا له ، فرماه بتَور - إناء يشرب فيه - فدخل في رقبته ، وصار كالطوق ، فاحتاج إلى حدَّاد يفكه . انقلع سنة ٢٢٧ هـ » .

=

وقـالوا : بعـض كلامـه - تعـالى - لا في محـل ، وهـو قولـه - تعـالى -: ﴿ كُنْ ﴾ ، وبعضه في محل وهو : الأمر والنهي ، والخبر والاستخبار ، وذلك لأن تكوين الأشياء بكلمة ﴿ كُنْ ﴾ فلا يُتصوَّر لها محل .

وقالوا : إرادته - تعالى - غير المراد .

وقالوا : الحجة بالتواتر فيما غاب ، لا تقوم إلاَّ بخبر عشرين ، فيهم واحد من أهل الجنة وأكثر .

وقـالوا : لا تخلـو الأرض عـن أوليـاء اللّـه - تعـالى - هـم معصومـون لا يكذبون ، ولا يرتكبون شيئًا من المعاصي ، فالحجة قولهم لا التواتر .

ومنها :

٤- النَّظَّامِيَّـة :

وهم أصحاب «إبراهيم بن سيار النظام»[1] ، وهـو مـن شياطين القدرية ، طالع كُتُبَ الفلاسفة ، وخلط كلامهم بكلام المعتزلة ، وهو وأصحابه قالوا :

= وانظر ترجمتـه في : «تـاريخ بغـداد» (٣/٣٦٦) ، «وفيـات الأعيـان» (٤/٢٦٥، ٢٦٧) ، «نكت الهميان» (٢٧٧) ، «لسان الميزان» (٥/٤١٣، ٤١٤) ، «النجوم الزاهـرة» (٢/٢٤٨) ، «شذرات الذهب» (٢/٨٥) ، «طبقات المعتزلة» (٤٤- ٤٩) .

(١) هو شيخ المعتزلة ، أبو إسحاق الضبعي البصري ، كـان على ديـن البراهمـة المنكريـن للنبـوة والبعث ويُخفى ذلك ، وكان كثير الطعن في الصحابة ، وينكر القياس والإجماع ، قال عنه الجويني في «البرهـان» : «ومـا ذكـره النظـام كفـر وزندقـة ، ومحاولـة اسـتئصال قـاعدة الشـرع ..» (٢/٧٦١- ٧٦٣) .

وقال ابن قتيبة في «التأويل» (١٧- ٢٠): «وجدنا النظام شاطرًا من الشطار يغدو على سكر ويروح على سكر ، ويبيت على جوائرها ، ويدخل في الأدناس ، ويرتكب الفواحش والشائنات» .

وقال البغدادي في «الفرق بين الفرق» (١١٥- ١٣٦) : «وأما كتب أهـل السـنة والجماعـة في تكفيره فالله يحصيها .. ثم ذكر فضائحه» . =

١- لا يقدر اللّه - تعالى - أن يفعل بعباده في الدنيا ما لا صلاح لهم فيه .

٢- ولا يقدر أن يزيد في الآخرة أو ينقص من ثواب وعقاب لأهل الجنة والنار ، وتوهَّموا أن غاية تنزيهه - تعالى - عن الشرور والقبائح لا يكون إلا بسلب قدرته - تعالى - عليها ، وهم في ذلك [١٨أ] كمن فرَّ من المطر إلى الميزاب .

٣- وقالوا : كونه - تعالى - مريد الفعل أنه خالقه على وفق علمه ، وكونه مريد لفعل العبد أنه أمر به .

٤- وقالوا : الإنسان هو الروح ، والبدن آلتها .

٥- وقالوا : الأعراض كالألوان ، والطعوم ، والروائح ، وغيرها أجسام ، والجواهر مؤلف من الأعراض المجتمعة .

والعلم مثل الجهل المركب ، والإيمان مثل الكفر في تمام الماهية .

٦- وقالوا :

إن اللّه - تعالى - خلق المخلوقات دفعة واحدة على ما هي عليه الآن معادن ، ونباتًا ، وحيوانًا ، وإنسانًا ، وغير ذلك ، ولم يكن خَلْق آدم متقدمًا على خَلْق أولاده إلاَّ أنه - تعالى - كَمَن بَعْض المخلوقات في بعض ، والتقديم والتأخير في الكُمُون والظهور .

= وقال الذهبي في « السير » (١٠/٥٤٢) : « .. ورد أنه سقط من غرفة وهو سكران ، فمات سنة بضع وعشرين ومائتين » .

ومن مصنفاته : « الطفرة » « الجواهر والأعراض » « حركات أهل الجنة » « الوعيد » « النبوة » .

وانظر ترجمته في : « طبقات المعتزلة » (٤٩- ٥٢) ، « فهرست ابن النديم » (٢٠٥- ٢٠٦) « تاريخ بغداد » (٦/٩٧- ٩٨) ، « الملل والنحل » (١/٥٣- ٥٩) ، « الوافي بالوفيات » (٦/١٤- ١٩) ، « لسان الميزان » (١/٦٧) ، « النجوم الزاهرة » (٢/٢٣٤) ، « معجم المصنفين » (٣/١٥٨- ١٦١) .

٧- وقالوا : نَظْمُ القرآن ليس بمعجز ؛ إنما المعجز إخباره بالغيب عن الأمور السالفة والآتية ، إلاّ أنه - تعالى - صرف العرب عن الاهتمام بمعارضته ، ولو لم يصرفهم لأمكنهم الإتيان بمثله ، بل بأفصح منه .

٨- وقالوا :

التواتر الذي لا يُحصى عدده يحتمل الكذب[1] ، والإجماع والقياس ليس شيء منهما بحجة .

٩- وقالوا بالطَّفرة[2] .

١٠- ومالوا إلى الرفض في وجود النص على الإمام ، وثبوته عن النبي - عليه الصلاة والسلام - على عليٍّ لكن كَتَمَهُ عمر .

١١- وقالوا : من خان بالسرقة فيما دون نصاب الزكاة كمائة وتسعة وتسعين درهمًا ، وأربعة من الإبل مثلاً ، أو ظلم به غيره بالغصب والتّعدِّي لا يفسق . ومنها :

٥- الأَسْوَرَانية :

وهم أصحاب «الأسواري» ، وهؤلاء وافقوا النظامية فيما ذهبوا إليه وزادوا عليهم :

---

(١) بل اشترط النظام الخبيث في التواتر أن يرويه عشرون أحدهم من أهل الجنة !!!

وهذا يدل على خبثه وتلاعبه ، ثم انتقل إلى مقولة أخرى وهي : «الأخبار ريبة والحجة في المقاييس» . وكذا قال أبو الهذيل شيخ النظام ليشكك في حجية السنة بل في إفادة الأخبار للعلم .

بل ذهب النظام إلى أن الحجة العقلية تنسخ الأخبار ، فهو بذلك لا يرى ثبوت شيء عن طريق الأخبار ، وإنما عن طريق العقل ، نسأل الله السلامة .

(٢) والطفرة تعني أن يكون الجسم في مكان ، ثم يصير إلى المكان الثالث من غير أن يمر بالثاني ، وهم بذلك وافقوا إحدى الفرقتين من الروافض ، وقالت الثانية باستحالة ذلك .

وانظر «مقالات الإسلاميين» (١/١٣٣) .

أن اللّه - تعالى - لا يقدر على ما أخبر بعدمه أو عَلِمَ عدمه ، والإنسان قادر عليه ؛ لأن قدرة العبد صالحة للضدين على سواء ، فإذا قدر على أحدهما قـدر على الآخر ، فتعلُّق العلم والإخبار مـن اللّـه - تعـالى - بـأحد الطرفـين لا يمنـع مقدورية الآخر للعبد . ومنها :

٦- الإسْكَافِيَّة: [١٨ب]

وهم أصحاب «أبي جعفر الإسكاف» ، وهؤلاء قالوا :

إن اللّه - تعالى - لا يقدر على ظلم العقلاء بخلاف ظلم الصبيان والمجـانين ؛ فإنه يقدر عليهم . ومنها :

٧- الجَعْفَرِيَّة :

وهم أصحاب «جعفر بن جعفر بن جعفر بن مبشر وجعفـر بـن حـرب» ، وهؤلاء وافقوا الإسكافية وزادوا عليهم متابعةً لابن المبشر :

أَنَّ في فُسَّاق الأمة من هو شرٌّ من الزنادقة والمجوس .

وأن الإجماع من الأمة على حَدِّ الشرب خطأ ؛ لأن المعتبر في الحدِّ النص .

وسارق الحبَّة فاسق منخلعٌ عن الإيمان . ومنها :

٨- البِشْرِيَّة :

وهم أصحاب «بشر بن المعتمر» ، كان مـن أفـاضل المعتزلـة ، وهـو الـذي أحدث القول بالتوليد .

وهؤلاء ، قالوا :

الأعراض من الألوان والطعوم والروائح وغيرها ، كالإدراكـات مـن السـمع والرؤية ، ويجوز أن تقع متولِّدة في الجسم من فعل الغير ، كما إذا كان أسـبابُها من فعله .

وقالوا : القدرة والاستطاعة : سلامة البِنْية ، والجوارح من الآفات .

وقالوا : إن اللَّه – تعالى – قادر على تعذيب الطفل ، ولو عذبه لكان ظالمًا ، لكن لا يحسن أن يقال في حقه ذلك ، بل يُحبَّبُ أن يقال : ولو عذبه لكان الطفل بالغًا ، عاقلاً ، عاصيًا ، مستحقًا للعقاب .

وفيه تناقض ؛ لأن حاصله أن اللَّه – تعالى – يقدر على الظلم ، ولو ظَلَم لكان عدلاً ، ومنها :

٩- المزدارية :

وهم أصحاب « أبي عيسى بن صبح المزدار » ، وهذا لقبه ، وهو تلميذ بشر ، أخذ العلم عنه ، وتزهَّد حتى سُمِّيَ « راهب المعتزلة » .

وقال : إن اللَّه – تعالى – قادر أن يكذب ويَظلم ، ولو فعل لكان إلهًا كاذبًا ظالمًا ، تعالى اللَّه عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا .

وقال : بجواز أن يقع فعل من فاعلين تولُّدًا لا مباشرة .

وقال : إن الناس قادرون على مثل القرآن وأحسن منه نَظْمًا وبلاغة ، كما قال النظام [١١٩أ] ، وهو الذي بالغ في حدوث القرآن ، وكفَّر القائل بقدمه[١] .

وقال : من لابس السلطان فهو كافر ، لا يرث ولا يورث منه ، وكذا من قال بخلق الأعمال ، وبالرؤية كافر أيضًا .

ومنها :

١٠- الهشامية :

وهم أصحاب « هشام بن عمرو الفوطي » الذي كان مبالغًا في القدر أكثر من مبالغة سائر المعتزلة ، وهؤلاء قالوا :

---

(١) ونحن كذلك لا نقول بقدم القرآن ؛ لأن القرآن كلام اللَّه ، وصفة من صفاته سبحانه ، وهو غير مخلوق ، ومن قال بغير ذلك فهو كفر ، فإن صفات الباري لا توصف بالقدم ، واللَّه أول بلا ابتداء ، آخر بلا انتهاء ، وصفاته ذاتية أو فعلية أو هما معًا كصفة الكلام ، فإنها صفة ذات وفعل كذلك .

لا يطلق اسم الوكيل على الله - تعالى - لاستدعائه موكلاً ، ولم يعلموا أن الوكيل في أسمائه - تعالى - بمعنى الحفيظ ، كما في قوله تعالى : **﴿ وما أنت عليهم بوكيل ﴾** [الأنعام : ١٠٧] .

وقالوا : ألَّف الله تعالى بين القلوب ، مع أنه مخالف لقوله - تعالى- : **﴿ لو أنفقت ما في الأرض جميعًا ما ألَّفت بين قلوبهم ولكن الله ألَّف بينهم ﴾** [الأنفال : ٦٣] .

وقالوا : الأعراض ما تدل على الله تعالى ولا على رسوله ؛ إنما الدَّالُّ على ذلك هو الأجسام ، ويلزمهم على ذلك أن لا يكون فلق البحر ، وقلب العصا حيَّة ، وإحياء الموتى دليلاً على صدق مَنْ ظهر على يده .

وقالوا : لا دلالة في القرآن على حلال وحرام .

والإمامة لا تنعقد مع الاختلاف ؛ بل لا بد من اتفاق الكل .

ومقصودهم من ذلك القول الطعن في إمامة أبي بكر ، إذْ كانت بيعة بلا اتفاق من جميع الصحابة ، لما بقي من كل طرف طائفة على خلافه ، وكانت خلافته باستخلاف رسول الله ﷺ له .

وقالوا : الجنة والنار لم تُخلقا بَعْدُ ؛ إذ لا فائدة في وجودهما الآن .

وقالوا : لم يُحاصَرْ عثمان ، ولم يُقتل ، مع كونه متواترًا .

وقالوا : من أفسد صلاةً في آخرها ، وقد افتتحها أولاً بشروطها ، فأوَّل صلاته معصية منهي عنها مع كونه مخالفًا للإجماع . ومنها :

١١- الصَّالِحِيَّة :

وهم أصحاب « صالح بن جودة » ، ومذهبهم أنهم جوَّزوا قيام العلم ، والقدرة ، والإرادة ، والسمع ، والبصر بالميت ، ويلزمهم جواز أن يكون الناس مع اتصافهم بهذه الصفات أمواتًا ، وأن لا يكون [١٩ب] الباري - تعالي - حيًّا .

وجوزوا خلق الجوهر على الأعراض كلِّها . ومنها :

١٢- الخابطيَّة :

وهم أصحاب «أحمد بن خابط» ، وهو من أصحاب النظام نسبت أتباعه إلى أبيه .

وهؤلاء قالوا : للعالَم إلهان : قديم ، وهو اللَّه - تعالى - وحادث وهو المسيح ، وهو الذي يحاسب الناس في الآخرة ، وهو المراد بقوله تعالى : ﴿**وجاء ربك والملك صفًا صفًا**﴾ [الفجر : ٢٢] .

وهو الذي يأتي في ظُلل من الغمام ، وهو المعني بقوله - عليه الصلاة والسلام -: «**إن اللَّه خلق آدم على صورته**»[(١)] ، وبقوله - عليه الصلاة والسلام -: «**يضع الجبار قدمه في النار ..**»[(٢)] ، وإنما سُمِّي المسيح ؛ لأنه ذرع الأجسام وأحدثها[(٣)] .

قال الآمدي : هؤلاء كفار مشركون . ومنها :

١٣- الحَدْثِيَّةُ :

وهم أصحاب «فضل الحَدْثي» ، ومذهبهم مذهب الخابطية ، إلاَّ أنهم زادوا : التناسخ .

---

(١) جزءٌ من حديث صحيح متفق عليه ، أخرجه البخاري ومسلم ، وسيأتي تخريجه (ص ١٤٧).

(٢) جزء من حديث طويل ، أخرجه البخاري ومسلم .

(٣) هذا كلام الملاحدة ، أما كلام أهل العلم من اللغويين وغيرهم فقد قال ابن منظور في اللسان ، مادة : مسح : المسيح الصِّدِّيق وبه سُمِّي عيسى - عليه السلام . وقيل : سمي به ؛ لأنه كان سائحًا في الأرض لا يستقر . وقيل : سمي بذلك ؛ لأنه كان يمسح بيده على العليل والأكمه والأبرص ، فيبرئه بإذن اللَّه .

وقال شمر : سمي عيسى المسيح ؛ لأنه مسح بالبركة ، وقال أبو العباس : سُمي مسيحًا ؛ لأنه كان يمسح الأرض ؛ أي يقطعها ، وغير ذلك من التأويلات .

وروي عن أبي الهيثم أنه قال : المسيح ابن مريم : الصِّدِّيقُ : وضدُّ الصديق المسيحُ الدجالُ أي الضِّلِّيل الكذاب . خلق اللَّه المسيحين أحدهما ضد الآخر ؛ مسيح الهدى عيسى ابن مريم ، ومسيح الضلالة وهو الدجال .

وقالوا : كلُّ حيوانٍ مكلَّفٌ ، وأنه - تعالى - أبدع الحيوانات عُقلاء بَالِغِين في دارٍ سوى هذه الدار ، وخلق فيهم معرفته والعلم به وأسبغ عليهم نعمهُ ، ثم ابتلاهم وكلفهم شكر نعمه ، فأطاعه البعض فأقرهم في دار النعيم التي ابتدأهم فيها ، وعصاه البعض في الجميع ، فأخرجهم من تلك الدار إلى دار العذاب ، وهي النار ، وأطاعه البعض في البعض فأخرجهم إلى دار الدنيا ، وكساهم هذه الأجساد الكثيفة على صورٍ مختلفة كصورة الإنسان وسائر الحيوانات ، وابتلاهم بالبأساء والضرَّاء ، والآلام واللذات على مقادير ذنوبهم ، فمن كانت معاصيه وطاعته أكثر ، كانت صورته أحسن وآلامه أقل ، ومن كان بالعكس فبالعكس ، ولا يزال يكون الحيوان في صورة بعد صورة مادامت ذنوبه معه ، وهذا عين القول بالتناسخ .

ومنها :

١٤- المُعَمَّرِيَّة :

وهم أصحاب «مُعَمَّر بن عباد السلمي» ، وهؤلاء قالوا : إن اللّه - تعالى - لم يخلق شيئًا غير الأجسام ، وأما الأعراض فيخير عنها الأجسام إما طبْعا كالنار للإحراق والشمس للحرارة ، وإما اختيارًا كالحيوان .

قيل : ومن العجب أن حدوث الأجسام وفناءها عند معمَّر من الأعراض فكيف يكون من فعل الأجسام .

وقالوا : إن اللّه - تعالى - لا يوصف بالقدم ؛ لأنه يدل على التقادم الزماني ، واللّه - تعالى - ليس بزماني .

ولا يعلم اللّه نَفْسَه ، وإلاَّ لاتَّحدَ العالِمُ والمعلومُ وهو ممتنع .

والإنسان لا فعل له غير الإرادة ، مباشرة كانت أو توليدًا ، بناءً على ما ذهبوا إليه من مذهب الفلاسفة في حقيقة الإنسان .

ومنها :

١٥- الأثمامية :

وهم أصحاب «ثمامة بن أشرس النميري» ، وهو كان جامعًا بين سخافة الدين وخلاعة النفس ، وهؤلاء قالوا :

الأفعال المتولَّدة لا فاعل لها ؛ إذ لا يمكن إسنادُها إلى فاعل السَّبَبِ ، لاستلزامه إسناد الفعل إلى الميت ، فيما إذا رمى سَهْمًا إلى شخصٍ ، ومات قبل وصوله إليه ، ولا إلى اللَّه - تعالى - لاستلزامه صدور القبيح عنه تعالى .

وقالوا :

- المعرفة متولِّدة من النظر ، وأنها واجبة قبل الشرع .

- واليهود ، والنصارى ، والمجوس ، والزنادقة يصيرون في الآخرة ترابًا ، لا يدخلون الجنة ولا النار ، وكذا البهائم والأطفال .

- والاستطاعة : سلامة الآلة وهي قبل الفعل .

- ومن لا يعلم خالقه من الكفار معذور .

- والمعارف كلها ضرورية .

- ولا فعل للإنسان غير الإرادة ، وماعداها حادثٌ بلا محدِث .

والعالم فعل اللَّه - تعالى- بطبعه ؛ كأنهم أرادوا به ما يقول الفلاسفة من الإيجاب ، ويلزمهم قدم العالم ، وكان ثمامة في زمن المأمون ، وله عنده منزله .

ومنها :

١٦- الخيَّاطيَّة :

وهم أصحاب «أبي الحسين بن أبي عمرو الخياط» ، وهؤلاء : قالوا بالقدر ؛ بمعنى إسناد الأفعال إلى العباد .

وجعلوا المعدوم شيئًا ثابتًا مقررًا في حال العدم وجوهرًا وعرضًا ؛ [٢٠ب] ومرادهم أن الذوات المعدومة متصفة بصفات الأجناس حال العدم .

وقالوا : إرادة اللّه – تعالى – كونه قادرًا غير مكره ولا كاره ، وهـي أفعـال نفسه ، كونه خالقًا لها ، وفي أفعال عباده الأمر بها ، وكونه سميعًـا بصيرًا أنـه عالـمٌ بمتعلقهما ، وكونه يرى ذاته أو غيره أنه يعلم . ومنها :

١٧- الجاحظية :

وهم أصحاب «عمرو بن بحر الجاحظ» ، كان من الفضلاء والبلغاء في أيـام المعتصم والمتوكـل ، وقـد طـالع كتـب الفلاسفة ، وروَّج كثـيرًا مـن مقـالاتهم بعباراته البليغة اللطيفة ، وهؤلاء قالوا :

- المعارف كلها ضرورية .

- ولا إرادة في أحدٍ منا ؛ إنما إرادته لفعلـه عـدم السـهو فيـه ، بمعنـى كونـه عالمًا ساهٍ عنه ، وإرادته فعل الغير هي ميل النفس إليه .

- وقالوا : إن الأجســام ذوات طبـائع مختلفـة ، لهـا آثـار مخصوصـة ، ويمتنـع انعدام الجواهر ، وإنما تتبدل الأعراض ، والجواهر باقية على حالها ، كما قيـل في الهُيُولى .

- والنار يُجذب إليها أهلها ؛ لأن اللّه – تعالى – يدخلهم فيها .

- والخير والشر من فعل العبد .

- والقرآن جسد ينقلب ؛ تارةً رجلاً ، وتارةً امرأةً .

ومنها :

١٨- الكعبية :

وهم أصحاب «أبي القاسم بن محمد الكعـبي» ، كـان مـن معتزلـة بغـداد ، وتلميذ الخياط ، وهؤلاء قالوا :

- فعل الرب واقع بغير إرادته ، فإذا قيل : إنه – تعالى – مريدٌ لأفعاله ، يـراد أنه خالقها ، وإذا قيل : إنه – تعالى – مريد لأفعال غيره ، يراد أنه أمر بها .

- وقالوا : لا يرى نفسه ولا غيره إلاَّ بمعنى أنه يعلمه ، كما ذهب إليه الخياطية .

ومنها :

١٩- الجُبَّائِيَّة :

وهم أصحاب «أبي علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي» من معتزلة البصرة ، وهؤلاء قالوا :

- إرادة الرب [٢١ب] حادثة ، لا في محل ، واللّه - تعالى - مريد بتلك الإرادة ، موصوف بها .

- والعالَمُ يفني بفناءٍ ، لا في محلٍّ عند إرادة اللّه - تعالى - فناء العالـم .

- واللّه تعالى متكلمٌ بكلام مركَّب من حروف وأصوات يخلقها اللّه - تعالى - في جسمٍ ، والمتكلم بذلك الكلام من فَعَل الكلام وخَلَقَه ، لا مَنْ قام به وحَلَّ فيه .

- وأنه - تعالى - لا يُرى في الآخرة .

- والعبدُ خالقٌ لفعله .

- ومرتكب الكبيرة لا مؤمن ولا كافر ، وإذا مات بلا توبة يُخلد في النار .

- ولا كرامات للأولياء .

- ويجب على اللّه - تعالى - لمن يكلفه إِكْمال عقله وتهيئة أسباب التكليف له ، بمعنى اللطف به ، ورعاية ما هو أصلح له .

- والأنبياء معصومون .

وشارك أبا علي في أحكامه المذكورة «أبو هاشم» ، ثم انفرد عنه بأن : اللّه - تعالى - عالـمٌ بذاته بلا إيجاب صفة هي علم ، ولا حالة توجب العالمية .

وكونه - تعالى - سميعًا بصيرًا ، معناه أنه حيٌّ لا آفة به .

ومنها :

٢٠ ـ الهاشمية:

وهم أصحاب «أبي هاشم»، فإنه انفرد عن أبيه: بإمكان استحقاق الذم والعقاب بلا معصية، مع كونه مخالف للإجماع والحكمة.

وبأنه لا توبة عن كبيرة مع الإصرار على غيرها عالماً بقبحه، ولا مع عدم القدرة عليها.

ويلزمه أن لا يصح إسلام الكافر مع أدنى ذنب أخذ عليه، ولا توبة الكاذب عن الكذب بعدما صار أخرس، ولا توبة الزاني عن الزنا بعدما وجب.

وبأنه لا يتعلق علم واحد بمعلومين على التفضيل.

وللّه ـ تعالى ـ أحوال لا معلومة، ولا مجهولة، ولا قديمة، وحادثة.

قال الآمدي:

هذا تناقض؛ إذ لا معنى لكون الشيء حادثاً إلّا أنه ليس قديماً، ولا معنى لكونه مجهولاً، إلّا أنه ليس معلوماً، على أن إثبات حالة غير معلومة مما لا سبيل إليه.

الفرقة الثالثة

الخوارج[1]

وهم سبع فِرَق، منها:

١ ـ المحكِّمة[2]:

وهم الذين خرجوا على عليٍّ عند التحكيم وكفَّروه، وهم اثنا عشر [٢١ب] ألف رجل، كانوا أهل صلاة وصيام، قالوا:

١ ـ من نُصِّب من قريش وغيرهم وعَدَلَ فيما بين الناس فهو إمام؛ وإن غَيَّر السيرةَ وجَارَ، وجب أن يُعْزَل أو يُقتل.

٢ ـ ولم يوجبوا نصب الإمام؛ بل جوزوا أن لا يكون في العالم إمام.

٣ ـ وكفَّروا عثمان وأكثر الصحابة.

٤ ـ ومرتكب الكبيرة[3].

---

(١) الخوارج هم: الذين خرجوا على علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ بعد التحكيم، ومن أصولهم:
١ ـ تكفير مرتكب الكبيرة، وإن لم يستحل.
٢ ـ قتال الأئمة على ذلك.
٣ ـ التبرؤ من عثمان، وعلي وأصحاب الجمل، وتكفيرهم.
وهم مشهورون بالجهل الشديد بمقاصد الشريعة، والغلظة والجفاء، والنظر إلى ظاهر النصوص بغير تدبر ولا تعقل.
وانظر «مقالات الإسلاميين» (١٦٧، ١٦٨)، «الاعتصام» (٢/٢٠٦ ـ ٢٢٠).

(٢) سُمُّوا المحكِّمة؛ لإنكارهم الحَكَمَيْن، وقولهم: لا حكم إلا للّه، تنطعاً، وقد ناظرهم ابن عباس وأمير المؤمنين عمر بن العزيز، ولولا خشية الإطالة لنقلت هذه المناظرات من «جامع بيان العلم» لابن عبدالبر بتحقيقي (٢/٩٦٢ ـ ٩٦٧)، وانظر في ألقابهم، وذكر أول من حكَّم: «مقالات الإسلاميين» (١/٢٠٦ ـ ٢١٢)، «الملل والنحل» للشهرستاني (ص٥٠ ـ ٥٢).

(٣) أي كَفَّرُوهُ.

ومنها :

٢- البيهسِية :

وهم أصحاب «أبي بيهس الهيصَم بن جابر»[١].

وهؤلاء قالوا :

١- الإيمان هو الإقرار ، والعلم بالله وبما جاء به الرسول - عليه الصلاة والسلام - فمن وقع فيما لا يعرف حلالٌ هو أم حرام فهو كافر ؛ لوجوب التفحص عليه حتى يعلم الحق ، وقال بعضهم : لا يكفر حتى يُرفع أمره إلى الإمام فيحده ، وكل ما ليس فيه حدٌّ فهو مغفور .

٢- وقال بعضهم : لا حرام إلاَّ في قوله تعالى : ﴿ **قل لا أجد فيما أوحي إليَّ محرمًا على طاعم يطعمه إلاَّ أن يكون ميتة أو دمًا مسفوحًا أو لحم خنزير فإنه رجسٌ أو فسقًا أُهل لغير الله به** ﴾ [الأنعام : ١٤٥] .

٣- وقال بعضهم : إذا كفر الإمام كفرت الرعية حاضرًا أو غائبًا[٢] .

٤- وقالوا : الأطفال كآبائهم إيمانًا وكفرًا .

٥- ووافقوا القدرية في إسناد أفعال العباد إليهم .

ومنها :

---

(١) في الأصل : بيهس بن الهيضم ، والتصويب من المراجع ، قال ابن قتيبة في «المعارف» (٢٦٧) : «البيهسية من الخوارج ينسبون إلى بيهس من بني سعد بن ضبيعة بن قيس ، واسمه هيثم بن جابر ، وكان عثمان بن حيان المزني والي المدينة قطع يديه ورجليه» .

وقال الشهرستاني في «الملل» (ص ٥٤) : «.. وقد كان الحجاج طلبه أيام الوليد فهرب إلى المدينة ، فطلبه بها عثمان بن حيان المزني فظفر به وحبسه ، وكان يسامره إلى أن ورد كتاب الوليد بأن يقطع يديه ورجليه ثم يقتله ، ففعل به ذلك» . اهـ .

(٢) والقائلون بهذا منهم قومٌ يُسمُّون «العونية» ، وانظر «مقالات الإسلاميين» (١/١٩١، ١٩٢) ، «الملل والنحل» للشهرستاني (ص ٥٤، ٥٥) .

٣- الأزارقة[١] :

وهم أصحاب «نافع بن الأزرق» ، وهؤلاء قالوا :

١- كَفَرَ عليٌّ بالتحكيم ، وهو الذي أُنزل في شأنه : ﴿ **ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو أَلَدُّ الخصام** ﴾ [البقرة : ٢٠٤] ، وابن ملجم محق في قتله ، وهو الذي أنزل فيه : ﴿ **ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله** ﴾ [البقرة : ٢٠٧] .

٢- وقالوا : كفرت الصحابة ، وقضوا بتخليدهم في النار .

٣- وكفّروا القعدة عن القتال ، وإن كانوا موافقين لهم في الدين .

٤- وقالوا : بتحريم التَّقِيَّة[٢] في القول والعمل .

٥- ويجوز قتل أولاد المخالفين ونساءهم .

٦- ولا رجم على الزاني المحصن ؛ لأنه غير [٢٢أ] مذكور في القرآن .

٧- ولا حدَّ على النساء للقذف ؛ لأن المذكور في القرآن صِيغة ﴿ **الذين** ﴾ ، وهي للذكور .

٨- وأطفال المشركين في النار مع آبائهم .

٩- ويجوز أن يكون النبي كافرًا ، وإن علم كفره بعد النبوة .

١٠- ومرتكب الكبيرة كافر .

ومنها :

---

(١) هم قومٌ خرجوا مع نافع بن الأزرق أبي راشد المتوفي سنة ٦٠ هـ ، خرجوا معه من البصرة إلى الأهواز في أيام عبد الله بن الزبير ، فغلبوا عليها وعلى كورها ، وما وراءها من بلدان فارس وكرمان ، وأصابوا منهم مقتلة عظيمة .

وانظر : «مقالات الإسلاميين» (١/١٦٨- ١٧٤) ، و«الملل والنحل» للشهرستاني (ص ٥٢، ٥٣) ، «خطط المقريزي» (٢/٣٥٤) .

(٢) أي الكذب والنفاق الّذيْن هما دين الشيعة ، وأصلان من أصول بدعتهم .

٤- النجدات :

وهم أصحاب « نجدة بن عامر الحنفي »[١] ، فمنهم :

العاذرية : الذين عذروا الناس بالجهالات في الفروع بسبب أن نجدة وجَّه ابنه مع جيش إلى القطيف فقتلوهم وأسروا نساءهم ، ونكحوهن قبل القسمة ، وأكلوا من الغنيمة قبلها أيضًا ، فلما رجعوا إلى نجدة وأخبروه بما فعلوا فقال : لا يسعكم ما فعلتم . فقالوا : لم نعلم أنه لا يسعنا ، فعذرهم بجهالتهم ، فاختلفوا بعد ذلك ، فمنهم من تابعه .

وقالوا : إن الدِّين أمران ، أحدهما : معرفة الله - تعالى - ورسله ، والإقرار بما جاء به الرسول جملة ، فهذا هو الذي لا يعذر فيه الجاهل به .

والثاني : ما سوى ذلك ، والجاهل به معذور ، فهؤلاء هم الذين سُمُّوا عاذرية.

وقال النجدات كلهم : لا حاجة للناس إلى الإمام ، بل الواجب عليهم رعاية النصفة فيما بينهم ، ويجوز لهم نصبه إذا رأوْا أن تلك الرعاية لا تتم إلاَّ بإمام يحملهم عليها .

وخالفوا الأزارقة في غير التكفير - يعني أنهم وافقوهم في التكفير ، وخالفوهم في الأحكام الباقية -[٢] .

---

(١) في الأصل : النخعي ، وهو تصحيف ، والصواب ما ذكرناه ، وقد قتله أصحابه سنة ٦٩ هـ . وكان من شأنه أنه خرج من اليمامة مع عسكره يريد اللحوق بالأزارقة لينضم إلى معسكرهم ، فاستقبلهم نفرٌ من أهل عسكر نافع قد خالفوه ، فأخبروه بما أحدثه نافع من تكفير القعدة عنه ، وبايعوا نجدة بن عامر .

وانظر : « مقالات الإسلاميين » (١/١٧٤- ١٧٦) ، « الملل » للشهرستاني (٥٣- ٥٤) ، وقال المقريزي في « الخطط » (٢/٣٥٤) : « لا يقال لهم : « النجدَات » ، ولا يقال لهم : « النجدية » . وهذا للاحتراز عما انتسب إلى نجدة ، وكذا في جميع من صنَّف فيهم وترجم لهم » .

(٢) أشار أبو الحسن الأشعري أن « النجدات » لا ترى أن كل كبيرة كُفرٌ ، خلافًا للخوارج ، « مقالات الإسلاميين » (١٦٧، ١٦٨) .

ومنها :

٥- الأصفرية[١] :

وهم أصحاب « زياد بن الأصفر » ، وهؤلاء :

١- يخالفون الأزارقة في تكفير القعدة [على[٢]] القتال إذا كانوا موافقين لهم في الدِّين .

٢- وفي إسقاط الرجم ، حيث لم يسقطوه .

٣- وفي أطفال الكفار ، حيث لم يقولوا بكونهم في النار مع آبائهم .

٤- وفي منع التقية في القول ، حيث جوزوا التقية في القول دون العمل .

٥- وقالوا : المعصية الموجبة للحد لا يُسمى صاحبُها إلاَّ بها فيقال مثلاً : [٢٢ب] سارق ، أو زانٍ ، أو قاذف ، ولا يقال : كافر ، وما لا حدَّ فيه لعظمه كترك الصلاة والصوم كفرٌ ، فيقال لصاحبه : كافر[٣] ، ويقال : تزوجت المؤمنة المعتقدة لما هو في دينهم، من الكافر المخالف لهم في دار التقية دون دار العلانية[٤] .

---

(١) ويقال لهم أيضًا الصُّفْرِية الزِّيَادِيَّة .

(٢) كذا ، والصواب : عن .

(٣) قال أبو الحسن الأشعري في « المقالات » (١/١٨٣) ، « وأزالوا اسم الإيمان في الوجهين جميعًا » .

(٤) وزاد الشهرستاني (ص ٥٨) قال : « ورأى زياد بن الأصفر جميع الصدقات سهمًا واحدًا في حال التقية . ويحكى عنه أنه قال : نحن مؤمنون عند أنفسنا ، ولا ندري لعلنا خرجنا من الإيمان عند الله . وقال : الشرك شركان : شركٌ هو طاعة الشيطان ، وشرك هو عبادة الأوثان . والكفر كفران : كفر بإنكار النعمة ، وكفر بإنكار الربوبية . والبراءة براءتان : براءة من أهل الحدود سُنَّة ، وبراءة من أهل الجحود فريضة » . اهـ .

وزاد الأشعري في « المقالات » قال : « ... ويقال : إن الصفرية نُسبوا إلى « عبيدة » الذي قال بجملة مذهب الخوارج : من أن مخالفيهم مشركون ، السيرةُ فيهم السيرةُ من أهل حرب رسول الله ﷺ الذين حاربوه من المشركين » .

وأصل قول الخوارج إنما هو قول الأزارقة ، والإباضية ، والصفرية ، والنجدية ، وكل الأصناف سوى الأزارقة ، والإباضية، والنجدية ، إنما تفرعوا من الصفرية » . اهـ .

ومنها :

٦- الإِباضية :

وهم أصحاب «عبد الله بن إباض» ، وهؤلاء قالوا :

١- مخالفونا من أهل القبلة كفار غير مشركين ، يجوز مناكحتهم ، وغنيمة أموالهم من سلاحهم وكراعهم حلال عند الحرب دون غيره ، ودارهم دار السلام إِلاَّ معسكر سلطانهم .

٢- وقالوا : تقبل شهادة مخالفيهم عليهم .

٣- ومرتكب الكبيرة موحِّد غير مؤمن ، بناءً على أن الأعمال داخلة في الإيمان والاستطاعة قبل الفعل .

٤- وفعل العبد مخلوق للّه تعالى .

٥- ويفنى العالم كله بفناء أهل التكليف .

٦- وتوقفوا في :

* تكفير أولاد الكفار ، وتعذيبهم .
* وفي النفاق أهو شرك أم لا ؟
* وفي جواز بعثة رسول بلا دليل ومعجزة .
* وفي تكليف أتباعه فيما يوحى إليه - يعني أنهم ترددوا - وأن ذلك جائز أو لا ؟!

٧- وكفَّروا عليًّا وأكثر الصحابة .

وهؤلاء افترقوا ثلاث فرق :

ومنها :

أ- الحفصية :

وهم أصحاب «حفص[1] بن أبي المقدام» ، وهؤلاء زادوا على الإباضية :

---

(١) في الأصل : أبي حفص بن أبي المقدام ، والصواب : حفص بدون الزيادة «أبي» .

أن بين الإيمان والشرك معرفة اللّه – تعالى – ؛ فإنها خصلة متوسطة بينهما ؛ فمن عرف اللّه – تعالى – وكفر بما سواه من رسول اللّه ، أو جنة أو نار ، أو بارتكاب كبيرة ، فكافر لا مشرك »[١] .

ومنها :

ب- اليزيدية :

وهم أصحاب « يزيد بن أنيسة » ، وهؤلاء زادوا على الإباضية ، وقالوا :

١- سيُبعث من العجم نبي بكتاب يكتب في السماء وينزل عليه جملة [٢٣أ] واحدة ، ويترك شريعة محمد – عليه الصلاة والسلام – إلى ملة الصابئة المذكورة في القرآن .

٢- وقالوا : أصحاب الحدود مشركون ، وكل ذنبٍ شركٌ كبيرة كانت أو صغيرة[٢] .

---

(١) ثم قال بعد ذلك : « الإيمان بالكتب والرسل متصل بتوحيد اللّه ، فمن كفر بذلك فقد أشرك باللّه » . اهـ . « المقالات » لأبي الحسن الأشعري (١/١٨٤) ، وزاد :

« وتأوَّلوا في عثمان نحو ما تأولت الشيعة في أبي بكر وعمر ، وزعم أن عليًّا هو الحيران الذي ذكره اللّه في قوله : ﴿ **كالذى استهوته الشياطين فى الأرض حيران له أصحاب يدعونه إلى الهدى ائتنا** ﴾ ، وأن أصحابه الذين يدعونه إلى الهدى أهلُ النهروان ، وزعم أن عليًّا هو الذي أنزل اللّه – سبحانه – فيه : ﴿ **ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا** ﴾ ، وأن عبد الرحمن بن مُلْجَم هو الذي قال اللّه فيه : ﴿ **ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات اللّه** ﴾ . » اهـ . وانظر « الملل » للشهرستاني (ص ٥٨) .

(٢) وزاد :

٣- قالوا: نتولى المحكمة الأولى، ونبرأ ممن كان بعد ذلك من أهل الأحداث، ونتولى الإباضية كلها.

٤- ويزعمون أنهم مسلمون كلهم إلا من بلغه قولنا فكذبه أو من خرج . =

ومنها :

جـ- الحارثية :

وهم أصحاب « الحارث الإباضي » ، وهؤلاء :

١- خالفوا الإباضية في القدر ؛ بمعنى كون أفعال العباد مخلوقة للّه تعالى .

٢- وفي كون الاستطاعة قبل الفعل .

وآخر السبع من فرق الخوارج[١] .

ومنها :

٧- العجاردة :

وهم أصحاب « عبد الكريم[٢] بن عجرد » ، وهؤلاء زادوا على النجدات بعد أن وافقوهم في مذهبهم :

١- وجوب البراءة عن الطفل حتى يدعى للإسلام بعد البلوغ ، فإذا بلغ يجب دعاؤه إلى الإسلام .

٢- وأطفال المشركين في النار[٣] .

= ٥- وخالفوا الحفصية في الإكفار والتشريك ، وقالوا بقول الجمهور ، وقيل : إنهم قالوا بالتشريك .

ومن الإباضية من وقف في يزيد ، ومنهم من برئ منه ، وجلُّهم تبرأ منه » . اهـ . من « المقالات » (١/١٨٤) ، وانظر « الملل » للشهرستاني (ص ٥٨) .

(١) وانظر بقية مقالاتهم الفاسدة الباطلة « مقالات الإسلاميين » (١/١٨٥- ١٩٠) ، ومعنى أن الإباضية آخر السبع من الخوارج أنهم بعد : المحكمة الأولى ؛ والأزارقة ، والنجدات ، والبيهسية ، والعجاردة ، والثعالبة . هكذا على الترتيب ، وانظر « الملل » للشهرستاني (ص ٥٨) .

(٢) وفي الأصل : عبد الرحمن ، والصواب ما أثبتناه .

(٣) وزاد الشهرستاني عن عبد الكريم بن عجرد أنه : « لا يرى المال فيئًا حتى يُقتل صاحبُه ، وهم يتولون القعدة إذا عرفوهم بالديانة ، ويرون الهجرة فضيلة لا فريضة ، ويكفرون بالكبائر ، وينكرون سورة يوسف من القرآن ، ويزعمون أنها قصة من القصص ، وقالوا : ولا يجوز أن تكون قصة العشق من القرآن » . اهـ . (ص ٥٥) .

وهم عشر فرق[١] :

ومنها :

١- الميمونية :

وهم أصحاب «ميمون بن عمران»[٢] ، وهؤلاء :

١- قالوا بالقدر - بمعنى إسناد الأفعال إلى قُدرة العباد ، وتكون الاستطاعة قبل الفعل[٣] .

٢- وأن الله - تعالى - يريد الخير دون الشر ، ولا يريد المعاصي كما هو مذهب المعتزلة .

٣- وقالوا : أطفال المشركين في الجنة .

٤- وروي عنهم تجويز نكاح بنات البنين وبنات البنات ، وأولاد الإخوة والأخوات .

٥- وإنكار سورة يوسف - عليه السلام -؛ فإنهم زعموا أنها قصة من القصص ، وقالوا : لا يجوز أن تكون قصة العشق[٤] قرآنًا .

ومنها :

---

(١) وقَسَّمهم الأشعري في «المقالات» إلى خمس عشرة فرقة ، وسار على منواله الشهرستاني في «الملل» ، غير أنه زاد فرقتين ، والمحصلة أن الفرق واحدة ، غير أنهم جعلوا بعضها فرعًا من أخرى وتصورًا عنها ، وسنبين ذلك في حينه ، إن شاء الله .

(٢) في كتب المصادر : خالد . هذا ، ولقد تفردت كل فرقة من الفرق عن مجمل اعتقاد العجاردة بما ذُكِر من اعتقادها .

(٣) «ذلك أنهم يزعمون أن الله فوَّض الأعمال إلى العباد ، وجعل لهم الاستطاعة إلى كل ما كلفوا ؛ فهم يستطيعون الكفر والإيمان جميعًا ، وليس لله - سبحانه وتعالى - في أعمال العباد مشيئة ، وليست أعمال العباد مخلوقة لله» . اهـ . من «مقالات الإسلاميين» (١/١٧٧) ، وانظر «الملل» للشهرستاني (ص ٥٥) .

(٤) تصحف في الأصل إلى : الفسق ، بالفاء ، ثم السين المهملة .

٢- الحَمْزِيَّةِ :

وهم أصحاب « حمزة بن أدرك »[١] ، وهؤلاء وافقوا الميمونية فيما ذهبوا إليه من البدع ، إِلاَّ أنهم قالوا : أطفال الكفار في النار .

ومنها :

٣- الشعيبية :

وهم أصحاب « شعيب بن محمد »[٢] ، وهؤلاء كالميمونة في بدعهم ، إلا في القدر .

---

(١) قال الشهرستاني (ص ٥٥) : « وكان حمزة من أصحاب الحسين بن الرقاد الذي خرج بسجستان من أهل أوق ، وخالفه خَلَف الخارجي في القول بالقدر ، واستحقاق الرئاسة ، فبرئ كل واحد منهما عن صاحبه ، وجوَّز حمزة إمامين في عصر واحد ، ما لم تجتمع الكلمة ، ولم يقهر الأعداء » . اهـ .

ونقل - عنهم - أبو الحسن الأشعري في « المقالات » (١/٧٧) :

« ... وأنهم يرون قتال السلطان خاصة ومن رضي بحكمه ، فأما من أنكره فلا يرون قتله ، إلا إذا أعان عليهم ، أو طعن في دينهم ، أو صار عونًا للسلطان أو دليلاً له » .

وحكي عنهم أنهم لا يرون قتل أهل القبلة ، ولا أخذ المال في السِّرِّ حتى تبعث الحرب » . اهـ .

(٢) وكان شعيب بن محمد مع ميمون من جملة العجاردة ، إلا أنه برئ منه حين أظهر القول بالقدر .

وقال شعيب : ١- إن اللَّه خالق أعمال العباد ، والعبد مكتسب لها قدرة وإرادة ، مسئول عنها خيرًا وشرًا ، مجازى عليها ثوابًا وعقابًا ، ولا يكون شيء في الوجود إلا بمشيئة اللَّه تعالى .

٢- وهو على بدع الخوارج في الإمامة والوعيد .

٣- وعلى بدع العجاردة في حكم الأطفال ، وحكم القعدة والتولي والتبري » . اهـ . من الملل للشهرستاني (ص ٥٦) .

ونقل أبو الحسن في « المقالات » (١/١٧٨) ، أن سبب الفُرقة بين الشعيبية والميمونة أنه كان لميمون على شعيب مالٌ ، فتقاضاه ، فقال له شعيب : أعطيكه إن شاء اللَّه ، فقال ميمون : قد =

ومنها :

٤- الحازمية[١] :

وهم أصحاب « حازم بن عاصم » ، وهؤلاء وافقوا الشعيبية ، ويُحكى عنهم أنهم يتوقفون في أمر عليٍّ ، ولا يصرحون بالبراءة عن غيره .

ومنها :

٥- الخَلَفِيَّة :

وهم [٢٣ب] أصحاب « خلف الخارجي » ، وهؤلاء خوارج كرمان ومكران.

١- أضافوا القدر خيره وشرَّه إلى الله تعالى[٢] .

٢- وحكموا بأن أطفال المشركين في النار بلا عمل ولا ترك[٣] .

= شاء الله أن تعطينيه الساعة ، فقال شعيب : لو شاء لم أقدر ألاَّ أعطيكه ، فقال ميمون : فإن الله قد شاء ما أمر ، وما لم يأمر لم يشأ ، وما لم يشأ لم يأمر ؛ فتابع ناسٌ ميمونًا ، وتابع ناسٌ شعيبًا ، فكتبوا إلى عبد الكريم بن عجرد - وهو في حبس خالد بن عبد الله البجلي - يعلمونه قول ميمون وشعيب ، فكتب عبد الكريم : إنَّا نقول ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن ، ولا نُلْحِق بالله سوءًا ، فوصل الكتاب إليهم ، ومات عبد الكريم ، فادعى ميمون أنه قال بقوله حين قال : « لا نلحق بالله سوءًا » . وقال شعيب : لا ، بل قال بقولي ، حيث قال : « ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن » . فتولَّوْا جميعًا عبد الكريم، وبرئ بعضهم من بعض. اهـ.

(١) الحازمية بالحاء المهملة ، قال الشهرستاني : وهم أصحاب حازم بن علي ، وعند الأشعري في « المقالات » (١٧٩/١) : الخازمية بالخاء المعجمة الموحدة .

« والذي تفردُّوا به أنهم قالوا في القدر بالإثبات ، وبأن الولاية والعداوة صفتان لله - عز وجل - في ذاته ، وأن الله يتولى العباد على ما هم صائرون إليه ، وإن كانوا في أكثر أحوالهم مؤمنين » . اهـ . من « المقالات » . وانظر « الملل » للشهرستاني (ص ٥٦) .

(٢) وهذا معتقد أهل السنة والجماعة .

(٣) تصحف في الأصل : ولاشرك بالشين المعجمة ، والصواب : ولا ترك ، بالتاء . قال الشهرستاني : وهذا من أعجب ما يعتقد من التناقض . « الملل » (ص ٥٦) .

ومنها :

٦- الأطرافيَّة :

وهم على مذهب حمزة ، إلاَّ أنهم عذروا أهل الأطراف فيما لم يَعْرِفوا من الشريعة إذا أتوْا بما يُعرف لزومه من جهة العقل .

ووافقوا أهل السنة في أصولهم ، وفي نفي القدرة المؤثرة عن العباد .

ورئيسهم رجلٌ من سجستان[١] . ومنها :

٧- المعلومية[٢] :

وهم كالحازمية ، إلاَّ أن :

١- المؤمن عندهم مَنْ عرف الله - تعالى - بجميع أسمائه وصفاته ، ومن لم يعرفه كذلك فهو جاهل لا مؤمن .

٢- وفعل العبد مخلوق لله تعالى[٣] .

ومنها :

---

(١) اسمه : غالب بن شاذك . وانظر « الملل » للشهرستاني (ص ٥٦) .

(٢) قال أبو الحسن الأشعري : هذه الفرقة : « الخارفية » يدعون « المعلومية » .

وزاد أنهم يقولون : إن الاستطاعة مع الفعل ، ولا يكون إلا ما شاء الله . وكذا ذكر الشهرستاني .

(٣) يبدو أن هذا سبق قلم من الناسخ ، وإلاَّ فإن المصادر أجمعت على أنهم قالوا : « والفعل مخلوق للعبد » ، فبرئت منهم الحازمية ، كذا قال الشهرستاني . وقال الأشعري : « وإن أفعال العباد ليست مخلوقة » . في معرض ذكره لمعتقدهم .

« الملل » للشهرستاني (ص ٥٧) ، « مقالات الإسلاميين » (١/١٧٩) .

٨- المجهوليَّة[١] :

ومذهبهم كمذهب الحازمية أيضًا ، إلاَّ أنهم قالوا :

١- يكفي معرفة الله - تعالى - ببعض أسمائه ؛ فمن علمه به فهو عارف به مؤمن .

٢- وفعل العبد مخلوق لله تعالى[٢] .

ومنها :

٩- الصَّلْتية :

وهم أصحاب «عثمان بن أبي الصلت»[٣] ، وقيل : «الصلت بن أبي الصلت» ، وهؤلاء كالعجاردة[٤] ، إلاَّ أنهم قالوا :

١- من أسلم (واستجار بنا)[٥] توليناه ، وبرئنا من أطفاله حتى يبلغوا ويدعوْا إلى الإسلام فيقبلوا ، وروي عن بعضهم أن الأطفال سواء كانوا للمسلمين أو للمشركين ، لا ولاية لهم ، ولا عداوة حتى يبلغوا ويدعوا إلى الإسلام ، فيقبلوا أو ينكروا . ومنها :

---

(١) ملحوظة : جعل الشهرستاني (المجهولية والمعلومية) من فرق الثعالبة ، وزاد :

البدعية : أصحاب يحيى بن أصدم ، أبدعوا القول بأن نقطع على أنفسنا من اعتقد اعتقادنا فهو من أهل الجنة ، ولا نقول : إن شاء الله ؛ فإن ذلك شك في الاعتقاد . ومن قال : أنا مؤمن إن شاء الله ، فهو شاك ، فنحن من أهل الجنة قطعًا ، من غير شك . اهـ . (ص ٥٧) .

في الوقت الذي جعلهما (المجهولية والمعلومية) الأشعريُّ من فرق الخازمية . انظر «المقالات» (١٧٩/١)

(٢) وزاد الأشعري في معتقدهم : ٣- وقالوا بإثبات القدر .

(٣) تصحف في الأصل : «الصلت» . إلى : «الصامت» .

(٤) بل هم فرقة منهم .

(٥) كذا ، وفي المصادر «واستجاب لنا» . فانظر : «الملل» للشهرستاني (ص ٥٥) و«المقالات» (١٧٩/١) .

١٠- الثعالبة :

وهم أصحاب «ثعلبة بن[١] عامر» ، وهؤلاء قالوا :

١- بولاية الأطفال صغارًا كانوا أو كبارًا حتى يظهر منهم إنكار الحق بعد البلوغ ، وقد نقل عنهم أيضًا أن الأطفال لا حكم لهم من ولاية أو عداوة إلى أن يدركوا .

٢- ويرون أخذ الزكاةِ من العبيد إذا استغنوا وإعِطاءها لهم [٢٤أ] إذا افتقروا .

وتفرقت هذه الفرقة أربع فرق :

ومنها :

١- الأخنسيَّة :

وهم أصحاب «أخنس بن قيس» ، وهؤلاء كالثعالبة ، إلاَّ أنهم امتازوا[٢] عنهم :

١- وتوقفوا فيمن هو في دار التقية من أهل القبلة ، فلم يحكموا عليه بإيمان ولا بكفر ، إلاَّ من علم حاله من إيمانه وكفره .

٢- وحرَّموا الاغتيال بالقتل لمخالفيهم ، والسرقة من أموالهم .

٣- ونقل عنهم جواز تزويج المسلمات من مشركي قومهم[٣] .

ومنها :

---

(١) كذا في المصادر ، وهو الصحيح ، وفي الأصل : ثعلب . وكان ثعلبة مع عبد الكريم بن عجرد يدًا واحدة إلى أن اختلفا في أمر الأطفال ، فقال ثعلبة : أنا على ولاية الأطفال .. وذكر الرأيان عنه . كذا قال الشهرستاني ، ولم ينقل أبو الحسن الأشعري عنه إلاَّ التبري .

(٢) بمعنى تميزوا عنهم وانفردوا .

(٣) وقال الشهرستاني : وهم على أصول الخوارج في سائر المسائل .

٢- المَعْبَدِيَّة :

وهم أصحاب «معبد بن عبد الرحمن» ، وهؤلاء خالفوا الأخنسية في تزويج المسلمات من المشركين ، وخالفوا الثعالبة في أخذ الزكاة من العبيد ودفعها إليهم .

ومنها :

٣- الشيبانية[١] :

وهم أصحاب «شيبان بن سلمة» ، وهؤلاء قالوا :

١- بالجبر[٢] .

٢- والقدرة الحادثة[٣] .

ومنها :

---

(١) شيبان بن سلمة خرج على نصر بن سيَّار في أيـام أبي مسـلم الخراسـاني ، فكـان معينـًا لـه ولعلي بن الكرماني على ابن سيار ، فلما أعانهما برئت منه الخوارج .

فلما قُتِل شيبان ذكَر قومٌ توبتَه ، فلـم تقبـل الثعالبـة منهـم توبتـه ؛ لأنـه قتـل الموافقـين لهـم في المذهب ، وأخذ أموالهم ، ولا تقبل توبة من قتل مسلمًا وأخذَ ماله إلاَّ بأن يقتص من نفسه ، ويرد الأموال ، أو يُوهب ذلك له ، وشيبان لـم يفعل شيئًا من ذلـك ، فـإن زعمتـم أنكـم قـد دفعتـم توبته من دار التقية فقد كذبتـم ؛ فإن أمره كان ظاهرًا ، ودعوته كانت ظاهرة إلى أن قُتِل ، فقبـل قومٌ منهم توبته فسمُّوا «الشيبانية» .

(٢) موافقة للجهم بن صفوان .

(٣) أي قال بنفي القدرة الحادثة .

قال الأشعري : «ثم إن الشيبانية أحدثوا التشبيه للّه بخلقه» (١/١٨١) ، وقال الشهرستاني في «الملل» (ص ٥٧) :

«وينقل عن زياد بن عبد الرحمن الشيباني أبي خالد أنـه قـال : إن اللّـه لـم يعلـم حتـى خلـق لنفسه عِلمًا ، وأن الأشياء إنما تصير معلومة له عند حدوثها ووجودها .

ونُقل عنه أنه تبرأ من شيبان ، وأكفره حين نصر الرجلين ، فوقعت عامة الشيبانية بجرجـان ، ونسا ، وأرمينية ، والذي تولى شيبان ، وقال بتوبته : عطية الجرجاني وأصحابـه» . اهـ . وهـؤلاء سماهم الأشعري «الزيادية» .

٤- المُكْرَمِيَّة :

وهم أصحاب «مكرم العجلي»[١] ، وهؤلاء قالوا :

١- تارك الصلاة كافر ، لا لترك الصلاة ، بل لجهله بالله - تعالى - ؛ فإن من علم أنه - تعالى - مطلع على سرِّه وعَلَنِهِ ، ومجازيه على طاعته ومعصيته لا يتصور منه الإقدام على ترك الصلاة .

٢- وكذا مرتكب كل كبيرة ، فإنه كافر لجهله بالله - تعالى - كما ذكر[٢] .

٣- وموالاة الله - تعالى - ومعاداته لعباده باعتبار العاقبة ، وما هم صائرون إليه عند موافاة الموت لا باعتبار أعمالهم التي هم عليها ؛ لأنها غير موثوق بدوامها ، فكذا نحن ، فإن من وصل إلى حال الموت إن كان مؤمنًا في تلك الحالة واليناه ، وإن كان كافرًا عاديناه .

فإذن تكون فرق الخوارج عشرين فرقة ؛ لأن العجاردة عشر فرق ، فبضمها إلى الست السابقة تصير ست عشرة ، وتتشعب من الثعالبة والإباضية أربع فرق أخرى فيصير المجموع عشرين فرقة ، بل أكثر .

* * *

---

(١) هو : مكرم بن عبد الله العجلي ، كان من جملة الثعالبة ، فتفرد عنهم بما ذُكر هنا ، وكنّاه الأشعري أبا مكرم ولم يسمه .

(٢) يحتجون لذلك بمثل الحديث : « **لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن** .. » الحديث . وقد رددت على فكر الخوارج وأفراخهم بجمع مادة ما يوهم الخروج من الملة وليس كذلك ، وشرحته شرحًا يبين منهج أهل السنة والجماعة ويقمع الجهال المخالفين في كتاب أسميته « إتحاف المهنا ببيان معنى قوله ﷺ : « **ليس منا** » . فاللهم يسر طبعه .

□ الفرقة الرابعة □

المرجئة

لقبوا بذلك ؛ لأنهم يرجئون العمل عن النية ؛ [٢٤ب] أي يؤخرونه في الرتبة عنها وعن الاعتقاد[١] ، أو لأنهم يقولون : لا يضر مع الإيمان معصية ، كما لا تنفع مع الكفر طاعة[٢] .

وفرقهم خمس[٣] ، منها :

---

(١) وهذا على اعتبار أحد المعنيين لكلمة « الإرجاء » ، وهو : التأخير ، كما في قوله تبارك وتعالى : ﴿ قالوا أرجه وأخاه ﴾ ؛ أي أمهله وأخِّره .

(٢) وهذا على اعتبار المعنى الثاني لكلمة « الإرجاء » بمعنى : إعطاء الرجاء ، فقد كانوا يعطون المؤمن العاصي الرجاء في ثواب الله ، وقال الشهرستاني في « الملل » (ص ٦٠) :

« ... وقيل الإرجاء تأخير حكم صاحب الكبيرة إلى يوم القيامة ؛ فلا يقضى عليه بحكم ما في الدنيا ، من كونه من أهل الجنة أو من أهل النار ، فعلى هذا ، المرجئة والوعيدية فرقتان متقابلتان .

وقيل : الإرجاء تأخير علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – عن الدرجة الأولى إلى الرابعة . فعلى هذا ، المرجئة والشيعة فرقتان متقابلتان .

والمرجئة أربعة أصناف : مرجئة الخوارج ، ومرجئة القدرية ، ومرجئة الجبرية ، والمرجئة الخالصة » . اهـ .

(٣) كذا قال المصنِّف ، ولم يذكر الفرقة السادسة ، وهي « الصالحية » ، كما ذكر ذلك الشهرستاني ، والذي يغلب على ظني أن ابن الجوزي ناقل عنه .

* وقال الأشعري في « المقالات » (٢١٣/١) : « وهم – أي المرجئة – اثنتا عشرة فرقة .. » ، ثم ذهب يتكلم عن كل واحدة .. حتى (ص ٢٢٢) .

* قلت : ووجه هذا التوسع عندي – والله أعلم – أن الفرق الخمس التي ذكرها المصنف وغيره هي أقسام : المرجئة الخالصة .

وأما زيادة الفرق الأخرى التي ذكرها أبو الحسن – رحمه الله – فيدخُل فيها فرق : مرجئة الخوارج ، ومرجئة القدرية ، ومرجئة الجبرية ، بدليل أنه ذكر الجهمية (ص ٢١٤)، وقد عدها المصنف فرقة مستقلة ، كما ذكر الغيلانية (ص ٢١٧) ، وهم أتباع غيلان الدمشقي القدري ، وذكر المريسية (ص ٢٢٢) أتباع بشر المريسي ، كما ذكر الكرامية (ص ٢٢٣) ، وغيرهم .

١- اليونسية :

وهم أصحاب « يونس النميري » ، وهؤلاء قالوا :

١- الإيمان هو المعرفة بالله - تعالى - والخضوع له ، والمحبة بالقلب ، فمن اجتمعت فيه هذه الصفات ، فهو مؤمن لا يضر معها ترك الطاعات وارتكاب المعاصي ، ولا يعاقب عليها .

٢- وإبليس كان عارفًا بالله - تعالى - وإنما كفر باستكباره وترك الخضوع للّه - تعالى - كما دلَّ عليه قوله - تعالى -: ﴿**واستكبر وكان من الكافرين**﴾ [البقرة : ٣٤] .

ومنها :

٢- العُبيدية :

وهم أصحاب « عبيد المكتئب »[1] ، وهؤلاء زادوا على اليونسية وقالوا :

١- أن علم الله لم يزل شيئًا غير ذاته ، وكذا باقي صفاته .

٢- وأنه- تعالى- على صورة الإنسان ، لما ورد في الحديث :

« **إن الله تعالى خلق آدم على صورته** »[2] .

أو : « **على صورة الرحمن** »[3] على اختلاف الرواية .

---

(١) في الأصل : المكذب ، والتصحيح من « الملل » للشهرستاني (ص ٦٠) .

(٢) أخرجه البخاري (٦٢٢٧) كتاب الاستئذان ، باب بدء السلام ، ومسلم (٢٦١٢) ، وللحديث تأويلات جيدة انظرها في :

١- فتح الباري (١٨٣/٥) ، (٣/١١) .

٢- شرح النووي ، كتاب البر والصلة ، باب : النهي عن ضرب الوجه .

٣- شرح الواسطية لابن عثيمين - حفظه الله (١٠٧/١- ١١٢) ، وغيرها من مصادر العقيدة ، وتقدم الحديث (ص ١٢٤) .

(٣) أما لفظ : « **على صورة الرحمن** » ، فإنه ليسرني جدًّا أن أحيل فيه القارئ الكريم إلى بحث شيخنا الإمام العلامة الألباني في « الضعيفة » (رقم ١١٧٦) ، فإنه ممتع جدًّا على تقدير ضعف الحديث ، وإن كنا نستسمح شيخنا في أن نخالفه في ذلك وحجتنا أنَّ : =

ومنها :

٣- الغَسَّانية :

أصحاب «غسان الكوفي» ، وهؤلاء قالوا :

= الصورة في اللغة : الذات المتصفة بالصفات ، فالحق - تبارك وتعالى - له ذات وله صفات ، وآدم له ذات وله صفات ، واللغة عند تجردها عامة الاستخدام بين الله وبين آدم ، فلما قال ﷺ : «**خلق الله آدم على صورته**» ؛ أي في القدر المشترك عند تجرد الألفاظ عن الإضافة ، لكن لو قيدت فإن صورة آدم بينها وبين صورة الحق - تبارك وتعالى - ما دل عليه قوله تعالى : ﴿**ليس كمثله شيء**﴾ [الشورى : ١١] .

مثال :

صفة اليد عند التجرد ، صالحة للاستخدام عند الله وعند آدم ، ولكنها لو أضيفت إلى الله ليست هي يد آدم ، ولو أضيفت إلى آدم ليست هي يد الله ، ولذا قال ابن تيمية : «ما من شيئين إلا وبينهما قدر مشترك وقدر فارق ، فمن نفى القدر المشترك فقد عطل ، ومن نفى القدر الفارق فقد مثل» .

ولذا ، فإن مَنْ قدَّر عَوْدَ الضمير في قوله ﷺ : «.. **صورته**» على آدم مردودٌ من ناحيتين :

١- لأن التقدير حينئذ : «أن الله خلق آدم على صورة آدم» ، وهو كلام غير بليغ ، ولا يليق بكلام النبوة ، ولا بالنبي ﷺ الذي أوتي جوامع الكلم .

٢- أنه لم يتضح لديه «القدر المشترك والقدر الفارق في الصورة» ، والذي تقدم بسطه آنفًا .

٣- وأزيد فأقول : إن الذين استبشعوا لفظ : «**صورة الرحمن**» ، قالوا بلزوم التشبيه بين الله وبين خلقه ، وليس الأمر كذلك ، وما يضرهم لو أنهم أثبتوا لله ما أثبته لنفسه ، وأثبته له رسوله على ما يليق بجلاله وكماله سبحانه ؟!

وأن تنزيه الله- تعالى- لا يكون بسلب ونفي صفاته وما تدل عليه من العظمة والكمال كما أراد سبحانه : ﴿**قل أأنتم أعلم أم الله**﴾ ؟! وأن التنزيه - حق التنزيه - إنما يكون في إثبات الصفة في أعلى كمالها ؛ لأن الكمال المطلق لا يوصف به أحدٌ غير الله تعالى .

هذا ، وإنه ليترجح لدينا - مع قلة البضاعة وفقدان الصناعة - صحة الحديث بلفظيه : «**على صورته .. وعلى صورة الرحمن**» ، وأن الضمير في اللفظ الأول محمول على التصريح في اللفظ الثاني ، على أصول السلف في صفات الباري - تبارك وتعالى - على النحو المتقدم .

١- الإيمان هو المعرفة باللّه- تعالى - وبرسوله ، وبما جاء من عندهما إجمالاً لا تفصيلاً .

٢- وهو يزيد وينقص[١] .

٣- وذلك الإجمال مثل أن يقول : قد فرض اللّه الحج ، ولا أدري أين الكعبة ، ولعلها بغير مكة ، وبعث اللّه محمدًا رسولاً ، ولا أدري أهو الذي بالمدينة أم غيره ، وحرَّم الخنزير ، ولا أدري أهو هذه الشاة أم غيرها .

فإن القائل بهذه المقالات مؤمن ، ومقصوده بما ذكره أن هذه الأمور ليست داخلة في حقيقة الإيمان ، وإلاَّ فلا شبهة في أن عاقلاً لا يشك فيها .

ومنها :

٤- الثوبانية :

وهم أصحاب « [أبي][٢] ثوبان المرجيء » ، وهؤلاء قالوا :

١- الإيمان هو المعرفة ، والإقرار باللّه - تعالى - وبرسوله [٢٥أ] ، وبكل ما لا يجوز في العقل أن يفعله ، وأما ما جاز في العقل أن يفعله فليس الاعتقاد به من الإيمان .

٢- وأخَّروا العمل كله عن الإيمان .

٣- واتفقوا على أنه - تعالى - لو عفا في القيامة عن عاصٍ ؛ لعفا عن كل من هو مثله ، وكذا لو أخرج واحدًا من النار ؛ لأخرج كل من هو مثله .

٤- ولم يجزموا بخروج المؤمنين من النار .

---

(١) والصواب أنهم قالوا : الإيمان لا يزيد ولا ينقص ، وهو قول المرجئة المشهور من معتقداتهم ، وسقط حرف « لا » يقينًا من الناسخ .

(٢) الزيادة سقطت من الأصل ، والصواب إثباتها كما في المراجع ومصادر العقيدة .

ومنها :

٥- التُّومَنِيَّة :

وهم أصحاب «أبي معاذ التومني» ، وهؤلاء قالوا :

١- الإيمان هو المعرفة ، والتصديق ، والمحبة ، والإخلاص ، والإقرار بما جاء به الرسول - عليه السلام -، وترك كله أو بعضه كفر ، وليس بعضه إيمانًا ، ولا بعضه كفرًا .

٢- وكل معصية لم يجمع على أنه كفر[1] ، فصاحبه يقال فيه : إنه فَسَقَ أو عَصَى ، ولا يُقال : إنه فاسق .

٣- ومن ترك الصلاة مستحلاً يكفر ؛ لتكذيبه بما جاء به النبي - عليه الصلاة والسلام - ومن تركها بنية القضاء لا يكفر .

٤- ومن قتل نبيًّا أو لطمه يكفر ، لا لأجل القتل أو اللطمة ، بل لكونه دليلاً على تكذيبه وبغضه .

فهذه هي المرجئة الخالصة ، ومنهم من جمع بين الإرجاء والقدر ، بمعنى إسناد الأفعال إلى العباد كالصالحي ، وأبي شمر ، ومحمد بن شبيب ، بل الخروج أيضًا كغيلان ، حيث قالوا : يجوز أن لا يكون الإمام قرشيًّا .

* * *

---

(١) الجملة هكذا في الأصل ، وبيانها كما في «الملل» للشهرستاني (ص ٦١) : «.. وكل معصية كبيرة أو صغيرة ، لم يُجمع عليها المسلمون بأنها كُفْرٌ ، لا يُقال لصاحبها فاسق ..» .

□ الفرقة الخامسة □

النَّجارية[1]

وهم أصحاب «محمد بن الحسين»[2] ، وهؤلاء موافقون لأهل السنة في خلق الأفعال[3]، وكونِ الاستطاعة مع الفعل[4] ، وكون العبد مكتسبًا لفعله[5] .

---

(١) النَّجارية هي إحدى فرق الجبرية ، ولا أدري لماذا أفردها المصنِّف بالذكر هنا ، وجعل الجبرية تحت « الفرقة السادسة » .

والجبرية ثلاث فرق : ١- الجهمية . ٢- النجارية . ٣- الضرارية .

ولم يذكر المصنِّف الفرقة الأخيرة ، وهي « الضرارية » ، فانظر بحثها في « الملل » للشهرستاني (ص ٣٧، ٣٨) ، وغيره .

(٢) كذا بالأصل ، والصواب : الحسين بن محمد بن عبد الله النجار ، أبو عبد الله ، كان حائكًا في طراز العباس بن محمد الهاشمي ، وهو من متكلمي المجبرة ، وقد قيل : إنه كان يعمل الموازين ، وكان إذا تكلم سُمع له صوتٌ كصوت الخفاش ، وله مع النَّظَّام مجالس ومناظرات ، وسبب موته أنه تناظر مع النظام ، فأفحمه النظام ، فقام محمومًا ، ومات عقب ذلك . (أفاده الشيخ محيي الدين عبد الحميد - رحمه الله - في حاشية الأشعري) .

(٣) ومعنى خلق الأفعال هي أفعال العباد خَلَقَها الله - تبارك وتعالى - وأوجدها وأذِن في وقوعها وأرادها - إرادة شرعية دينية أو كونية قدرية- حيث لا يكون في ملكه إلا ما أراد ، والعبدُ هو الفاعل الحقيقي لأفعاله المكتسب لها بقلبه وجوارحه .

(٤) الاستطاعة والقدرة عند عامة أهل العلم من أهل السنة والجماعة تنقسم إلى قسمين :

أ- قدرة يجب بها الفعل ، وهي مناط الأمر والنهي ، ولها تعلق بالصحة ، والوسع ، والتمكن ، وسلامة الآلات ، وهذه القدرة تتقدم الفعل ، كما في قوله تعالى : ﴿ **ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ..** ﴾ ، فأوجب الحج على المستطيع ، فلو لم يستطع إلا من حج ، لم يكن الحج قد وجب إلا على من حج ، ولم يعاقب أحدًا على ترك الحج ، وهذا خلاف المعلوم من دين الإسلام بالضرورة .

ب- قدرة مقارنة للفعل ، وهي التي يكون بها الفعل من نحو التوفيق الذي لا يوصف المخلوق به ، فهذه تكون مع الفعل، ولا يجوز أن يوجد الفعل بقدرة معدومة .

(٥) انظر التعليق قبل السابق .

وموافقون للمعتزلة في نفي الصفات الوجودية، وحدوث الكلام، ونفي الرؤية بالأبصار.

وفرقهم ثلاث، منها:

١- البرغوثية[١]:

وهم قالوا: كلام اللَّه - تعالى - إذا قرئ عَرَضٌ، وإذا كُتب بأي شيء كان فهو جِسْمٌ.

ومنها:

٢- الزعفرانية[٢]:

وهم قالوا: كلام اللَّه - تعالى - غيره، وكل ما هو غيره مخلوق، ومن قال: [٢٥ب] كلام اللَّه - تعالى - مخلوق فهو كافر[٣]. ومنها:

٣- المستدركة[٤]:

وهم استدركوا على الزعفرانية، وقالوا: كلام اللَّه - تعالى - مخلوق مطلقًا، لكنا في نفيه وافقنا السنة الواردة بأن كلام اللَّه غير مخلوق، والإجماع المنعقد عليه، وأوَّلناه بما هذه الصورة حكايته، أي حملنا قولهم: غير مخلوق على أنه غير مخلوق على هذا الترتيب والنظم من هذه الحروف والأصوات، بل هو مخلوق على غير هذه الحروف، وهذه الحروف حكاية عنها.

---

(١) البرغوثية أتباع محمد بن عيسى الملقب ببرغوث، كان موافقًا للنجار في أكثر مسائل المذهب، وخالفه في بعضها، فانظر: «الفرق بين الفرق» (ص ٢٠٩)، «الملل» (ص ٣٧) «رسالة في الرد على الرافضة» (ص ١٧٠، ١٧١)، «مقالات الإسلاميين» (١/٣٤٠، ٣٤١).

(٢) وانظر في عقيدة هذه الفرقة: «الملل» (ص ٣٧)، «التبصير» (٦٢)، «عقيدة السفاريني» (١/٩٠).

(٣) قال الشهرستاني: لعلهم أرادوا بذلك الاختلاف؛ وإلا فالتناقض ظاهر.

(٤) انظر ما تقدم من مصادر.

وقالوا : أقوال مخالفينا كلها كذب ، حتى قولهم : لا إله إلا الله ؛ فإنه كذب أيضًـا .

◻ الفرقة السادسة ◻

الجبرية[١]

وهم نوعان : خالصة ومتوسطة .

أما المتوسطة : فغير خالصة في القول بالجبر المحض ، بـل هـي متوسـطة بـين الجبر والتفويـض ، تثبـت للعبـد كسبـًا في الفعـل بـلا تأثـير فيـه كالأشـعرية ، والنجارية ، والضرارية .

وأما الخالصة : فلا تثبت للعبد كسبًا في الفعل ؛ بـل تُسـند فعـل العبـد إلى الله - تعالى - كـــ :

✱ الجهمية :

وهم أصحاب « جهم بن صفوان الترمذي السمرقندي[٢] » ، وهؤلاء قالوا :

---

(١) الجبر : هو نفي الفعل حقيقة عن العبد ، وإضافته إلى الله - تبارك وتعالى - بأنه خالق لكـل شيء في الوجود ومريد له ، والإنسان مجبور على الفعل دون إرادة منه ولا قدرة ، حتى في الأفعال الاختيارية .

ونسبة الفعل إليه لكونه مظهرًا لتلك الأفعال فحسب ، وعلى هذا فالجبرية هم الذين لا يثبتـون للعبد فعلاً ولا قدرة على الفعل أصلاً ، ويضيفون الأفعال إلى الرب - تبارك وتعالى - حقيقة .

وعلى هذا فالجبر عند الجبرية هو أساس التوحيد ؛ لأن الله- تعـالى- واحـدٌ ، ومقتضـى هـذا التوحيد أن يكون الواحد - سبحانه - متصفًا بالخلق وحده ، فلا يشركه أحدٌ في هـذا الوصـف ، والذي دعا إلى هذا المذهب المنحرف أولاً هو الجعـد بـن درهـم ، وأخـذه عنـه تلميـذه الجهـم بـن صفوان ، وهؤلاء الجبرية الخالصة ، وأصل بدعتهم يهودية ؛ لأن جعدًا أخذها عن أبان بن سمعـان ، وأخذها أبان من طالوت بن أخت لبيد بن الأعصم ، عن خاله لبيد اليهودي الساحر الـذي سـحر النبي ﷺ ، وانظر الفتوى الحموية (ص ٢٤) لشيخ الإسلام ابن تيمية .

(٢) الجَهْمُ بـن صفـوان ، أبـو مُحـرز الراسبي ، مولاهـم ، السـمرقندي ، الكـاتب المتكلـم ، أُس الضلالة ، ورأس الجهمية ، كان صاحب ذكاء وجدال كان ينكر الصفات ، وينزه الباري عنهـا =

١- لا قدرة للعبد أصلاً ، لا مؤثرة ولا كاسبة ، بل هو بمنزلة الجمادات فيما يوجد منها .

٢- والله - تعالى - لا يعلم الشيء قبل وقوعه ، وعِلْمُهُ - تعالى - حَادِثٌ، لا في محلٍ .

٣- وأنه - تعالى - لا يتّصف بما يوصف به غيره كالعِلْم والحياة ، إذ يلزم منه التشبيه .

٤- والجنة والنار تَفْنَيَانِ بعد دخول أهلهما فيهما ، حتى لا يبقى موجود سوى اللَّهُ تعالى .

ووافقوا المعتزلة في :

= بزعمه ، ويقول بخلق القرآن ، ويقول: إن الله في الأمكنة كلها ، ويقول : الإيمان عقد بالقلب ، وإن تلفظ بالكفر .

كذا قال الذهبي في « السير » (٦/٢٦، ٢٧) .

وقال في « ميزان الاعتدال » (١/٤٢٦) :

« .. الضال المبتدع ، رأس الجهمية ، هلك في زمان صغار التابعين ، وما علمتُه روى شيئًا ، لكنه زرع شرًا عظيمًا » .

وقال عنه الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله - في كتابه العظيم : « الرد على الزنادقة والجهمية » (ص ٢٣) : « وكذلك الجهم وشيعته دعوا الناس إلى المتشابه من القرآن والحديث ، فضلوا وأضلوا بكلامهم بشرًا كثيرًا ، فكان مما بلغنا من أمر الجهم - عدو الله - أنه كان من أهل خراسان من أهل ترمذ ، وكان صاحب خصومات وكلام » .

وبهذا الكلام يثبت عدم صحة كلام الشيخ جمال الدين القاسمي الذي يرى أن الجهم كان من أحرص الناس على إقامة كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وأن قتله إنما كان لأمر سياسي بسبب خروجه في وجه بني أمية ، ولم يكن قتله لأمر ديني يوجب ذلك . وانظر كتابه « تاريخ الجهمية والمعتزلة » (ص ١٤- ١٨) .

١- نفي الرؤية .
٢- وخلق الكلام .
٣- وإيجاب المعرفة بالعقل قبل ورود الشرع[1] .

ومنها :

* **المشبهة :**

وهم يشبهون الله - تعالى - بالمخلوقات ، ومثلوه بالمحدثات ، وهم لأجل ذلك كانوا [٢٦أ] فرقة واحدة قائلة بالتشبيه ، وإن اختلفوا في طريقه ، فمنهم :

أ- مشبهة غلاة الشيعة : كالسبائية ، والبنانية ، والمغيرية ، وغيرهم كما تقدم من مذاهبهم الخبيثة القائلة بالتجسيم ، والحركة ، والانتقال ، والحلول في الأجسام ، إلى غير ذلك من أقوالهم القبيحة الباطلة ، ومنهم :

ب- مشبهة الحشوية : فإنهم قالوا : إن الله - تعالى - جسم لا كالأجسام ، من لحم ودم لا كاللحوم والدماء ، وله الأعضاء والجوارح ، ويجوز عليه الملامسة ، والمصافحة ، والمعانقة للمخلصين الذين يزورونه في الدنيا ويزورهم . حتى نقل أن بعضهم قال : اعفوني عن اللحية والفرج وسلوني عما وراءه . ومنهم :

جـ- مشبهة الكرامية :

وهم أصحاب «أبي عبد الله بن محمد بن كرام» ، وأقوالهم في التشبيه متعددة مختلفة ، غير أنها لا تنتهى إلى من يعبأ به ويبالى بقوله ، فاختير الاقتصار على ما قال زعيمهم وهو :

---

(١) زد على ذلك في معتقدهم :
١- في التوحيد : إنكار جميع الصفات والأسماء ، ويجعلون أسماء الله من باب المجاز .
٢- قولهم بالجبر والإرجاء .
٣- إنكارهم للصراط ، والميزان ، وعذاب القبر ، والاستواء .

١- أن اللّه - تعالى - على العرش من جهة العلو ، ممـاس لـه مـن الصفحـة العليا ، ويجوز عليه الحركة والنزول .

واختلفوا : يملأ العرش أم لا يملؤه ؟ بل هـو على بعضـه ؟ وقـال بعضهـم : ليس هو على العرش ، بل هو محاز للعرش .

واختلفوا : ببُعْدٍ متَنَاهٍ أو بغير متناه ؟!

ومنهم من أطلق عليه لفظ الجسم .

ثم اختلفوا : هل هو متنـاه مـن الجهـات كلهـا ؟ أو متنـاه مـن جهـة تحت فقط ؟ أو ليس بمتناه ، بل هو غير متناهٍ في جميع الجهات ؟!

٢- وقالوا : إنه - تعالى - محل الحوادث في ذاته ، وزعمـوا أنـه - تعـالى - إنما يقدر على الحوادث الحالية دون الخارجة عن ذاته .

٣- ويجب عليه أن يكون أول خلقه حيًّا يصح منه الاستدلال .

٤- وقالوا : [٢٦ب] النبوة والرسالة صفتان قائمتان بذات الرسول سـوى الوحـي ، وسـوى أمـر اللّـه - تعـالى - بـالتبليغ ، وسـوى المعجـزة والعصمـة ، وصاحب تلك الصفة رسول بسبب اتصافه بها عن غير إرسال ، وعلـى اللّه - تعالى - إرساله ، ولا يجوز إرسال غير الرسول ، وهو حين أرسل مرسل ، فكل مرسل رسول بلا عكس كلـي ، ويجـوز عـزل مرسـل عـن كونـه مرسـلاً دون الرسول ؛ فإنه لا يتصور عزله عن كونه رسـولاً ، وليـس مـن الحكمـة إرسـال رسول واحد ؛ بل لا بد من تعدُّده .

٥- وجوَّزوا إِمَامَيْن في عصر واحد كعلي ومعاوية ؛ إلاَّ أن إمامة عليٍّ علـى وفق السنة بخلاف إمامة معاوية ، لكن يجب طاعة رعيته له .

٦- وقالوا : الإيمان هو الإقـرار الـذي وجـد في الأزل مـن الـذر حـين قـال اللّه - تعالى - لهم : ﴿ أَلَسـتُ بربكـم ﴾ [الأعـراف : ١٧٢] ، وهـو بـاق في الكل على السوية إلا المرتدين .

٧- وإيمان المنافق مع كفره كإيمان الأنبياء؛ لاستواء الجميع في ذلك الإيمان .

٨- والكلمتان[١] ليستا بإيمان إلا بعد الرِّدَّة .

فهذه هي الفرق الضالـة الذين قـال فيهـم رسـول اللّـه ﷺ : ((.. **كلهـم في النار ...**))[٢] .

وأما :

◻ الفرقة الناجية ◻

فأهل السنة والجماعة[٣]

وهم الذين استثناهم النبي - عليه الصلاة والسلام - وقـال فيهـم : ((.. **هـم الذين كانوا على ما أنا عليه وأصحابي**)) .

ومذهبهم خالٍ عن بدع هؤلاء المذكورين ، فإنهم قد أجمعوا على :

---

(١) وهما الشهادتان .

(٢) وهو جزء من حديث صحيح طويل ، رواه جمع من الصحابة في ذِكْر افتراق الأُمم ، وبيان أن هذه الأمة ستفترق إلى ثلاث وسبعين فرقة ، كلها في النار إلا واحدة ، وهـم أهـل الأثـر والاتبـاع على نهج النبوة ، لا أهل الانحراف والزيغ والابتداع .

وانظر للفائدة الحديث رقم (٢٠٤) السلسلة الصحيحة لشيخنا العلامة حسنة الزمـان ، وقـدوة الأيام في عصرنا هذا ، المجدد ، المجاهد ، المجتهد الألبـاني حفظـه اللّـه تعـالى، وسـائر العلمـاء وأهـل الفضل ونفع بهم ، آمين .

(٣) أهل السنة سُمُّوا بذلك ؛ لأنهم تمسَّكوا بسنة الرسـول ﷺ وحـافظوا عليهـا ، وعضـوا عليهـا بالنواجذ ، ولـم يرضوا بسواها بديلاً ، واجتمعوا على ذلك ولـم يفترقوا كما افترق أهل البدع .

وأصل الجماعة بمعنى الاجتماع ، فهي اسم مصدر ، ثم أطلق على القوم المجتمعين .

ولا يضر أهل السنة والجماعة اختلافهم في الفروع الفقهية أو العقدية ؛ فإنه خـلاف لا يُضلل به المخالف ، بخلاف أهل البدع ، فإنهم إذا اختلفوا في أصلٍ أو فرعٍ ضلّل بعضُهم بعضـًا ، ولعـنَ بعضُهم بعضـًا ، وكفَّر بعضهم بعضـًا ، فاللهم اعصمنا .

١ ـ حدوث العالم[(١)].

٢ ـ ووجود الباريء تعالى.

٣ ـ وكونه متصفاً بالعلم والقدرة، وسائر صفات الكمال والجمال.

٤ ـ لا شبيه ولا نظير له.

٥ ـ ولا خالق [٢٧أ] سواه.

٦ ـ ولا يحل في شيء[(٢)].

---

(١) قال ابن أبي العز الحنفي في «شرح الطحاوية» (١٠٦ ـ ١١٣): «ولا شك أن جمهور العالم من جميع الطوائف يقولون: إنَّ كُلّ ما سوى الله ـ تعالى ـ مخلوق، كائن بعد أن لم يكن، وهذا قول الرسل وأتباعهم من المسلمين، واليهود، والنصارى، وغيرهم.

فإنه ـ سبحانه ـ متقدم على كلِّ فردٍ من مخلوقاته تقدُّماً لا أوّل له، فلكل مخلوق أوّل، والخالق ـ سبحانه ـ لا أوّل له، فهو وحده الخالق، وكل ما سواه مخلوق.

وكلُّ ما سوى الله مُحْدَثٌ ممكن الوجود، موجود بإيجاد الله ـ تعالى ـ له، ليس له من نفسه إلا العدمُ والفقر، والاحتياج وصفٌ ذاتيٌ لازمٌ لكل ما سوى الله تعالى، والله ـ تعالى ـ واجب الوجود لذاته، غنيٌ لذاته، والغِنى وصفٌ ذاتي لازم له ـ سبحانه وتعالى ـ».

«وحدوث العالم لا يعني أن الله كان معطَلاً عن الفعل في الأزل، كما هو معتقد الجهمية، بل هو سبحانه: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ قبل الخلق، وحال الخلق، وبعد الخلق، وهذا يعني إمكانية أن يخلق في الأزل، وكما هو معلوم في معتقد السلف الصالح أن التسلسل في الأزل جائز، وفي الأبد واجب، وفي المؤثرين ممتنع؛ لأن الله هو الخالق، ويمنع أن يقال: «من خلق الله؟». انظر شرح الطحاوية (ص٦٧، ٧٥)». ط مكتبة الدعوة.

(٢) قوله: «ولا يحل في شيء» على معنى أنه باذته لا تحويه مخلوقاته ولا تحيط به، فهذا صحيح، ولكن إن كان المقصود نفي المعنى الوارد في حديث الجارية لما سألها رسول الله: «أين الله؟» قالت: في السماء، أو قوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ فهذا خطأ؛ لأن المعنى المقصود من هذه الأدلة في فهم السلف غير المعنى المشار إليه في عقيدة الخلف، فهم ظنوا أن معنى كونه في السماء أنه حل فيها، والحقيقة أن الأمر ليس كذلك، إذ أن معنى ﴿فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ هو علوه على عرشه كما قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ قال: أبو الحسن الأشعري في ـ الإبانة: (وقال تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ﴾، فالسموات فوقها العرش، فلما كان=

٧ ـ ولا يقوم بذاته حادث[١].

٨ ـ وليس في حيز ولا جهة[٢].

= العرش فوق السموات قال: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾؛ لأنه مستو على العرش الذي فوق السموات، وكل ما علا فهو سماء والعرش أعلى السموات، وليس إذا قال: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ يعني جميع السموات، وإنما أراد العرش الذي هو أعلى السموات. «الإبانة عن أصول الديانة» تحقيق د. فوقية حسين (ص١٠٧). (م).

(١) قوله: «ولا يقوم بذاته حادث»، هذه العبارة عبارة المتكلمين، أما قول السلف فهو أن الله ليس كمثله شيء في ذاته، أو في صفاته، أو في أفعاله كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾، أما الخلف من الأشعرية فقد استخدموا هذه العبارة ـ أعني نفي حلول الحوادث بذات الله ـ ليستروا تحتها نفي صفات الأفعال، كالاستواء، والنزول إلى السماء، والمجيء لفصل القضاء، والقبض والبسط، وغير ذلك من صفات الأفعال، وحجتهم أنه ـ سبحانه ـ لو اتصف بشيء من ذلك لكان متحركاً، وكل متحرك حادث، والحوادث لا تقوم بذات الله ـ تعالى ـ. انظر شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص٦٨، ٦٩، طبعة مكتبة الدعوة. (م).

(٢) قوله: «ليس في حيز ولا جهة» هذه العبارة شأنها شأن العبارة السابقة، ليست من كلام السلف، وإنما استخدمها الخلف من الأشعرية لنفي صفة النزول والعلو، فقالوا: لو اتصف بالنزول في الثلث الأخير من الليل لكان موجوداً في وقت دون وقت، ولو كان في جهة لكان متحيزاً، وكل متحيز حادث، وهذا الكلام باطل؛ لأنه لا يصلح أن يطبق على الخالق، وإنما يطبق على المخلوق فقط، أما الخالق فليس كمثله شيء في نزوله، إذ لم نره، ولم نرَ لنزوله مثيلاً، فكيف يقال في حقه مثل هذا الكلام، كما أن لفظ الجهة لفظ محدث لم يرد في عبارات السلف، وإنما الوارد أنه في العلو فوق العرش في السماء، وليس في سفل كما تقول الجهمية أو سائر المعطلة: إنه بكل مكان، ولذا لا بد لِنَافي الجهة أن يقال له: إن أردت جهة سفل، فهذا صحيح، وإن أردت جهة علو تحيط بالله كما هو ظن الأشعرية في قوله: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ فالله ليس كذلك. وإن أردت نفي جهة علو لا تحيط بالله، فهذا باطل؛ لأن السلف أجمعوا أن الله بذاته فوق عرشه، وعرشه فوق الماء، والماء فوق السماء، والله محيط بكل شيء، عليم بكل شيء، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، له معية عامة بأوصافه مع سائر الخلق، ومعية خاصة مع المؤمنين بالنصر والتأييد. (م).

٩- ولا يصح عليه الحركة والانتقال[(١)] ، ولا الجهل ولا الكذب ، ولا شيء من صفات النقص .

١٠- وهو مرئي في الآخرة .

١١- ما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن .

١٢- غني لا يحتاج إلى شيء ، ولا يجب عليه شيء ، إن أثاب فبفضله ، وإن عاقب فبعدله .

١٣- لا غرض لفعله[(٢)] ، ولا حاكم سواه .

---

(١) قوله : «ولا يصح عليه الحركة والانتقال» عبارة محدثة ، القصد فيها كما سبق نفي صفات الأفعال بأقيسة الشمول ، كقولهم : لو كان على العرش لكان محمولاً ، ولو كان متكلمًا لكان له جارحة ، ولو كان كذا لكان كذا ، وغير ذلك من أقيسة البشر التي أفرد الله نفسه عنها وقال : ﴿ **ليس كمثله شيء** ﴾ ، ﴿ **ولم يكن له كفوًا أحد** ﴾ فقولهم لا يصح عليه الحركة والانتقال ؛ لأنه لو كان متحركًا لكان محدثًا ، يصح في وصف البشر ولا يصح في وصف الله ؛ لأنه قول عليه بلا علم وهو محرم ، فإذا قال الله تعالى : ﴿ **وجاء ربك والملك صفًا صفًا** ﴾ علمنا أن المجئ معلوم ؛ لأنه كلام عربي له معنى ، وعلمنا أن كيفية مجيئه لا يعلمها إلا هو ؛ لأننا ما رأيناها وما رأينا لها مثيلاً . (م) .

(٢) ادعاء المصنف أن هذا المصطلح أجمع عليه أهل السنة ادعاء مردود من وجوه :

الأول : أنه مصطلح حادث أحدثته الصوفية ، ولم يكن معلومًا لدى السلف .

الثاني : أنه كلام حمّال مطاط ؛ فإذا كان الغرض منه أن الله – تعالى – لا ينفعه إيمان مؤمن ، ولا يضره كفر كافر ؛ كما قال تعالى : ﴿ **لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم** ﴾ [الحج : ٣٧] ، وقال تعالى : ﴿ **من عمل صالحًا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد** ﴾ [فصلت : ٤٦] ، وغيرها من الآيات في هذا المعنى .

إذا كان هذا هو الغرض من هذا المصطلح ، فنعم ، ولكن التزام ما ورد في مصطلحات السلف أولى وأحوط .

الثالث : وإذا كان الغرض من هذا المصطلح أن الله – تعالى – لا يتصف بالحكمة في قوله وشرعه ، في أمره ونهيه ، كما هو دين بعض الصوفية ، فهذا كلام من أبطل الباطل ، بل هو كفر محض ، والله يعصمنا من الزلل .

١٤- ولا يوصف فيما يفعل بظلم ، ولا فيما يحكم بجور .

١٥- وهو غير متبعِّض[١] .

١٦- ولا له حدٌّ ولا نهاية[٢] .

١٧- وله في مخلوقاته الزيادة[٣] والنقصان[٤] ، والمعـاد الجسماني ، والمجـازاة والمحاسبة ، والصراط ، والميزان ، وكون كل من الجنـة والنـار مخلوقـًا ، وخلـود أهل الجنة فيها ، والكفار في النار حقٌّ .

١٨- والعفو عن المذنبين جائز[٥] .

١٩- والشفاعة حق .

٢٠- وبعثة الرسل بالمعجزات من آدم إلى محمد - عليـه الصـلاة والسـلام - حق .

٢١- وأهل بيعة الرضوان تحت الشجرة ، وأهل بدر من أهل الجنة .

٢٢- ونصب الإمام واجب على المكلَّفين .

---

(١) ، (٢) قوله : « وهو غير متبعض ، ولا لـه حـد ولا نهايـة » ، عبـارة محدثـة مرنـة أراد بهـا الأشعرية نفي صفات الذات كالوجه ، واليدين ، والأصـابع ، والقـدم ، والسـاق بحجـة أن إثبـات هذه الصفات يدل على الجسمية ، وإثبات الأبعاض ، والأجـزاء للّه ، وهـذا الكـلام بـاطل ؛ لأن هذه الصفات ليست كأوصاف البشر الذي يجري عليهم مثل هذا الكلام ، فاللّه ليس كمثله شـيء في ذاته ، أو في أوصافه .

واعتقاد السلف في ذلك إثبات ما أثبته اللّه لنفسه ، وما أثبته رسوله ﷺ ، من غير تمثيـل ، ولا تكييف ، ولا تعطيل ، ولا تحريف . (م)

(٣) الزيادة بمعنى الإحياء .

(٤) والنقصان بمعنى الإماتة ؛ لأنه - سبحانه - يحيي ويميت ، ويخلق ما يشاء .

(٥) الجواز هنا بمعنى المشيئة فهو - سبحانه - إن شاء عذب المذنبين ، وإن شاء عفا عنهم بفضلـه ومَنِّه ، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون .

٢٣- والإمام الحق بعد رسول الله ﷺ أبو بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم علي ، والأفضلية بهذا الترتيب ، هذا هو الحق عند أهل السنة والجماعة .

٢٤- ثم إن المخالف للحق من أهل القبلة هل يكفر أم لا ؟

ذهب جمهور المتكلمين والفقهاء على أن أحدًا من أهل القبلة لا يكفر[(١)] .

قال الشيخ أبو الحسن الأشعري[(٢)] في أول كتاب «مقالات الإسلاميين»[(٣)] .

---

(١) إلاَّ بذنب قد استحلَّه بعد قيام الحجة الرسالية عليه ، أو أتى ما ينقض إسلامه وإيمانه ، ولذا فإن كلام السيد الشريف - الآتي بعده - أقوى وأضبط من إطلاق هذا الكلام .

(٢) هو إمام المتكلمين العلاَّمة علي بن إسماعيل بن أبي بشر .. وينتهي نسبه إلى بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري اليماني البصري ، مولده سنة ستين ومائتين ، وكان عجبًا في الذكاء ، وقوة الفهم ، ولما برع في معرفة الاعتزال كرهه وتبرأ منه ، وصعد للناس ، فتاب إلى الله - تعالى - منه ، ثم أخذ يردُّ على المعتزلة ، ويهتك عوارهم .

قال أبو بكر الصيرفي : كانت المعتزلة قد رفعوا رءوسهم ، حتى نشأ الأشعري فحجرهم في أقماع السمسم .

ومما يدل على توبة الأشعري مما انتحله أولاً قولُ الذهبي في «السير» (٨٦/١٥) : «.. رأيت لأبي الحسن أربعة تواليف في الأصول ، يذكر فيها قواعد مذهب السلف في الصفات ، وقال فيها : تُمرُّ كما جاءت ، وبذلك أقول ، وبه أدين ، ولا تؤول» .

بل قال أبو الحسن نفسه في معرض سرد مؤلفاته ، وصنفت كتابًا في الصفات هو أكبر كتبنا ، نقضنا فيه ما كنا ألَّفناه قديمًا فيها على تصحيح مذهب المعتزلة .

وقال الذهبي : «وبَلغنا أن أبا الحسن تاب وصعد منبر البصرة ، وقال : إني كنت أقول : بخلق القرآن ، وأن الله لا يرى بالأبصار ، وأن الشر فِعْلي ليس بقدر ، وإني تائبٌ معتقدٌ الردَّ على المعتزلة» .

فرحم الله أبا الحسن الأشعري وسائر علمائنا ، سائلين الله - تعالى - أن يمن بهدايته على الأشاعرة وبقية أصحاب البدع والأهواء ، إنه ولي ذلك والقادر عليه .

(٣) ص (٣٤) .

«واختلف المسلمون بعد نبيهم في أشياء، ضلّل بعضهم بعضًا [٢٧ب]، وتبرأ بعضهم عن بعض، فصاروا فرقًا متباينين، إلاَّ أن الإسلام يجمعهم ويعمهم». اهـ.

قال السيد الشريف في «شرح المواقف»:

«هذا مذهبه، وعليه أكثر أصحابنا .. ثم قال: إن عدم تكفير أهل القبلة وإن كان موافقًا لكلام الشيخ أبي الحسن الأشعري والفقهاء، لكننا إذا فتشنا عقائد فرق الإسلاميين، نجد فيها ما يوجب الكفر قطعًا، كالعقائد الراجعة إلى وجود إله غير اللّه تعالى، أو إلى حلوله في بعض أشخاص الناس، وإلى إنكار نبوة محمد ﷺ، وإلى ذمه واستخفافه، أو إلى استباحة المحرمات، وإسقاط الواجبات الشرعية، فعلى هذا ينبغي أن يقال: لا يكفر أحدٌ من أهل القبلة إلا بما فيه نفي للصانع القادر العليم، أو شركه، أو إنكار للنبوة، أو إنكار لما علم مجيئه ضرورة، أو إنكار المجمع عليه كاستحلال المحرمات.

وأما ما عداه فالقائل به مبتدع لا كافر، إلاَّ أن يفعل ما يكون علامة الإنكار، كشدِّ الزنار، ولبس الغبار بالاختيار، فحينئذ يحكم عليه بكونه كافرًا».

ثم اعلم أن الخلافة بعد رسول اللّه ﷺ على ما ذكرها الإمام الغزالي:

«.. تولاها الخلفاء الراشدون، وكانوا أئمة وعلماء باللّه - تعالى - وفقهاء أحكامه، ومشتغلين بالفتوى والأقضية، وكانوا لا يستعينون بالفقهاء إلا نادرًا في وقائع لا يستغنى فيها عن المشاورة [٢٨أ]، فتفرغ العلماء لعلم الآخرة وتجردوا لها، وكانوا يتدافعون الفتاوى وما يتعلق بأحكام الخلق من الدنيا، فلما أفضت الخلافة بعدهم إلى أقوام تولوها بغير استحقاق، والاستقلال بعلم الفتاوي والأحكام، اضطروا إلى الاستعانة بالفقهاء واستصحابهم في جميع أحوالهم لاستفتائهم في مجاري أحكامهم، وكان قد بقي من علماء التابعين من

هو مستمر على الطراز الأول، وملازم على صفو الدين، ومواظب على سمت علماء السلف، فكانوا إذا طُلبوا هَربوا وأعرضوا، فاضطر الخلفاء إلى الإلحاح في طلبهم لتولية الأقضية والحكومات لهم، حتى حكي أن أبا حنيفة دعي للقضاء ثلاث مرات فأبى، وحُبس وضُرب في كل مرة ثلاثين سوطًا، فرأى أهل تلك الأعصار عز العلماء، وإقبال الأئمة والولاة عليهم مع إعراضهم عنهم، فاشرأبوا لطلب العلم؛ توصلاً لنيل العز، ودرك الجاه من قِبل الولاة، فأكبوا على علم الفتاوي والحكومات، وعرضوا أنفسهم على الولاة، وتعرَّفوا إليهم، وطلبوا الصلات والولايات منهم، فمنهم من أنجح ومنهم من حُرِم، والمنجح لم يخل عن ذل الطلب ومهانة الابتذال، فصار الفقهاء بعد كونهم مطلوبين طالبين، وبعد كونهم أعزة بالإعراض عن السلاطين، أذلةً بالإقبال عليهم، إلاَّ مَن عصمه اللَّه - تعالى - في كل عصر من علماء دينه.

وقد كان أكثر الإقبال في تلك الأعصار على علم الفتاوى والأقضية [٢٨ب]؛ لشدة الحاجة إليها في الولايات والحكومات.

ثم ظهر بعدهم من الصدور والأمراء من سمع مقالات الناس في قواعد العقائد ومالت نفسه إلى سماع الحجج فيها، فعلم رغبته إلى المناظرة والمجادلة في الكلام، فأكب الناس على علم الكلام، وأكثروا فيه التصانيف، ورتبوا فيه طرق المجادلات، واستخرجوا فنون المناقضات في المقالات.

ثم ظهر بعدهم من الصدور والأمراء من لم يستصوب الخوض في الكلام، وفتح باب المناظرة فيه؛ إذ قد تولَّد من فتح بابه كثير من التعصبات الفاحشة، والخصومات القبيحة المفضية إلى إهراق الدماء وتخريب البلاد، ومالت نفسه إلى المناظرة في الفقه، وبيان الأولى من مذهب أبي حنيفة والشافعي على الخصوص، فترك الناسُ الكلامَ، وانثالوا على المسائل الخلافية بين أبي حنيفة والشافعي، وتساهلوا في الخلاف مع مالك، وأحمد، وسفيان، وغيرهم،

وأكثروا فيها التصانيف والاستنباطات ، ورتبوا فيها أنواع المجادلات ، وهم مستمرون عليه إلى الآن ، ولسنا ندري ما قدره الله - تعالى - ف بعدنا من الأعصار » .

هذا كلام الغزالي في زمانه حين وجود الرغبة من الصدور والأمراء إلى العلم والعلماء ، لكن بعد مضي زمانه توجهت رغبة الصدور والأمراء إلى العلم والعلماء نحو الاندراس ، وأقبل ميل الناس إلى العلم نحو الانطماس ، حتى لم يبق في هذا الزمان من الصدور والأمراء رغبة إلى العلم والعلماء أصلاً ، بل كان رغبتهم وميلهم إلى متاع الدنيا وزينتها ، [٢٩أ] ولهذا ترك الناسُ العلمَ بالكلية ، وصاروا كالبهائم لا يعرفون ما يلزمهم من عقائد الدين وأحكام الإسلام ، ولا يميزون بين الحلال والحرام ، واشتغلوا بتجميع المال وأخذ الجاه بالرشوة والوبال .

حرَّره

السيد خليل كركوكى



□ الفهارس □



أ- فهرس الآيات القرآنية

سورة النساء

سورة المائدة

سورة الأنعام

سورة الأعراف

سورة سبأ

سورة فاطر

سورة ص

سورة الزمر

سورة الشورى

سورة الجاثية

سورة الطور

سورة الحديد

سورة الحشر

سورة التحريم

سورة الملك

سورة نوح

سورة البروج

سورة الأعلى

* * *

ب- فهرس الأحاديث النبوية

* * *

جـ- فهرس الأعلام المترجم لهم

وأصحاب الفرق*

* مع عدم اعتبار أبو ، ابن ، أل من اسم العلم .

* * *

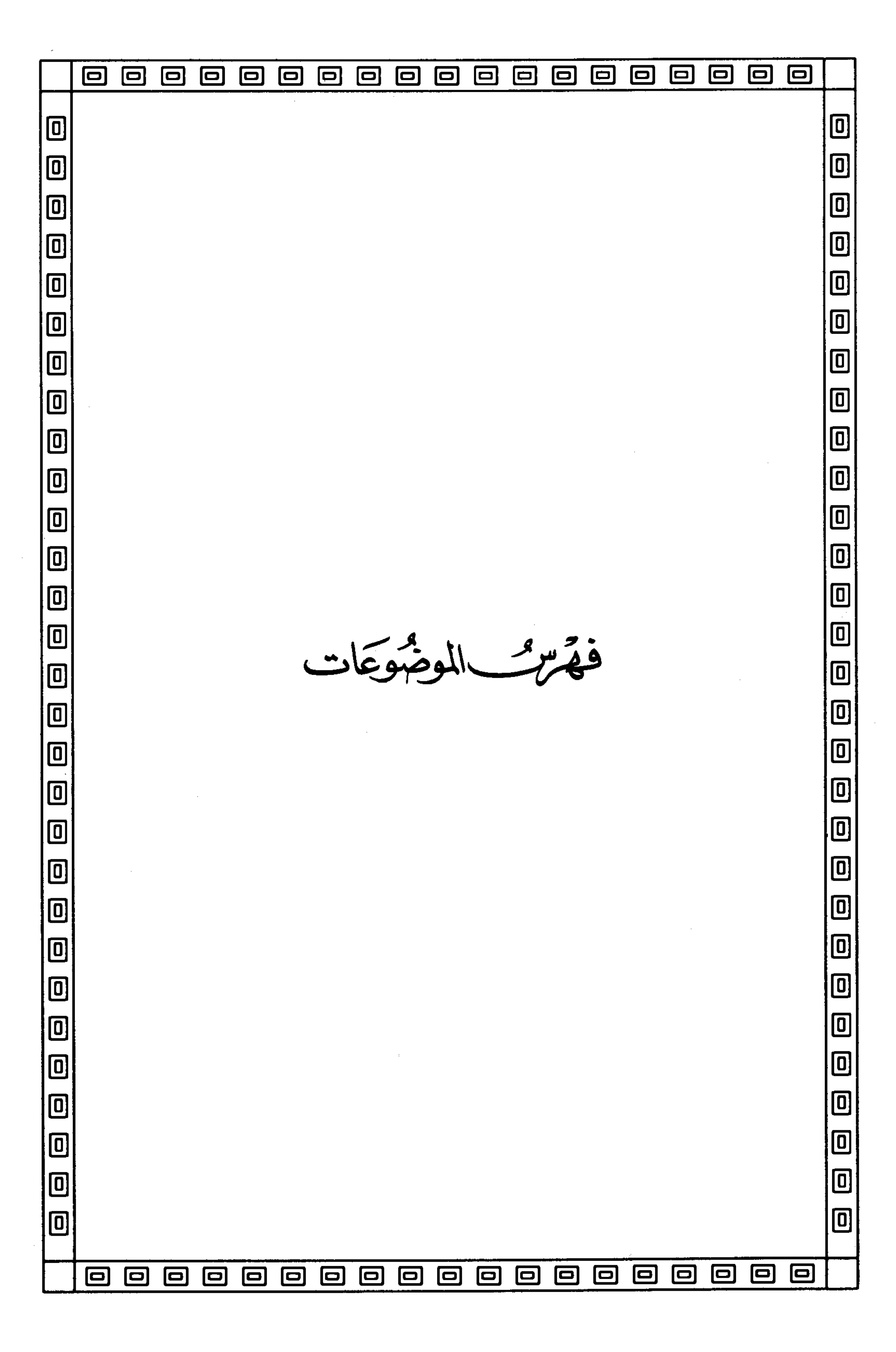
د- فهرس الفرق*

* مع عدم اعتبار أل في اسم الفرقة .

الفرقة	الصفحة
الباطنية	١٠٤
البترية	١١١
البدائية	١٠٣
البرغوثية	١٥٢
البشتكية	٧١
البشرية	١٢١
البيانية	٩٥
البيهسية	١٣١
التُّومنية	١٥٠
الثعالبة	١٤٣
الثوبانية	١٤٩
الجاحظية	١٢٧
الجارودية	١١٠
الجبائية	١٢٨
الجبرية	١٥٣
الجعفرية	١٢١
الجناحية	٩٦
الجهمية	١٥٣

الفرقـة	الصفحة
السبائية	٩٣
السبعية	١٠٥
السليمانية	١١١
الشعيبية	١٣٩
الشيبانية	١٤٤
الشيطانية	١٠٢
الشيعة	٧٢
الصابئة	٦١، ٦٢
الصالحية	١٢٣
الصلتية	١٤٢
العاذرية	١٣٣
عباد الأصنام	٤٩
عباد الحيوانات	٧٤
عباد الشمس	٦٥
عباد القمر	٦٧
عباد الكواكب	٦٨
عباد الماء	٧٤
عباد الملائكة	٧٠

الفرقة	الصفحة



فهرس الموضوعات

هـ- فهرس الموضوات

الموضــــوع الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضــــوع	الصفحة

الصفحة | المـــوضـــوع

المــــوضـــــوع الصفحة

الصفحة المــوضـــوع

الموضـــوع — الصفحة

المـــوضـــوع — الصفحة

* * *